أ. د / عبد الحليم عويس

المسلمون في معركة البقاء

التحديات الداخلية والخارجية







أ.د / عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس

(وشهرته د/ عبد الحليم عويس)

- حصل على ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة القاهرة (كلية دار العلوم) سنة ١٩٦٨م بمرتبة الشرف الثانية
- حصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣م
- حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (مارس ١٩٧٨) بمرتبة الشرف.
- عمل بجامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من ١٩٧٤ حتى ١٩٩٤
- عمل أستاذاً زائرا لعدد كبير من الجامعات في الهند وباكستان، وماليزيا، والجزائر، وتونس، والسودان، وتركيا، وغيرها
- حضر أكثر من مائة مؤتمر عالمي، ومؤتمرات أخرى إقليمية
- أشرف على نحو ٧٥ رسالة ماجستير ودكتوراه في الحضارة والتاريخ فى جامعات مصر و جامعه الامام محمد بن سعود
- عمل نائب رئيس الجامعة الإسلامية بروتردام (هولندا)
- له أكثر من ٧٥ مؤلف شملت موسوعات فقهيه وتاريخية وحضاريه وتفاسير للقرآن

****

- عضو مجلس أمناء الجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية.
- عضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي فرع القاهرة،
- عضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- رئيس تحرير مجلة التبيان بمصر.
- عضو اتحاد الكتاب بمصر.
- عضو نقابة الصحفيين.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.



دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر. القاهرة. المنصورة

القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٧٤٩٥ /٠٢..

المنصورة . ص.ب : ١٦٧

المسلمون في معركة البقاء

التحديات الداخلية والخارجية

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بطاقة الفهرسة

عويس ، عبد الحليم

المسلمون في معركة البقاء التحديات الداخلية والخارجية - دكتور/ عبد الحليم عويس . ط١.

المنصورة : دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م

٢٩٦ص ، ٢٠سم

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٣٧٩٧م

الترقيم الدولي : ٢ - ٣٥٣ - ٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

دار الكلمة للنشر والتوزيع

المنصورة - ص.ب. : ١٦٧ ت ف : ٢٢٢٤٥٠٣ / ٠٥٠.

محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥

e_mail:mmaggour@hotmail.com

المسلمون في معركة البقاء

التحديات الداخلية والخارجية

أ. د / عبد الحليم عويس

دار الكلمة
للنشر والتوزيع



إهداء

- إلى الأخ الصديق الوفي صاحب السمو الأمير الدكتور / سعود بن سلمان بن محمد آل سعود .
- لقد عايشته ثلاثة عقود حين كنت في المملكة العربية السعودية حفظه الله للمسلمين جميعًا وعندما عدت مكرمًا إلى بلدي مصر العزيزة ظلت العلاقة رائعة بيني وبين عدد كبير جدًا في المملكة العربية السعودية .
- لكن مرت السنين واستمرت إقامتي في بلدي مصر خمسة عشر عامًا وبالتأكيد عمل النسيان عمله .
- لكن بقيت قمم كبيرة موصولة العلاقة الروحية والفكرية القائمة على المؤاخاة والأخوة معًا تحدث في نفسي أعمق الآثار الطيبة تقول لي ما علّمنا إياه رسول الإنسانية ﷺ : « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » .
- فإلى صديقي الحميم سعود بن سلمان آل سعود أهدي هذا الكتاب رمز الحب والمودّة والمؤاخاة الموصولة وأسأل الله أن نبقى كذلك إلى أن نلقى معًا في الفردوس الأعلى من الجنة .

عبد الحليم عويس

قضية هذا الكتاب

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه . .

وقد تألبت علينا المكاره ، ومع ذلك ، فسنظل نقدم بين يدي كل مكرهة حمدًا . . ومع كل مكرمة شكرًا . . !!

وما أصابنا من سيئات فمن أنفسنا . .

وحتى أكثر حكامنا هؤلاء . . الذين يبدون أسوأ ما يكونون طائفية وانتهازية ومادية وسوء تقدير وقصر نظر . . حتى هؤلاء البؤساء ليسوا إلا ثمرة من ثمار مجتمعاتنا الفاسدة ، ونفوسنا الممزقة ، وقد نبتوا كما ينبت الشوك من الشوك ، وكما يخرج الولد الفاسد من البيت الفاسد ، وبالتالي فهم ليسوا إلا حصاد مسيرتنا . . نحن الشعوب الإسلامية التي تباعد ما بينها وبين حقيقة دينها بُعْدَ ما بين الأسود والأبيض .

فلنحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ولنرفع إليه رجاء الأذلاء ، ألا يسلط علينا بذنوبنا من لا يخافه ولا يرحمنا . . وأن يرفع عنا مقته وغضبه !! .

وهذه الدراسة حصاد عامين . . تقلبت فيهما من بلد إلى بلد في مؤتمر أو ندوة ، وراقبت فيهما عن كثب ، عن طريق اللقاءات

المباشرة ، والتقارير الوثيقة ، أحوال هذا العالم الإسلامي الذي يبدو الآن ـ وفي دورة أخرى من التاريخ ـ وكأنه عاد ليكون « قصعة » يقتسمه فيها في هذه المرة أمريكا ذات السياسة الثقافية المجردة من كل المغاني الأخلاقية والالتزامات الإنسانية والرؤية الحضارية ، وروسيا ذات السياسة الوحشية الدموية القاصرة !!

وبين مخلبي المادية الأمريكية والروسية تقع القصعة الإسلامية التي يتداعون إليها ، ويرضون أطرافًا من هنا ومن هناك على حسابها . . فثمة لقيمات لليهود ، وثمة لقيمات للهندوس . . أما العم سام فهو الجشع النهم الذي يريد ابتلاع معظم القصعة . . بعد أن يعطي لإخوانه الشيوعيين جزءًا يسيرًا .

إن أمريكا التي تفترسها الأمراض الحضارية من الداخل . . أمريكا التي كادت أكبر مدنها نيويورك تهوي أمام ضربات « المافيا » وقطاع الطرق واللصوص ، عندما انقطع التيار الكهربائي لليلة واحدة . ؟أمريكا هذه ومن ورائها أوربا التي أباحت الشذوذ الجنسي والخيانة الزوجية ـ بحكم القانون ـ وسادتها موجات السكر والعربدة وأصبحت وكأنها برميل من بارود يوشك ينفجر في أية لحظة .

أمريكا ومن ورائها الفاتيكان . . التي يحيط بها سياج من

الشيوعيين في الحزب الإيطالي الشيوعي القوي . . فضلًا عن ظاهرتي اللصوصية والعهر اللتين أصبحتا سمة إيطاليا ، وبات السائحون ينأون بأموالهم وأعراضهم عن الذهاب إليها . .

أمريكا هذه لا عمل لها الآن ، وبعد الوفاق الدولي مع الشيوعية ، إلا تطويق العالم الإسلامي ، ومحاولة تصفية المسلمين جسديًا ، سواء في آسيا أو أفريقيا ، أو غيرهما .

وتستطيع أن تتبع أية تصفية دموية للمسلمين في الأرض سواء وقف وراءها الشيوعيون ظاهريًا . . أو المبشرون . . وسوف تجد هناك أمريكا . . تحمي النظام الشيوعي من الانهيار تارة ، وتحمي إسرائيل تارة أخرى ، وتحمي المبشرين ـ بالملايين والمعلومات ـ تارة ثالثة !! .

والغريب كل الغرابة أن أمريكا هذه تتشدق بحقوق الإنسان في الاتحاد السوفيتي . . وتثير بعض التمثيليات النفاقية حول هذا الأمر ، مع أنها لم يبد منها في أي يوم لمحة حقوق إنسان نحو عشرات الملايين من المسلمين الذين يتعرضون ـ بأيديها السوداء ـ لحملة إبادة ، أو حرب عالمية دولية . .

وعلى خطى مبادئ ولسون الأربع عشرة . . التي خدعت بها أمريكا العالم ـ وتواطأت من ورائها ـ على فرض الوصاية

الاستعمارية على العالم الإسلامي ، وعلى ضياع فلسطين ، وكانت أمريكا أول من أعلن اعترافه ودعمه لدولة إسرائيل . . دون أن تتذكر أن رئيسها ويلسون كان قد أخرج للعالم مسرحية المبادئ الأربع عشرة المزيفة !!

أما روسيا ودورها في هذه اللعبة فليس أكثر من دور الشرطي الذي يعمل بأجر . . لأنه في حاجة إلى الدولار والقمح . . ولأنه مهدد باعتبارات كثيرة داخلية وخارجية !!

وأما أذناب أمريكا وروسيا في العالم الإسلامي ممن ينتسبون زورًا إلى الإسلام ، فلا ندري ما نقول لهم سوى أن نتذكر نحن المسلمين طبقة ملوك الطوائف . . ونقيس هؤلاء بأولئك حذو النعل بالنعل . . ولئن كانت نهاية هؤلاء الملوك الطوائفيين قد بلغت من السوء مبلغًا كبيرًا . . لدرجة أن أحدهم وهو (ابن صمادح) قال وهو يموت : « نغص علينا كل شيء حتى الموت » . . لئن كانت نهايتهم كذلك ، فإننا نحن المسلمين مطالبون بأن نتجنب مصير الشعب الأندلسي المسلم الذي عقدت له السكينة أبشع محاكم التفتيش . . وألجأته عبر البحر إلى بلاد المغرب وغيرها . . ولعلنا نتساءل : إذا كان الأندلسيون قد وجدوا ملجأهم في بلاد المغرب مثلًا فإلى من سنلجأ نحن إذا استولت جحافل التبشير على

بلادنا بدأ من أندونيسيا ومرورًا بالشرق العربي وحتى طنجة بالمغرب ؟ .

هل ستلجأ أمريكا . . أم إلى معتقلات سيبريا ؟ أم أن العالم الغربي بشقيه الأمريكي والشيوعي لن يتركنا نعاني من هذه المعضلة . . وسوف يقدم لنا الحل الوحيد الحاسم . . أعني التصفية الجسدية أو الفكرية الشاملة !! .

وإن ذلك ـ لا قدر الله ـ هو النتيجة الطبيعية لمسيرتنا المستسلمة البلهاء لحكام . . يوالون النصارى واليهود ، باسم الرأسمالية أو الشيوعية أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الحلول السلمية ، أو الاعتبارات الوطنية .

وإنه والله لإعجاز إلهي أن يوضح القرآن هذه القضية . . مقدمة ومسيرة ونتيجة . . فيقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ .

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ .

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ

أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

إن قضية هذا الكتاب ، مهما اختلفت الموضوعات ، واحدة . إنها قضية المسلمين التي برزت من خلال مسيرة الأحداث في الأعوام الأخيرة . إنها الصراع المصيري مع الغزو التبشيري الأمريكي والأوربي الشرس الذي يريد تطويق العالم الإسلامي ، والاستيلاء على الأرض المقدسة بدءًا من المسجد الأقصى . . وانتهاء بالمسجد الحرام . . . ثم تحويل العالم الإسلامي كله إلى مزرعة للتبشير يفرخ فيها ويبيض وحده .

إنها معركة المسلمين في أفريقيا وآسيا وسائر العالم من أجل البقاء !! .

أ .د/ عبد الحليم عويس

---

(١) المائدة (٥١) وما بعدها .



الملحمة الأولى

(١)

المبدأ القرآني في بناء الإنسان والحضارة

ذات يوم كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم حياتها على أساس الإيمان بالله ، ودعوة الناس إلى الإيمان قولًا وفعلًا بالحكمة ، وبكل وسائل الدعوة الحسنة .

وكان المسلمون في ذلك يستجيبون لأمر الله الذي يخاطبهم كأمة تمثل الوسطية والشهادة على الناس . . .

ولم يُعرف في تاريخنا أن الخطاب الإسلامي اتجه لجماعة ، أو هيئة ، أو جامعة ، أو مدرسة . . . كما لم يعرف أن هناك طبقة بعينها تتخصص في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام ، وأن الطبقات الأخرى لا علاقة لها بالدعوة ونشرها . . بل الذي عُرف وآمن به الناس أن هناك متخصصين في العلوم الشرعية يسمون (العلماء) أو (الفقهاء) وهم الذين يملكون مؤهلات التعليم المستوعب ، لعلم من العلوم لاسيما الفتوى في الفقه ، والتبصير بحقائق التفسير ، وتوجيه الأمة إلى الحديث الذي صحَّ عن رسول الله ، أو الحديث الذي لم يصح ، أو الحديث الذي صح روايةً وسَنَدًا ولم يصح درايةً ومتنًا . . أو العكس . . .

أما شأن همّ الدعوى الإسلامي فهو شأن الأمة كلها ، وهو هَمُّ مهندسها وطبيبها وعالمها الاجتماعي والنفسي ، بل هو كذلك همّ الزراع والصناع والتجار كل حسب طاقته من الفقه بالإسلام ،

والقدرة على تمثيله قولًا وعملًا ؛ فالدعوة بالقول ، والعمل . . والنفس ، والمال ، والعلم . .

ولم يعرف كل هؤلاء أن همّ الدعوة إلى الله ونشر الإسلام هو شأن خاص بالرجل ، أو المرأة ، أو المثقف ، وغير المثقف بالمعنى الثقافي المعروف .

كما لم يعرف هؤلاء أن نشر الإسلام ودعوة الناس إليه إنما يعنى فقط تربية الناس على العبادة لله والإخلاص لدينه ، والتوحيد الكامل به ، والالتزام بعقائده وأخلاقه!!

وإنما عرفوا أن كل ذلك تندمج فيه هذه القيم الرَّبَّانِيَّةَ والأخروية بوسائل تؤدى إلى بناء الحياة الدنيا وتفعيل جوانبها المختلفة وفق منهج الله للحياة . .

فما يعمل الناس على تحقيق (الصلة بالله) إلا ليحسنوا تحقيق (الصلة بين الناس) أفرادًا وجماعات ، وبالتالي تصبح التعليمات المتصلة بالآخرة تنظيمًا وتكييفا للتعليمات التي يجب أن تسود في الدنيا ، وذلك كي يبنى الناس منهاج حياتهم بناءً تمتزج فيه الدنيا بالآخرة ، وتنجح تعليمات الآخرة في تكييف أركان الدنيا تكييفًا إيمانيًا وتمدُّها بالوقود الذي يحقق لها الصلة المثلى بالله ، والسعادة وبناء الحضارة الإنسانية القويمة اللائقة بإنسانيته في هذه الدنيا . .!!

فما جاء الإسلام (لاهوتاً) يُريد من الناس أن ينسوا دنياهم ، وأن يعيشوا في (ملكوت السماء) وإنما جاء الإسلام مُعَلِّمًا للناس كيف يعيشون في الدنيا بقيم السماء ، محققين التواصل الكامل (الذي عجزت عنه كل الأديان) بين الدنيا والآخرة . . .

وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ .

[القصص: ٧٧]

وحتى المساجد (وهى بيوت الله) التي ينصرف الذهن إلى أنها متخصصة في العبادة . . . حتى هذه البيوت (بيوت الله) اجتمعت فيها التربية الإيمانية الأخروية الروحية والوجدانية . . . والتربية العملية الدنيوية القائمة على حُسن التكامل مع التربية الأُخْرَوِيَة . . .

ولهذا رأينا في بيوت الله عالم التفسير ، وعالم الحديث ، وعالم الفقه والأصول ، يتجاور في بيت الله نفسه مع عالم الفيزياء ، والفلك ، والطب ، والهندسة وغيرها . . .

وكل من هؤلاء وأولئك من علماء الدين وعلماء الدنيا يؤمنون بأنهم يتعبدون لله بكل ما يقدمونه من علوم دينية ودنيوية وطبيعية في سبيل بناء حياة يرضى الله عنها ، وتتحقق للمسلمين بها آفاق

التقدم والنهضة والحضارة التي تضمن لهم السعادة في الدارين ، وتحقق القدرة على منافسة القوى العالمية في عصورهم .

الفصام المدمر :

ثم وقعت الواقعة ، فظهرت عصور غلبت فيها العلوم التي تسمى (بالعلوم الأخروية) وانسحبت- تقريباً- العلوم التي أطلقوا عليها- ازدراءً لها وحطًا من شأنها- مصطلح (العلوم الدنيوية) .

وحتى أقطاب النهضة الإسلامية الأخيرة الذين كان لهم فضل حماية الإسلام (كالدولة العثمانية) فإنهم انكفئوا على همٍّ واحد ، وهو همّ الإعداد العسكري ، وأهملوا علوم تحقيق التقدم في الحياة ، مثل علوم الفيزياء ، والرياضيات ، والكيمياء ، والطب ، والفضاء ، والهندسة ، والبيولوجيا ، والجيولوجيا . . وغيرها . . وكان هذا من أسباب سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م .

انحراف في عصرنا الحديث :

وعندما جاء عصرنا الحديث ظهر قادة النهضة وهم يحملون هذه الأفكار المزدرية للعلوم الدنيوية والتي تنصرف فيها ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ إلى العلوم العسكرية وما يتصل بالجهاد من قوة نفسية ومعنوية .

بل اتجه بعضهم إلى أن نصر الله (وسبحانه وتعالى) ورضاه يتحققان - فقط- بالجهاد بالحربي وتحصيل العلوم الشرعية لدرجة أننا منذ نحو خمسين سنة تفشت في شبابنا ظاهرة سلبية أسيفة . . .

فقد وجدنا بعض الشباب المتدين يجنح إلى العلوم الشرعية ، بعد أن يكون قد تفوق في تخصص من التخصصات العلمية مثل الصيدلة ، والكيمياء ، والطب ، والفيزياء ، والهندسة ، ومع ذلك يترك كل ذلك ، وينصرف إلى دراسة العلوم الشرعية مدَّعيا أنها التي ستنصر الإسلام ، وتحقق رضا الله وحدها ، مهملًا ما حصل عليه من شهادات في النواحي العلمية .

وقد أصبحت هذه الظاهرة السلبية في فترة ما ، أفيونا مخدرًا مبددًا لطاقة الأمة . . .

تجربة شخصية :

ويحكى الأستاذ الدكتور (سيد دسوقي حسن) أستاذ هندسة الطيران بجامعة القاهرة (كلية الهندسة) تلك التجربة الشخصية الخاصة به فيقول :

كانت تتملكني الرغبة للدراسة في كلية الحقوق أو دار العلوم ، حين حصلت على الثانوية العامة ، حتى لقيت أستاذًا لى في مدرسة الدعوة هو الأستاذ محمد يونس (رحمه الله تعالى) فقال لي :

نحن في حاجة إلى مهندسين يصنعون لنا طائرات وصواريخ . . فكر في الهندسة فذلك خير لك ولأمتك .

وكان أن توجهتُ إلى الهندسة التي لم تخطر لي على بال قبل ذلك . . ثم إلى الطيران والصواريخ . . !!

ويقول الدكتور أيضاً: نحن في حاجة ماسة إلى استنارة بطبيعة (الفروض الحضارية) حتى يتدافع إليها الناس ، وحتى لا يتدافع ذوُوُ التوجهات الإصلاحية والدعوية في بلادنا إلى أعمال تأتى في نهاية الخريطة وينسون أعمالا تأتى في أعلاها . . لأنها فرض الكفاية الذي تحول فأصبح (فرض عين) في ظل الواقع المريض!!

المبدأ القرآني للنهضة :

ونحن نجد بين أيدينا نماذج لمواقف بعث حضاري إسلامي قام بها علماء (شيوخ) ودعاة مصلحون . . مهندسون ومُرَبُّون . . عرفوا كيف يمزجون في بعثهم للأمة ، وإحيائهم لها ، وإخراجها من مرحلة الاستعمار أو القابلية للاستعمار إلى مرحلة القيادة الحضارية التي تمزج بين العمل الحضاري والتوجيه القرآني . .

ففي مواجهة إعلان الحاكم الفرنسي العام الجزائر (موت الإسلام في الجزائر) بمناسبة مرور مائة سنة على احتلال فرنسا للجزائر ، وترويعه للشعب الجزائري بقوله: لقد حمل محمد عصاه

من الجزائر ورحل إلى الأبد . .

في مواجهة هذا الإعلان المشبع بروح الحقد الصليبي قام الشيخ عبد الحميد بن باديس ، بإنشاء حركة إصلاح من العلماء الجزائريين . . ويدأها بتلقين الشعب الجزائري دروس تفسير القرآن في مسجد قسنطينية ، وأتم تفسير القرآن المسمى (مجالس التذكير) قاصدًا بعث الشعب الجزائري بالتربية القرآنية القائمة على العلم والعمل . .

وقد كانت حركة الإصلاح التي قام بها العلماء الجزائريون أقرب حركات الإصلاح والنهضة في الجزائر إلى النفوس ، وأقواها في مقاومة الاحتلال الفرنسي ، وأدخلها في القلوب ، إذ كان أساس منهاجهم الأكمل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١] .

فأصبحت هذه الآية شعار كل من ينطرح في سلك الإصلاح في مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس . . وكانت أساسًا لكل تفكير وتغيير ونهضة . . . فظهرت آثارها في كل خطوة ، وفى كل مقال ، حتى أُشرب الشعب في قلبه نزعة التغيير بدءًا من تغيير النفس . . وصولًا إلى تغيير الواقع . . تطبيقًا للمنهج القرآني في التاريخ .

وبالتالي أصبحت أحاديث الشعب . . تتخذ الآية القرآنية ومنهجها الإسلامي شرعةً ومنهاجًا .

فهذا يقول: لابد من تبليغ الإسلام إلى المسلمين .

وذاك يعظ قائلاً: فلنترك البدع الشنيعة البالية التي لَطَّخَتْ الدين ، ولنترك هذه الأوثان . . .

وذلك يلح: يجب أن نعمل . . يجب أن نتعلم . . . يجب أن نجدد صلتنا بالسلف الصالح ، ونحيى شعائر المجتمع الإسلامي الأول . . الذي أقام حضارة إنسانية عالمية ونشر ديناً . . وصنع خير أمة . .

لقد انطلقت الأفكار ، ثم تلاقت وتصارعت . . . وظهرت آثارها في صورة مدرسة ، أو مسجد ، أو مؤسسة إصلاحية .

معادلة العلامة مالك بن نبي :

ويعلق العلامة المهندس الجزائري مالك بن نبي على الطرح الذي طرحته أفكار ابن باديس وقيمتها في إحداث التحول الحضاري في الجزائر فيقول:

لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات «الشيخ عبد الحميد بن باديس» فكانت تلك ساعة اليقظة ، وبدأ الشعب الجزائري المخدَّر يتحرك . . ويالها من يقظة جميلة مباركة .

وهكذا استيقظ المعنى الجماعي ، وتحولت (مناجاة الفرد) إلى (حديث الشعب) فتساءل الناس:

كيف نِمْنَا طويلاً؟ وهل استيقظنا حقاً؟ وماذا يجب أن نفعل الآن؟

لقد فهم ابن باديس- وخلفه الشعب الجزائري- معادلات التغيير الأساسية الصالحة لبناء مجتمعٍ حُرٍّ مُتَحَضِّر .

لقد فهموا أن الحقوق نتيجة حتمية للقيام بالواجبات . .

والواجبات أولا . .

والتلازم قائم لا ينفصل بين الواجبات والحقوق .

والحقوق تُؤخذ ولا تُمْنَح ، وتفرض بالإرادة القرآنية الحضارية ولا تُتَسَوَّل ولا تُهدى . . ولا تُغتصب كما تغتصب الغنائم والأشياء ، بل هي نتيجة طبيعة للقيام بالواجب . . . مثلما كما أدى المسلمون واجبهم في مكة خير قيام . . . فظهرت دولة الواجبات والحقوق في المدينة .

إن الشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عَدَّلَ وضعه الاجتماعي المرتبط بسلوكه النفسي .

وإنها لشرعة السماء وقانون الله وسنته الاجتماعية:

غيِّر نفسك . . . تغيِّر التاريخ .

فهل استوعب الدعاة والمصلحون هذه القوانين؟ وهل يجاهدون في سبيل تغيير النفوس وصولًا لتغيير المجتمع وبناء

الحضارة؟

هل يدركون ضرورة المزج بين الفقه بالعلوم الشرعية ، والإنسانية ، والكونية؟

وبالتالي هل يقومون بهذه الوظيفة المزدوجة من خلال منابر التربية والتأثير المختلفة ، فيعلِّمُونَ الأمة العلوم الشرعية ، والإنسانية ، والكونية انطلاقًا من أن كتاب الله يتضمن تعليم العلوم الشرعية والتوجيهات الواضحة إلى القوانين النفسية والاجتماعية ، كما أن القرآن بسط القول في الحديث عن آيات الله في الكون والآفاق في عشرات من سور القرآن .

يا أيها الدعاة . . . ويا معلمى الأمة في بيوت الله: قدموا القرآن كله للناس ، وعلِّموهم ما فيه من شريعة الله ومن آيات الله في الأنفس والآفاق . . . فهذه هي تحديات العصر ، وعليكم أن تواجهوها بما يناسبها . . . والله معكم!!



(٢)
وقد تفرَغتم لهذا؟!!

دخل ثلاثةُ نفر على الخليفة الراشدي الرابع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ . . فسألوه عن رأيه في أبى بكر وعمر (رضي الله عنهما) وقالوا له: ما تقول فيهما؟ ثم قالوا له: بيِّن رأيك فيهما وفى عثمان ؟ فردّ عليهم الإمام على بن أبى طالب بعبارة يجب أن تكتب بماء الذهب يقول لهم فيها: «وقد تفرَّغتم لهذا»؟! إن هذه الكلمة التى قالها الراشدي العظيم ﷺ تكشف لنا عما شعر به الخليفة الراشدي من حزن وألم من هذا السؤال وأمثاله ، كما تكشف لنا عن الاستشرافات المستقبلية التي تَوَقع الإمام (علىٌ) أن تكون عليها أحوال الأمة في مستقبل أيامها بعد العصر الراشدي ، ثم بسط (الإمام) الأمر لسائليه تعليمًا للأمة ولمحبِّيه وأتباعه الذين سيتاجرون باسمه وباسم الولاء لآل البيت فقال لهم ولجميع المسلمين: عندما لحق رسول الله «عليه الصلاة والسلام» بالرفيق الأعلى تولى أبو بكر ﷺ أمر الأمة ، فيسَّر ، وسدَّد ، وقارب ، واقتصر ، فصحبته مناصحًا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً ، فلما احتُضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا ، وبايعنا وناصحنا ، فتولى تلك الأمور ، فكان مرضىّ السيرة ميمون النقيبة أيام حياته . . ثم تولى عثمان فصبرتُ محتسبا . . وبايعته ﷺ . . وبهذا حسمت إجابة الخليفة الراشدي الرابع موقفه من الخلفاء الراشدين .

لقد كان منهج (الأخوة الإيمانية) التي وصلت إلى الذروة في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ﷺ ماثلة في ذهن الإمام على ، وكان يرى أن على الأمة أن تبحث عن الوحدة الإسلامية والحب في الله ، والاعتصام بحبله ؛ لأن هذه الأسس من أهم الركائز التي قامت عليها دولة الإسلام في المدينة ، وفتح المسلمون بها تحت راية (التوحيد والوحدة) العالم . . لقد كانوا يؤمنون حقا بأن هذه الأمة (أمة واحدة) و(ربّها واحد) وأن عليها أن تجاهد مجتمعة لعبادته حق عبادته ولتقواه كما ينبغي !! وقد قَدَّمَ الإمام عَلِيّ لنا تأصيلًا رائعًا لهذا المنهج ، وذلك عندما سُئل عن أسوأ فرقة عرفها التاريخ الإسلامي ، وهى فرقة الخوارج الذين كان أصحابها يكفرونه ويطالبونه بالتوبة . . . ثم انتهى بهم الأمر إلى قتله شهيدًا ﷺ . . . ومع ما يعرفه الإمام على عن مبادئهم وأحقادهم أجاب على سائليه عن رأيه فيهم فقال لهم: «إن لهم علينا ثلاثة حقوق: ألا نمنعهم مساجد الله ، ولا نقطع عنهم الفيء ، ولا نبدأهم بقتال» ، ولئن كان الإمام على قد اضطر لمحاربتهم بعد خروجهم عليه وقتلهم بعض أصحابه ؛ فإنه قد نهى عن قتالهم في المستقبل ، وقال : « لا تقاتلوا الخوارج بعدى . . فإنه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » .

وعندما سُئل عن (أهل الجمل) الذين جاءوا لحربه: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا!! قيل : أمنافقون هم ؟

قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا ، قيل : فما هم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا . . . وعندما سمع بعض أصحابه في (صفين) يسبّ أهل الشام ، قال : « إني أكره لكم أن تكونوا سَبَّابِينَ » .

وذلك انطلاقًا من قول (الله تعالى) : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] . . فكيف نستحلّ سبَّ المسلمين؟!

والحق أن هذا المنهج الذى أصَّله- انطلاقًا من القرآن ، والسنة ، والسيرة- الإمام على ﷺ هو المنهج المنسجم مع الإسلام ومع سيرة نبي الإسلام ﷺ . . إنه المنهج الذي يقوم على دعامتين أساسيتين هما:

براءة المسلمين جميعًا . . . في الأصل- إلا من ثبت ثبوتًا شرعياً- عن قصد- كفره ومروقه عن الدين . . بقوله أو فعله . . بطريقة لا تسمح بالتأويل . . . فحتى لو كان اجتهاده واضح الخطأ والبطلان . . فإننا يجب أن نحسن الظن في نيّاته وأهدافه ، ونربطها بسلوكه وأفعاله التي يمكن أن تكون بالغة السوء . . . لنبتعد به عن محطة الكفر . . . ثم نقاوم أخطاءه ، ونفوض الأمر فيه إلى الله ؟!

أما الدعامة الثانية - ويمكن أن تكون الأولى . . فهى إدراك المسلمين للرسالة التي ناطها الله بهم . . تجاه أنفسهم- لصناعة

حضارة تُقدّم دينهم للناس- أفرادًا ومجتمعات ودولاً- أفضل تقديم ، بحيث تكون جماعة المسلمين القدوة المثلى للعالم . . وتتحقق لها (الشهادة على الناس) . . وتفوز بمكانة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] . . . وهذا يوجب أشد الوجوب على أفراد الأمة وطوائفها ألاَّ يشغلوا أنفسهم بالصراعات والخلافات . . . وأن يلتزموا بالثوابت والكليات ، مع الاتحاد العام على أركان الإيمان ، وأركان الإسلام وشُعَب الإيمان ، واضعين نُصب أعينهم أنهم خلفاء رسول الله ، وحملة الراية من بعده ، والمبتَعَثون منه ﷺ لهداية العالم .. كما قال ربعي بن عامر ﷺ لرستم قائد جيش الفرس: لقد ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العِبَادِ إلى عبادة الله وحدَهُ ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة . . . فهكذا تكلم ربعىّ بروح الجماعة المسلمة (لقد ابتعثنا الله) وليس بروح الفرد . . كما تكلم- أيضاً . . بروح (ابتعاث الأمة) . . فهي كلها أمة مبتعثة لإنقاذ الناس جميعًا من الوثنية وإخراجهم إلى (التوحيد) وإنقاذهم من (الجور والظلم) باسم الأديان . . لا سِيَّما الأديان العنصرية والوضعية . . وإنقاذهم أخيرًا من هذا العالم الضّيق الفاني المحدود الذي لا يليق بالإنسان الذي استخلفه الله وفضّله على كثير ممن خلق . . . بحيث يفوزون بالزمن الخالد (وهو الآخرة) ، وبالعالم

الفسيح ... وهو (الجنة) التي عرضها السموات والأرض . . .!!
وما كان قول (ربعي) إلا ترجمة للواقع الإسلامي السائد في عصره الراشدي ، وللشعور الإسلامي العام في عصري الرسالة والراشدين . . . وما كان- أيضاً- إلا ترجمةً عملية لخطاب الرسول « عليه الصلاة والسلام » للجماعة المسلمة: « إنما بُعثتم ميسّرين » . . . وما كان ابتعاث الله للأمة المسلمة لتكون ميسّرة لا معسرة . . . تحنو على الإنسانية وتنشر في أرجائها ظلال الأخوة والرحمة . . . إلا ترجمة لقوله تعالى لنبيه خاتم الأنبياء محمد : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

وما كانت قولة الإمام عليّ التي بدأنا بها حديثنا وذكرنا أنها تستحق أن تكتب بماء الذهب: وقد تفرغتم لهذا؟ إلا إشادة بعصر الرسالة والراشدين الذي ما تفرغ للخلافات . . ولا للصراعات الصغيرة مذهبية أو عنصرية . . على الرغم من مؤامرات شياطين الإنس المحيطين بهم من اليهود والمنافقين أتباع عبد الله بن أُبَيّ بن سلول ، ثم المرتدين في عهد أبي بكر ﷺ . . فلقد انتصر المسلمون على كل محاولات التمزيق . . وقدّموا أعظم تجربة (توحيد وحدة) وصلت إليها الإنسانية . . وهزموا أكبر القوى وقضوا على أكبر امبراطوريتين في عصرهم . . وساحوا في الأرض ينشرون الإسلام في جميع الأمصار ، ولكن- بُعَيد ذلك بقليل ، ومنذ قال الإمام على

هذه الجملة الرائعة: وقد تفرغتم لهذا . . بدأت طوائف متصارعة كثيرة تظهر في المجتمع الإسلامي . . فظهر الخوارج- كقوى كبيرة منتشرة . . تكفّر المسلمين . . حتى أفاضل الأمة ، وقد تشتتوا إلى طوائف متعددة تنقسم على نفسها ، وقد يقاتل بعضها بعضها . . كما أن التشيع لآل البيت - بعد وفاة الإمام عليّ الذي كان يقاوم نزعاتهم المتطرفة- امتد . . وأصبح فرقًا زادت على أكثر من خمس وثلاثين فرقة ، وكانوا- هم والخوارج مع اختلاف الشعارات- يرفضون كل محاولات (التوحيد والوحدة) في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . . وفي ظل تجربة الراشدين الرائعة . . وظهر- مع هؤلاء وأولئك- أفكار واجتهادات علاقتها بالكتاب ، والسنة وسيرة السلف الصالح مقطوعة أو شبه مقطوعة!!

ومع أن الخلافة الأموية (٤١ - ١٣٢ هـ) وقفت بالمِرْصَادِ لهؤلاء وأولئك ، وهزمتهم في مجال الخروج على الدولة واستعمالهم السيوف ، إلا أنهم- مع ذلك- بَدَّدُوا كثيرًا من جهود المسلمين وأوقاتهم وثرواتهم . . وبينما كانت جيوش المخلصين تمضي في العصر الأموي بقيادة التابعين وأتباع التابعين لفتح العالم ، وتتمّ ما بدأه الراشدون ، حتى وصلت فتوحات الأمويين إلى حدود الصين بقيادة قتيبة بن مسلم ، وإلى أدغال الهند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي ، وإلى أقصى الحدود الطبيعية في أسبانيا (بعد فتح بلاد

المغرب التي استعصت على الفتح قبل الأمويين) فوصل المسلمون في أسبانيا إلى جبال البرانس (البرتات) بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير، والقادة الذين خلفوهما . . . فبينما كان هذا يدور- تحت الراية الإسلامية الجهادية في العصر الأموي- كان المحسوبون على تيار الخوارج، والمحسوبون على التشيع لآل البيت- ينفقون كل جهودهم في تفجير المجتمع الإسلامي من داخله . . سياسيًا وعسكريًا وكذلك فكرياً- من خلال النظريات التى اخترعوها وروَّجُوا لَهَا . . « والقرآن والسنة منها براء . . » .

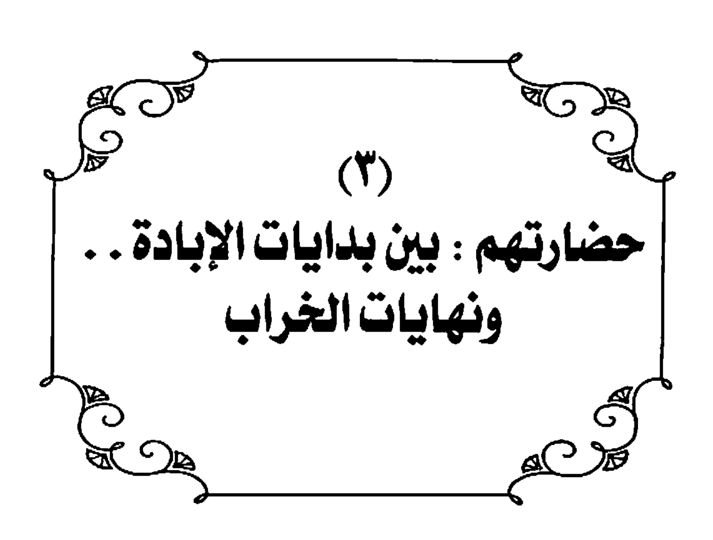
ومع نهاية العصر الأموي وظهور العصر العباسي . . . عصر الانفتاح والترجمة والتيارات الفكرية المتأثرة بالفلسفتين اليونانية (الأسطورية) والفارسية (الوثنية) . . . زادت مساحة الاختلاف . . وكان لهذا الاختلاف- كمنهج- تأثيره على العلوم الإسلامية الأصيلة التي كان ينبغي أن تستقى من المصدرين الثابتين، وهما القرآن والسنة، ومنهما تبنى مذاهبها وفلسفتها ومنهجها في اختراع النظريات والأفكار التي قد تفرض طبيعة العصر، وتطوراتها استلهامها من الكتاب والسنة، لتكييف الواقع وصياغة الحياة والأفكار صياغة إسلامية . . . وفى هذا السِّيَاقِ ظهر (علم الكلام) . . فسرعان ما غلب عليه الجدل والمنطق الصوري بعد سيطرة تيار المعتزلة عليه، ومع أنه لا يُنكر فضل بعض المعتزلة في الدفاع عن

الإسلام ضد مقولات الزنادقة . . لكن التيار الاعتزالي العام عمَّق الخلافات وأدخل الأمة في متاهات ، وظهر الأشاعرة ليقوّموا اعوجاجه فأصابوا كثيرًا ، وأخطأوا قليلا . . وكان لأهل السنة دورهم الأعظم في مقاومة هذه الانحرافات الفكرية التي لا تنسجم مع طبيعة الإسلام القائمة على الفطرة ، والوضوح ، وفقه الكون ، وفقه السنة بعيدًا عن الجنوح ، مع الالتزام بالقرآن بعيدًا عن الشطط والتأويل ، وللأسف- فقد عجبتُ للمستشرق المعروف (مونتجمري وات) ، في دراسة وجيزة له عن (الجماعة والفرق) . . وهو يستعرض (الفرق الإسلامية) فيقول : (إن الفاحص عن الاختلافات في وجهات النظر ضمن الحركة الدينية العامة (لن يسلِّم بوجود أي جوهر عام ومعترف به للعقيدة السنية خلال القرن الإسلامي الأول أو حتى القرن الثاني !!) وقد نسى الكاتب الكبير أن العقيدة السنية هي العقيدة الإسلامية نفسها الموجودة في القرآن . . . والتي كان عليها جمهور الأمة . . فهي ليست فرقة من الفرق . . وليس لأهل السنة والجماعة إضافات أو تميزات ينفصلون بها عَمَّا جاء في كتاب الله ، وعلّمه الرسول للأمة ، وهذا هو جوهرها العام . . ولعل (مونتجمرى وات) شعر بهذا الخلط الذي وقع فيه ، فاستدرك في آخر مقاله وردَّ على نفسه وقال : « إن التحدث عن السنة يعنى اعتبار التكوين

الأساسي في الإسلام فرقة من الفرق . . » . . فالسنة هي التكوين الأساسي وليست فرقة . . . وكما يقول: (وات) فإن معظم الفِرَق قد اختفت تماما . . وليس بقاء التيار الشيعي بقاء (فرقة إسلامية)- فحسب- وإنما هو تيار يسعى إلى إحياء الإمبراطورية الفارسية ، (فالطابع السياسي هو الأغلب) . . وإن تمسَّح بعقائد إسماعيلية أو غيرها . . وهكذا كان الفاطميون ، وكان الصفويون . ولأن كل تيار لابَّد له من قاعدة فكرية ؛ فقد بالغ الشيعة في الولاء لآل البيت- كعقيدة- مما أدى إلى الحقد على غيرهم حفاظًا على روح الكيان الشيعي وعلى فلسفته التي يقفون تحت رايتها . . وذلك لا يمنع من وجود جهود قوية للعودة إلى (الجوهر العام للإسلام) و(التكوين الأساسي) المؤصَّل في القرآن والسنة الصحيحة . . ولعل هذا يقترب بالأمة- على كل مستوياتها من الوحدة الفكرية والشعورية الإسلامية . . وهنا تتجه الأمة إلى عوامل النهضة الحقيقية والوحدة الإسلامية . . وتنتهي مرحلة التّيه والصدام والتشرذم التي عبَّر عنها الإمام على ﷺ بقوله: وقد فرغتُم لهذا . . .!!

لقد آن الوقت- وأوجبت التحديات- أن نفرغ من هذا . . بعد أن كنا نفرغ له . . ولنتذكر هنا كلمات المجدِّد الإسلامي الكبير (بديع الزمان النورسي) التي يقول فيها : « إن أشدّ القبائل تأخرا تدرك معنى الخطر الداهم عليها من جرَّاء اختلافها ، وترى أبناءها

ينبذون الخلافات الداخلية ، وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدوّ الخارجي عليهم .. حرصًا على مصلحتهم الاجتماعية . . فكيف بالذين يقومون بخدمة الإسلام ، ويدعون إليه ، ومع ذلك لا ينسون عداوتهم الجزئية الطفيفة . . إن هذا الوضع تدهور مخيف ، وانحطاط مفجع ، وخيانة للإسلام والمسلمين . . وهو أكبر داء ابتلى به المسلمون في تاريخهم . . . وليس للمسلمين من طريق لمواجهة الأعداء الألِدَّاء ، إلا ذلك السلاح البتّار ، والخندق الأمين ، والقلعة الحصينة...قلعة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] .



(٣)
حضارتهم : بين بدايات الإبادة . . ونهايات الخراب

منذ أكثر من قرن وهى تخطط لكي تكون القاطرة ؛ أما غيرها- حتى أقرب الناس إليها- فهم العربات . .

قد تكون هناك عربة للدرجة الأولى ، تحتلها أوروبا مثلاً ، وقد تكون هناك عربة للدرجة الثانية تحتلها أمريكا اللاتينية . . وفى العربة الثالثة تقبع اليابان أو الصين . . . كل ذلك جائز ؛ لكنه يبقى في ظل العقيدة السياسية والاستعلائية التي تحتفظ للقاطرة بمكانها القيادي (المتبوع) ، وتحتفظ للعربات بمكانها الخلفي (التابع) .

وبدأت رحلة القرن العشرين الميلادي ، وبدأوا يظهرون على السطح بعد أن كانوا يعيشون وسط سور كبير يجعلهم يعيشون لذاتهم وفى عالمهم بعيدًا عن الصراعات من حولهم .

وقد كانوا في الحقيقة- أثناء حيادهم السلبي وعزلتهم- يخططون تخطيطًا استراتيجيا بعيد المدى ويمكرون . . فلما بدأت بشائر القرن العشرين ، وبدأ ظهورهم على المسرح كقوة هائلة ؛ كانوا قد نظموا بيتهم الداخلي تنظيمًا آمنًا كاملاً ؛ قام على جماجم أكثر من ثلاثين مليونًا من أصحاب أمريكا الأصليين وهم الهنود الحمر من الأفارقة .

وقد كان إعلامهم- كإعلامهم اليوم في العراق وأفغانستان- يخفى أكثر الحقائق ويشوهها ، وبالتالي تمت إبادة الهنود الحمر في سكينة وهدوء !! وجرت واحدة من أكبر المذابح في التاريخ . . بين

صاحب الأرض والحق- المتخلف الذي لا يملك إلا أسلحة بدائية- وبين قوة جبارة محتلة غاصبة، جاءت لتقضى عليه، وتحتل أرضه، وتنفيه من التاريخ، ومن قُدِّرَ له أن يعيش فعليه أن يعيش عبدًا أو شبه عبد!! وعليه - أهم من ذلك - أن يعتنق النصرانية شاء أم أبى!! كما قام (شارلمان) بتنصير الشعب الألماني بالقوة؛ ومن لم يتنصَّر حُكم عليه بالإعدام.

وازدادت معاملة الهنود الحمر سوءًا، وفُرض عليهم ترك لغتهم وقيمهم ونظام حياتهم بعد أن أُرغموا على ترك دينهم.

ولم يكن كل ذلك سهلاً؛ فالناس لا يتخلون عن دينهم، وعاداتهم، وتقاليدهم بسهولة حتى لو وُضعوا في محيط مختلف.

وبالتالى تعرَّض هؤلاء لألوان بشعة من التعذيب على يد المؤسسة الكنسية التى سيطرت على أمر أمريكا وكندا واستراليا الدائرتين في فلكها لفرض النصرانية على الهنود الحمر بالقهر، والتعذيب، والقتل عند اللزوم.

وكانت الكنيسة والدولة في أمريكا، وكندا، واستراليا كلها تتعاون على فرض النصرانية بالقوة لأنها الطريق في رأيهم للتنازل عن القيم والتقاليد والذوبان في عقيدة المجتمع وتقاليده.

وبعد سلسلة من القوانين والإجراءات فضلًا عن الضغوط النفسية والفكرية الدائمة؛ صدر في عام ١٩٢٠م قانون ينص على إلزام كل

طفل هندى أن يلتحق بالمدارس الداخلية (التنصيرية) فور بلوغه سن السابعة ، ومن يمتنع عن إرسال أبنائه إلى المدارس يتم سجنه . . وقد بلغ عدد المدارس التى أُنشئت لتلك الغاية أكثر من مائة مدرسة ، وكان تصميم تلك المدارس يشبه تصميم معسكرات الاعتقال الجماعي ، والهياكل العسكرية ولا علاقة لها بنمط أو بشكل المؤسسات التربوية .

وبالطبع كان الالتحاق بتلك المدارس إجبارياً ، وكان يتم اختطاف الأطفال الذين يرفض ذووهم التضحية بهم ، وحبسهم في المدارس ، كما كان يتم التفريق بين الأخوة والأقارب ، وتوزيعهم على مدارس متباعدة لقطع أى تواصل بينهم .

ولم يكن الأهالي على علم بالمدارس التي يُجبر أطفالهم على الالتحاق بها ، وعند معرفة البعض لها بعد بحث طويل كان الرهبان يساومونهم على رؤية أبنائهم بالتنازل عن أراضيهم ، أو دفع مبالغ مالية كبيرة ، ومعادن ثمينة .

وكما يقول الدكتور عبد الحكيم مرة في دراسته عن الهنود الحمر: كان الأطفال في المدارس الداخلية يتعرضون لأقصى العقوبات لأدنى سببب ؛ فالتحدث باللغة القومية ، أو رفض الأوامر ، أو عدم الرغبة في تناول نوع معين من الطعام ، وحتى التبول اللاإرادي في الفراش . . كان يعرضهم لعقوبات جسدية عنيفة ،

فيما كانت عقوبة الهروب من المدرسة ، أو رفض الالتزام بتعاليم الكنيسة تصل إلى حدّ الإعدام!!

وعلى مسئولية الباحث الدكتور عبد الحكيم مرة فإن هؤلاء الأطفال والطلاب من الهنود الحمر كانوا يتعرضون للضرب بالأيدي ، وأرجل الكراسي ، والطاولات ، والعصى ، وقضبان الحديد ، وبالسياط ، ووخز الدبابيس في ألسنتهم وآذانهم وأعضائهم التناسلية!!

وفى أحيان كثيرة كانوا يتعرضون للخنق بالأيدي ، وللتسميم ، وللصعق بالكهرباء ، وللإلقاء من النوافذ ، والأسطح ، ومن أعلى السلالم ، وكان يتم معاقبتهم بوضع رءوسهم في حُفَر المراحيض وإجبارهم على أكل الفضلات البشرية!! وكان البعض يُجبَر على قتل الأرانب والقطط ثم أكلها ميتة ، كما كان يتم نتف شعر رؤوسهم ، وسحلهم على أرضيات أسمنتية ، وسجنهم في الخزائن والطوابق تحت الأرضية .

وتعرض العديد من هؤلاء الطلاب للرمي في النار والدفن وهم أحياء بعد إجبارهم على حفر قبورهم بأيديهم ، وكثيرًا ما تعرض الطلبة للتجويع والوقوف حفاة الأقدام على الجليد لساعات طويلة حتى الموت!

وقد شاركت المؤسسات الأمريكية نظيراتها الكندية في حروب

الإبادة للهنود الحمر ؛ فقام مكتب التحقيق الأمريكي ، وجهاز المخابرات الأمريكية بإجراء تجارب طبية ، وبيولوجية ، ونفسية ، وطرق التحكم بالتفكير وتوجيهه لصالح المؤسسات العسكرية الأمريكية على هؤلاء الطلاب الأطفال .

وقد بلغ مجموع من قتلتهم أمريكا في مغامراتها ١١٢ مليون إنسان منهم ٢٠ مليونًا أُبيدوا من الطلاب والأطفال ضحية مشروع (نشر الحضارة) بين الهنود بالقهر والترويع .

وجدير بالذكر أنه في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين قامت أمريكا بشن ٩٣ حربًا جرثومية شاملة على الهنود الحمر ، جلبت لهم الجدري ، والطاعون ، والكوليرا ، والحصبة . . . وفي عام ١٨٣٠م وضع الكونجرس قانونًا يسمح بترحيل الهنود بالقوة من بيوتهم ، وأصبح من حق المستعمر الأمريكي طرد الهندي من أرضه أو قتله ؛ وقد أعلن حاكم إحدى المستعمرات ويدعى (وليم براد فورد) أن نشر هذه الأوبئة بين الهنود يُدخل السرور والبهجة على قلب الله!! (حاشا لله) .

وفي سنة ١٨٤٦ - بالتحديد- احتلت الجيوش الأمريكية ولاية (كاليفورنيا) وأبادت ٨٠٪ من الهنود الحمر فضلًا عن تجارتها القذرة بالنساء والأطفال .

وكان يتم التغطية على الجرائم المرتكبة بتزوير الوقائع والوثائق والمراسلات أو إتلافها ، وقتل الشهود وشراء ذِمَم القضاة والضحايا ، وقد بلغ عدد الضحايا الذين قضوا نتيجة مشاريع التنصير القسري أكثر من ٥٠ ألفًا من الأطفال ، أما عدد من عانى معنويا وروحياً ؛ فقد زاد عن مئات الآلاف .

وكان للكنيسة الدور الأساسي في هذه المجزرة البشرية لأطفال وأبناء الهنود الحمر .

وهكذا كانت بدايات الوثبة الأمريكية . . وهكذا- أيضاً- تجلت بعض معالم مشروعها (الحضاري!) الذى انتهى بها إلى الزعم بأنها (نهاية التاريخ) ، وبأنها القَدَر الغالب لعدة قرون!!

ولكن الذي خَبُثَ لا يخرج إلا نكداً ، ولقد ظلت أمريكا وتابعاتها كندا واستراليا يمارسون الإبادة الصامتة ، والتعذيب والقتل المبارك من أجداد البابا بنديكت السادس عشر الذي يرمى الإسلام بأنه دين السيف . . وهو يعلم- بيقين- أنه كاذب ، لكنه ، وكل الدعاوى الأمريكية التي اتّهم فيها المسلمون بالإرهاب والتطرف ، وحتى أسطورة ١١ سبتمبر التي أعطتهم- إذناً- في رأيهم- بإبادة شعوب إسلامية بأكملها- حسب تخطيطهم الذي سيفشل بإذن الله ، ويصبح وبالًا عليهم . . . كل هذه الحيل والألاعيب التي يمارسها رؤساء أمريكا ، ورؤساء الفاتيكان ،

والإعلام التابع لهم . . إنها تهدف إلى التغطية على تاريخهم العفن الملىء بأسود الصفحات ، والذي لا يليق بأي مجتمع إنساني مهما كانت بدائيته ، ولا بأي قانون مهما كانت عنصريته!!

وبينما كانت أمريكا والسائرون في فلكها يمارسون هذه الإبادة للأطفال والغلمان والشباب فضلا عن الكبار من الهنود الحمر ؛ كانت تغذى ضمنًا مسيرة الحروب في العالم . . ويبدو أن الالتحام الصهيوني بأمريكا بعد (وعد بلفور ١٩١٧م) وشعور اليهود بأن شمس الإمبراطورية البريطانية في غروب ، وشمس الولايات المتحدة في سطوع ، وأنها المؤهلة لقيادة العالم . . زحف اليهود جماعات وأفرادًا بالطرق المشروعة وغير المشروعة على أمريكا حتى وصلوا إلى عدة ملايين . . ومن هنا التحمت السياسة الأمريكية بالسياسة الصهيونية والتي تؤمن بحسب التلمود والتوراة بجواز إبادة الجنس البشرى ، (أي: الأُمِّيين) الذي سماهم القرآن (الأُمِّيين) . . فشعار اليهود كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ [آل عمران: ٧٥] .

وراحت أمريكا كعادتها- مع أنها تقف فوق هذه الجماجم من الروائح العفنة ومئات الألوف من قتلى ومعذبي الهنود الحمر- تظهر للناس وجهًا إنسانيًا وكأنها (العالم الجديد) أو (العالم الحر!) ، لكنها ظلت ترفض القيام بِأيِّ دور إيجابي لمصلحة الإنسانية ، اللهم

إلا بالشعارات الخادعة كمبادئ (ولسون) الأربعة عشر . . .

وعلى مقربة منها ، وَبِصمت له ما وراءه ؛ قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩م) بين أبناء عمومتهم . . فلم تحرك ساكناً!

ثم تطورت الأمور فقامت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م) فلم تحرك ساكنًا إلا بعد أن دمر (هتلر) أوروبا ، ووقعت اليابان في خطئها الكبير في (بيرل هاربر) وقام الألمان بالدخول وأنهكوا في دخولهم بلاد روسيا الجليدية . . وحتى هذه اللحظات لم تنقذ أمريكا حلفاءها وأصدقاءها في العقيدة والحضارة إلا بشروط قاسية ، فقد أقرضتهم بفوائد أزعجتهم كل الإزعاج ، ثم قامت بتنحيتهم عن مكان الصدارة لتصعد هي إلى قمة التحكم في العالم الحرِّ والليبرالي! ومستعمرات بريطانيا ، وفرنسا المندحرتين في دول العالم الثالث . .

ولمدة نصف قرن تقريباً ، ظلت أمريكا في حرب باردة- وساخنة أحياناً- مع القوة الاشتراكية التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية باسم (الاتحاد السوفيتي) . . ولا يعلم إلا الله كم من (التريليونات الدولارية) أُنفقت في هذه الحرب الباردة ، والتي جعلت أمريكا تصرِّح مزهوة بأنها تملك من المخزون النووي ما يدمر الحياة الإنسانية أربع مرات!!

فلما سقط الاتحاد السوفيتي ؛ ظنت أمريكا أن كل شيء قد انتهى ، ناسية القاعدة القرآنية : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[الأنعام: ١٣٢]

ولقد روَّجت في كتب ودراسات وصحف أنها أصبحت القادرة على كل شيء وأنها الحل النهائي والمثل الأعلى والقوة الأعظم ، وأنه لا أحد يستطيع إلى أبدِ الآبدين اختراقها أو القضاء عليها . . لقد قالت بلسان الحال الفرعوني : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨] . . وقالت بصريح العبارة: (حضارتنا نهاية التاريخ !) مع أن هذا الشعور ، الكاذب ، وهذه العبارة الفاجرة ؛ يصادر حق الله في المستقبل ، وكأن أصحابها يعلمون الغيب ، ومعروف أن كل هذا التجبر والتأله على الجنس البشري . . . كله قد جاء في القرآن الكريم الذي نزل على محمد ‌ﷺ منذ خمسة عشر قرناً ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤] .

ولم يكن ممكنا أن تفهم أمريكا وأتباعها- وهم يمارسون أبشع أنواع الظلم- أنهم إنما يحاربون الله . . فما خلق الله الناس لتفعل بهم أمريكا- أو الطغاة- هذا الذي تفعله ، وما أنشأهم في أحسن تقويم

لتقتلهم أمريكا بأسوأ مما يُقتل به الحيوانات!! في عالم منافق يتشدق بالرفق بالحيوان فأين الرفق الأمريكي بالإنسان!!؟

لقد مكرت أمريكا مكر السوء ، وخططت من خلال المراكز الاستراتيجية وآلاف المراكز البحثية الاجتماعية ، والعسكرية ، والإنسانية . . لكنها نسيت أن الله أكبر منها وأنه محيط بكل شيء علماً . . ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] كما نسوا أيضًا أن كيد الله متين ، قال تعالى : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣] وقال أيضاً: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣] .

وليصدقني الناس أو لا يصدقونني: إن ما وقع من زلزال سبتمبر الأخير ، هو رد من الله على (تمثيلية سبتمبر) التي اصطنعتها قوى الظلم لتدمر بها شعوبًا إسلامية مثل أفغانستان ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان .

وليصدقني الناس أيضًا أو لا يصدقونني: فإن الكارثة الاقتصادية الأخيرة في سبتمبر ليست كارثة عابرة وليست بذرة ، بل هي ثمرة ونتيجة لبذور فاسدة ، ولمجتمعات تركت عبادة الله وعبدت الدولار!

وهذه الكارثة هي البداية ولها ما وراءها ؛ فالقاعدة الحضارية أنه إذا اهتزت قواعد البناء سرعان ما تتداعى الطوابق الفوقية ، وصدق الرسول (عليه الصلاة والسلام) : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته » (رواه البخاري) .

إن (أوباما براك)- الرئيس الأمريكي الجديد- الذي نجح باكتساح - في انتخابات نوفمبر الأخير- إنما نجح هذا النجاح (وهو الأسود سليل المستعبدين) في لحظة إفاقة من الشعب الأمريكي الذي أصبح يعيش بضمير ممزق . . بعد أن عاش بوادر الكوارث . . فتذكر تاريخه الحافل بالظلم والقسوة . . ولهذا وقف وراء الأَسْوَد (أوباما) . . تكفيرًا عن مآسي الماضي . . منتظرًا أن ينقذ هذا الأسود أمريكا بعد أن لطَّخ الإنسان الأبيض العنصري تاريخها في الماضي والحاضر بالأوحال . . وسواء نجح (أوباما) في الإبطاء بعجلات السقوط المتسارعة . . أم لم ينجح . . فإن علينا نحن المسلمين أن نعد أنفسنا لكي نكون صالحين جديرين بالتمكين ، مؤهلين لإنقاذ الإنسانية بالعدل والرحمة ؛ أي أداء حق الوراثة والقيادة العالمية متمسكين بوعد الله لنا في التمكين في الأرض وإنقاذ الإنسانية . . قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦].



(٤)

أرض الدماء ..
مهد الحضارة الأمريكية

من المهاجرين والأنصار ظهرت دولة العقيدة الناشئة في المدينة التي امتدت بأغصانها وفروعها إلى كل بلاد العالم .

إنها دولة تقوم على الدفاع لا على الهجوم ، وكل ما تطمح إليه أن يفتح الناس أبوابهم وبلادهم للتعرف عليها ، وبعد ذلك من حقّهم أن يرفضوها أو يقبلوها ، لأنه من أصول الدين الذي أرسله الله إليهم ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

وهى دولة تسعى إلى السلام دائمًا ولو كان فيه بعض الإجحاف كما كان يراه عمر في صلح الحديبية ، ولم تلبث هذه القلة المؤمنة التي ساحت في الأرض وهى تحمل أخلاق الإسلام وقيمه وعقيدته السمحة ورسالته الإنسانية ، وتنشر العدل والحب والسلام لم تلبث هذه القلة المؤمنة حتى نجحت بالمبادئ التي قدمتها للإنسانية في أن تجعل الناس عن رضا واقتناع وحب يدخلون في دين الله أفواجًا ، ولم تلبث هذه القلة أن مَكَّنَ الله لها في الأرض ، لتقيم الصلاة ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتفرض العدل ، وتنشر الإيمان بالله ورسوله عبر كل بلاد العالم ، وكانت العناصر التي قامت عليها تتشكل من أحرار ضَحُّوا بكل شيء ، وهم المهاجرون ، ومن عبيد ذاقوا الأَمَرَّيْنِ حتى وجدوا مدينة الكرامة والحرية والعبودية لله وحده ، ومن أنصار أحبّوا من

هاجر إليهم وآثروهم وعقدوا معهم بأمر رسول الله عقد المؤاخاة ، والتقوا جميعًا خمس مرات في كل يوم يصلون لله وحده في المسجد الذي أقامه الرسول دعامةً أساسيةً من دعائم الدولة .

الإمبراطورية الأمريكية الميلاد والمسيرة :

هذه هي قصة قيام الدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية فكيف كانت قصة قيام الإمبراطورية الأمريكية التي ما جني العالم منها خيرًا قط ؟ فحتى التكنولوجيا التي تفوقت فيها جعلتها بلاء على العالم ، وأبادت بها شعوبًا وكانت أول قوة في التاريخ تستعمل القنابل الذرية .

لقد قامت أمريكا منذ بدايتها ونشأتها على هجرة مجرمين من خريجي السجون ، وقطاع الطرق ، والمحكوم عليهم بأحكام قضائية في بريطانيا وغيرها فضلًا عن الطامحين الباحثين عن الثروة والمال حتى ولو كان ذلك بأسوأ الطرق .

لقد بدأ ميلاد أمريكا وظهورها على مسرح التاريخ عندما نجح البرتغاليون في ميادين الكشوف الجغرافية ، فتمكن الملاح البرتغالي (أمريكو فيسبوتشي عام١٤٩٧م) من القيام برحلات عديدة أوصلته إلى البرازيل في أمريكا الجنوبية ، ومهما يكن من أمر فإن اسم أمريكا أطلق على هذا العالم الجديد ؛ نسبة إلى هذا العالم أمريكو فيسبوتشي ، الذي استطاع أن يكتشف ساحل البرازيل ، وأخذ بعد عودته إلى أوروبا ينشر أخبار سَفَرِه بالكتابة عنها حتى

طغت شهرته على شهرة كولمبس .

الطبقات :

كانت طبقة رجال الأعمال هي الصفوة في البلاد وفي مجتمع قوامه التملك ، لم تستطع أن تتحداها طبقة أخرى لكن صفحة أمريكا الطبقية السوداء كانت مفتوحة ومستمرة فالزنوج المخطوفون من إفريقيا والهنود الحمر الذين خطط لإبادتهم بقيت سياسة حية مستمرة فالزنوج مجموعة سلالية هي أوضح في معالمها عن الأمريكان أنفسهم لأنها منعزلة كالقبيلة الإفريقية التي جاءت منها ، والمأساة الكبرى في أمريكا تتمثل في طبقة الأمريكيين الأصليين الهنود الحمر وخلاصة الفلسفة الأمريكية السياسية والفكرية الطبقية تقوم على فكرة الاستعمار القذر ، والاستعمار القذر هو الاستعمار الذي يقوم على سرقة الأرض ، وطرد أصحابها الأصليين أو قتلهم أو تهميشهم ، وأمريكا إلى اليوم لم تعترف مطلقًا بعدد الهنود الحمر الذين تعرضوا للإبادات الجماعية والجرائم الإنسانية في أمريكا ، وتمتلئ المقررات الدراسية التي يدرسها الطلاب في المدارس الابتدائية الأمريكية بآلاف المغالطات التاريخية ، وحشد من الأكاذيب التي بَرَعُوا في تأليفها عن حقيقة الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين قبل مجيء الإنسان الأبيض للقارة .

وهناك شهادة لهوارد سيمبون في مقدمة كتابه عن دور

الأمراض في التاريخ الأمريكي يقول فيها : إن المستعمرين الإنجليز لم يجتاحوا أمريكا بفضل عبقريتهم العصرية ، بل كانوا ينشرون الأوبئة الفَتَّاكَةَ بقصد الإبادة الجماعية ، حيث برعوا في سياسة العمل بالسخرة التي طبقت على البقية القليلة الباقية من الهنود الحمر الذين نَجُوا من تلك الإبادات ، وعلى الزنوج الذين كانوا يسرقونهم بالجملة من قلب إفريقيا ، وطَبَّقُوا الأساليب غير الإنسانية والمروعة في حق هؤلاء ، وَمَارَسُوا ضِدَّهُم التجويع الإجباري والترحيل الجماعي ، وشتى أساليب تقويض المعنويات ، وكان نظام السخرة من أَفْتَكِ أسلحة الأوبئة التي نشروها وسط الهنود الحُمْرِ .

استقلال أمريكا :

ولأسباب كثيرة استفزازية من جانب بريطانيا التي كانت أمريكا تابعة لها اندلعت الحرب بين بريطانيا والولايات الأمريكية عام ١٧٧٥م ، وهى ما يُسمى بحرب الاستقلال .

وفى عشرة مايو اجتمع الكونجرس الأمريكي وقرر إنشاء جيش أمريكي موحد من كل الولايات التي اشتركت في الاجتماع .

وفى يوليو ١٧٧٦م ، صدر إعلان الاستقلال عن بريطانيا الذي دبَّجه قلم توماس جيفرسون موقعًا عليه من الولايات الحاضرة الاثنتي عشرة ، وقامت حروب بين الطرفين انتهت بهزيمة بريطانيا

وانتصار أمريكا ، ومن ثَمَّ بدأت المفاوضات مع بريطانيا على أساس الاعتراف باستقلال أمريكا من غير قيد أو شرط ، وتبع ذلك مفاوضات الحدود ، ومصائد الأسماك ، والديون الإنجليزية ، ثم وقعت الهُدْنَةَ بين أمريكا وانجلترا في ٢٠ يناير ١٧٨٢م ، وبعد الظفر بالاستقلال وضعت أمريكا أنظمة جديدة لأمة مستقلة ذات حكومة مركزية ، وكان دليل العمل يقُوم على مبدأ مونرو الذي يقضي بتفرغ الولايات المتحدة للنَّظر في قضاياها الداخلية ، وعدم السَّمَاح لأحد بالتَّدَخُّلِ في شئونها ، وكذلك عدم تدخلها في شئون الآخرين .

أمريكا والحضارة الحديثة :

عندما نَطُلُّ على العشرينات الأولى من القرن العشرين ، سنجد أمريكا لم تعد الدولة المنعزلة فقد انتهت مبادئ مونرو وبدأت أمريكا تبرز كقوة أولى ؛ وبعد أن كانت تابعة لبريطانيا ، أصبحت بريطانيا تقف في الظل خلف أمريكا ، بل أصبحت أوروبا كلها ما عدا ألمانيا في حاجة إلى أمريكا ، بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة .

وبما أن أمريكا لا تعرف العواطف ؛ فقد أزاحت الاستعمار القديم ، وعلى رأسه البريطاني ، والفرنسي ، والأسباني ، وغيره ، وبدأت أمريكا تشعر بقوتها العالمية ، وبأنها فوق الجميع ولماذا لا؟

وهى النصير الأكبر لأوروبا في الحربين العالميتين الأولى والثانية .

لقد دخلت الحرب الأولى في نهايتها بعد علمها بتحريض الألمان للمكسيك بمهاجمة أمريكا ، وكانت نتائج الحرب بين قتيل وجريح تقترب من العشرين مليوناً ، أما الحرب الثانية فكانت نتائجها ٦٢ مليون قتيل ، وَتَكَلَّفَتْ تريليون دولار أمريكي بمشاركة نحو مليون جندي .

ولأول مرة وبدون أية أسباب معقولة ، استعملت القنابل الذرية في تدمير (هيروشيما ونجازاكي) مع أن اليابان كانت قد استسلمت ، وكانت البضائع الأمريكية والصناعات الأمريكية قد أصبحت الأكثر انتشارًا في العالم ، ولم يكن هناك منافس لأمريكا في الازدهار الصناعي ، والزراعي ، والتجاري فهي الأغلى والأعلى والأروج .

ومع نهاية الحرب ، كانت أمريكا قد بدأت سياسة جديدة ، هي سياسة السيطرة على العالم ، والدخول في معارك ضارية ؛ من أبرزها فيتنام التي قتلت فيها أمريكا ٢ مليون فيتنامي! والحرب الكورية ، والفلبين عندما طردت الأسبان منها . . وأخيرًا أفغانستان ، والعراق ، وفلسطين من خلال اليهود ، والصومال من خلال الأحباش .

ومما لاشك فيه أن أمريكا كانت المتفوقة في استغلال الفضاء . .

كما أنها رزأت البشرية بأبشع وسائل الإبادة ، وكانت سَبَّاقَةً فيها بطريقة جنونية .

ولم تترك أمريكا شيئًا إلا أبدعت فيه . . لكن الميزان اخْتَلَّ في يَدِهَا . . فقد اعتمدت ميزان القوة . . وتركت ميزان الحق والعدل والرحمة . . وحتى وهى تنادى بحقوق الإنسان ومحكمة العدل والجنايات . . ومقاومة الإرهاب . . كانت تتاجر بهذه الشعارات .

إن حضارة أمريكا المعاصرة . . موصولة بحضارتها القديمة . . بعصر إبادة الهنود الحمر وعشرة ملايين إفريقي زنجي .

إن أمريكا قامت على أشلاء أكثر من خمسين مليونًا من الهنود الحمر الذين تعرضوا للإبادة بِوَحْشِية ، وعلى أشلاء عشرين مليون إفريقي مات نصفهم في المحيطات ، ووصل النصف كعبيد - بعد أن خُطفوا من أفريقيا السوداء . وبعد خروج أمريكا من مرحلة العُزلةَ التي فرضتها مبادئ « مونرو » دخلت الحربين العالميتين الأولى والثانية .

وظلت تُعَرْبِدْ في العالم إلى أن ظهر بوش الابن فكان أحطّ رئيس أمريكي في القرن العشرين ، وبلغت وحشيّته عندما اخترع بالتعاون مع اليهود ومع بعض أجنحة المخابرات حادث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ليعلن بعده ومن غير أي تحقيق حربًا

صليبية على كل المسلمين، فصار كل مسلم إرهابيًا، حتى في داخل أمريكا، وظهرت عشرات الكتب باللغات الأجنبية تكشف « لعبة سبتمبر القذرة » والأهم أنه بعد هذه اللعبة القذرة استطاع (بوش الابن) أن يقتل ثلاثة ملايين مسلم في أفغانستان والعراق.

لقد قام الطيران الأمريكي والبريطاني في أفغانستان بأكثر من (٤٧٠٠) طلعة أسقط خلالها(١٢٠٠٠) قنبلة تحتوى على اليورانيوم المُنَضَّب الذي كان سببًا في تلوث هائل في أفغانستان، وتم قتل أكثر من(١٠.٠٠٠ مقاتل) مقاتل وتشريد ستة ملايين مدني خارج أفغانستان يتعرضون للموت والجوع، وتشريد مليون مدني داخل أفغانستان، وتم قتل الأسرى بالجملة فقتل (٦٠٠) أسير في قلعة جانجي في يوم واحد، وحمل معتقلون كثيرون من المسلمين إلى قواعد عسكرية أمريكية خارج أمريكا حرموا من كل الحقوق الإنسانية، حتى من حق الدفاع عن أنفسهم بواسطة محامين ... وقد سجلت (٦٠.٠٠٠) ألف حادثة عنف ضد المسلمين في أمريكا خلال السنة التالية لأسطورة سبتمبر٢٠٠١ أو لعبة سبتمبر القذرة، وما جرى لأفغانستان جرى مثله تقريبًا في العراق وقد سكتت أمريكا عن قتل مائة ألف قتيل في البوسنة والهرسك، وعن مائة ألف مُعتقل ظلمًا، وعن أربعين ألف معتقلة اغتصب الكثيرات منهن، وعن (٤٠٠.٠٠٠) بلا مأوى يعيشون في

درجة البرودة ٣٠ درجة تحت الصفر ، ومليون ونصف مليون مُشَرَّدْ .

واستمر ذلك حتى رضيت البوسنة بأضعف ما يمكن من الحقوق ، وكان الصِّرْبُ المغرورون قد بالغوا كل المبالغة وتحدوا أمريكا وأوروبا ، بل والعالم كله ، فتحركت أمريكا وأمرتهم بالتوقف . . بعد أن تركت لهم فرصة ارتكاب كل هذه الجرائم التي كانت تجرى تحت سمعها وبصرها .

لكن ربك لأمريكا ولكل القوى الظالمة بالمرصاد ، وكما كانت البداية تعسة دموية فها هي أمريكا- التي لم تتراجع يومًا عن هذه السياسة- تبدأ في السقوط ، وكما يقول المؤلفان (هاري فيجي ، وجيرالد سوانسون) في كتابهما «سقوط أمريكا قادم . . فمن يوقفه»: إن أمريكا انتهت فعلاً ، فمنذ سنة ١٩٩٥م وصلت ديونها إلى أكثر من (٥٦ .٦تريليون دولار) أي تسعة أضعاف واردات الضرائب وستصل فوائد الديون إلى ٦١٩ مليار دولار . . وقد عرض المؤلفان لبعض مراحل الانهيار الأمريكي ، ففي عهد الرئيس جونسون (٦٤ - ١٩٦٨م) بلغ العجز الكلى للسنوات الخمس ٤٤ .٨ بليون دولار . . وفى عهد نيكسون (٦٩ - ١٩٧٤م) بلغ العجز الكلى للسنوات الست ٦٧ بليون دولار ، وفى عهد (ريجان) (٨١ - ١٩٨٨م) بلغ العجز الكلى للسنوات الثمانية (١.٣٤) تريليون دولار ، وفى عهد (بوش الأب) والد الرئيس

الدموي (بوش الابن) والذي حكم من ٨٩ - ١٩٩٢م بلغ العجز الكلي للسنوات الأربع ١.٤٠ تريليون دولار!! وقد ذكر محمد حسنين هيكل - من مصادره التي ينقل عنها- أن الناتج القومي الأمريكي كله لن يكفي لسداد الفوائد فضلًا عن الديون في (٢٠٢٠م) . . أي أن الدخل الأمريكي كله في (٢٠٢٠م) أي بعد عشر سنوات سيكون ملكًا للدائنين لأمريكا . . فكأن أمريكا لن تصبح مِلْكًا للأمريكان في هذا التاريخ!!

ومع ذلك فإن أمريكا لا تزال تعالج الأخطاء بالأخطاء ، فتركبها الصهيونية وَتَرْضَخُ لَهَا ، وتعتمد على القوة وحدها ، وليس لديها مساحة للعدل أو الحق أو الرحمة ، بل إنها تزداد سرقة ونهبًا لثروات شعوب الأرض - لاسيما النفط أو المعادن الأخرى- معتمدة على قوتها العسكرية ، ومازالت تبدد أموالها في حروب لا نهاية لها ، فقد أعلنت زيادة الميزانية العسكرية أيام بداية حربها على أفغانستان فأصبحت (٣٠٠) مليار دولار سنوياً ، مع أن ميزانية الصين العسكرية- على ضخامتها (٤٠) مليار ، وميزانية اليابان العسكرية أيضًا (٤٠) مليار ، والصين واليابان دائنتان لأمريكا بمبلغ لا يقل عن ١٢٠٠ مليار دولار . لكنه . . جنون العظمة العسكرية الأمريكية التي تدفعها بقيادة الصهيونية لها- إلى الهاوية ، وبمساعدة رؤساء مجرمين من أمثال (بوش الابن) .



(٥)
مستقبلنا القادم ..
ورسالتنا العالمية

بداية سقوط القوى الظالمة :

ها هي – أخيراً – سنة الله بدأت تعمل عملها في اتجاه بعثنا نحن المسلمين .

– وها هي تدور – أخيراً – ضد أعدائنا الذين يدخلون الآن مرحلة العد التنازلي في طريقهم إلى الانهيار والسقوط .

لقد ظلوا لعدة قرون يعبثون بنا ويمزقوننا إربًا ، وينشرون الأفكار القاتلة – الشرقية والغربية – بيننا . . . وبقينا لعدة قرون نرزأ تحت كابوسهم العسكري ، وجيوشهم اللا إنسانية . . . تلك التي كانت تتلذذ بسفك دمائنا ، مثلما يظهر الجيش اليهودي الإسرائيلي نشوته في أيامنا ، وهو يمارس قتل أولادنا وهم في أحضان آبائهم . .

وخلال هذه القرون ما وجدوا سبيلا لإبعادنا عن ديننا ، وتشويهه ، ودعوتنا الصريحة إلى النصرانية – إلا ساروا فيه ، فإن تعذر ذلك دفعونا إلى العلمانية والحداثة (اللا دينية) . .

وكثيرًا ما حَدَّثُونَا عن أنفسهم على أنهم القوة التي لا تُقْهَر . . . وأنهم الحضارة الواحدة الثابتة التي لا تزول ، ولا تغرب الشمس عن أرضها . . .

لكن ها هي الشمس قد غربت عن بريطانيا العظمى . . وها هي الشمس قد غربت عن بلاد الشيوعية والاشتراكية العظمى

(الاتحاد السوفيتي) . . .

وها هي أمريكا التي انطلقت من موقف أكثر تكبرًا وتجبرًا ومعانقة للصهيونية . . وعاثت في الأرض خلال سبعة عقود كل أنواع الفساد . . وَدمَّرَتْ دُوَلاً . . . وانتهكت أعراض الأسرى ، وقامت بتعذيبهم أبشع ألوان التعذيب ، وكل ذلك باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان . . .!!

ها هي أمريكا تقع في مستنقع الاستنزاف الاقتصادي الرهيب ، فقد كشف العالم (جوزيف ستيجليتز) أستاذ الاقتصاد الحاصل على جائزة نوبل في المحاسبة أن تكاليف حرب أمريكا على العراق وحدها تقترب من ٢ تريليون دولار ، وقد نشرت الصحف البريطانية والأمريكية تقديرات هذا العالم ، وسخرت الإدارة الأمريكية من هذه التقديرات في البداية ، ثم ها هي تعترف بجزء من الحقيقة بمناسبة دخول الحرب عامها الخامس .

ها هي أمريكا التي كان فلاسفتها يذيعون أنها (نهاية التاريخ) . . . ويبررون لها استباحة الأرض باسم (صدام الحضارات) ، وإبادة أربعة أخماس البشر باسم (العولمة) . .

ها هي القوة التي قيل إنها أعظم قوة في التاريخ ، تغرب عنها الشمس- في هدوء- ويشعر أصحاب البصائر وفقهاء التاريخ أنها بدأت تسير في طريق الأُفُول . . . وأن أحلام- أوهام- المشروع

الإمبراطوري العالمي- فشل فشلًا ذَرِيعًا .

لقد استوفت أمريكا كثيرًا من عوامل الانهيار ، وعلى رأسها الظلم الفاضح وازدواجية المعايير (وهي من الظلم) ، وإهدار قيمة الأخلاق السياسية . . . فما تَعِدُ به وتُبَشِّرُ به اليوم ، سرعان ما تنقضه غداً . . وصديقها هو من ينفذ أوامرها ، ويحقق مصالحها ، ولو كان مستبدًا ظالماً ، لا صلة له بالديمقراطية ولا بالشورى . . . فكل ذلك يمكن السُّكُوتُ عَلَيْهِ . . . أما الأخلاق الاجتماعية فقد قَنَّنت الشذوذ وكَرَّمَتْ الشواذ ، وسعت إلى تدمير الأسرة في العالم ، وعمدت إلى تعسير أبواب الحلال وتيسير أبواب الحرام!!

ولا ننكر أنه قد بقيت فيها عوامل قوة ؛ لكن من المؤسف أنها لا تفكر في تعديل مسارها ، والاعتراف بخطئها تجاه الإنسانية بعامة ، والمسلمين بخاصة ، والقيام- بالتالي- بدور حضاري ينقذ الإنسانية . . . متعاونة مع كل الحضارات . . . متفاعلة معها . . .

ولقد حملت إلينا الأسابيع الأخيرة صورة من صور بدايات الانهيار الواضحة كل الوضوح ففي مواجهة الانهيار الاقتصادي اضطرت (أمريكا) إلى ضخ (سبعمائة مليار دولار) من الاحتياطي الاستراتيجي ؛ لإنقاذ البنوك والمؤسسات الاقتصادية . . ويكاد يجزم أهل الاقتصاد أن هذه الدولارات لا تملك غطاءً من الذهب . . بل يجزم بعضهم بأن الدولار- بصفة عامة- يقف على أرض هشة .!!!

وأخيراً- بالنسبة لأمريكا- فإن حربيها في العراق وأفغانستان . . .
قد يسجل التاريخ أنها المقبرة الأمريكية بإذن الله . . .

مبشرات ربانية للتمكين :

في ديننا- بمصدريه الثابتين القرآن والسنة- بشائر ربَّانية ووعود إلهية نستظهرها في القرآن ونقرؤها في سنة الرسول (عليه الصلاة والسلام) - لكننا نَمُرُّ عليها غافلين ، ولا نتعمد الوقوف عندها ، ولا عرض واقعنا وأنفسنا عليها . . .

ولعلَّ من أسباب ذلك أن هذا هو موقفنا العام في التعامل مع كتاب رَبِّنَا وسنة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى . . . فحتى مع استظهار بعضنا للقرآن وحفظه كاملاً ، إلا أننا لم نجاهد لِنَعْبُرَ إلى مرحلة التدبر ، وفقه السنن ، وعرض أمراض الواقع ، وآفات النفس على القرآن- أو على السنة الصحيحة- وهذا سبب أول .

ومن الأسباب أيضاً: ضعف اليقين والثقة في الإسلام لدى بعض العقول المنهزمة .

وكذلك من الأسباب أن يظن بعضهم أن أغلب هذه النصوص تقتصر على مرحلة معيَّنة ، وهي في ذهنهم مرحلة الرسالة ، والصحابة ، والتابعين . . مع أن الفقه الصحيح بالنُّصُوصِ يؤكدُ لنا- بجلاء- أنها مطلقة ، وأنها مبشرات ووعود وأطواق نجاة

يقدمها الله للمسلمين كي يتشبثوا بها في كل المِحَنِ، والأزمات، والانحدارات التي تَمُرُّ بهم في تاريخهم الممتدّ إلى يوم القيامة بإذن الله .

إنها- ليست كما يظن هؤلاء- حديثًا عن ماضينا المجيد فحسب، بل إنها- كذلك- علاج لواقعنا الأسيف، ووقود حركة نحو مستقبلنا الوضيء - بإذن الله- كي نندفع ونحن نُبصر شارات المرور، ونستوعب عثرات الطريق، ونعرف مسئولية المستقبل عندما نتمكن ونقود سفينة الإنسانية الغارقة . . فتمكين الله لنا ليس نصرًا منه لقوة عنصرية ظالمة منحرفة . . على قوة أكثر عنصرية، أو ظلمًا، أو انحرافاً . . . إنه تمكين للعدل على الظلم، وللرحمة العامة على الإبادات الجماعية، وللاستقامة والإيمان، على الانحراف والكفر بخالق الكون والإنسان . . إنه تمكين مشروط : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١] .

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩] .

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨] .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور: ٥٥] .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] .

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ .

[محمد: ٣٨]

وبديهي أن هذه الآيات القرآنية كافية جدًا في تأكيد المعنى الاستمراري لوعود الله بالتمكين وبشاراته . . وليس فيها - أبداً - ما يَشُمُّ منه رائحة التقييد بزمان أو مكان . . بل أبرز شروطها الإيمان والعمل الصالح ، والوقوف في خندق الحق لدمغ الباطل ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر!!

ومن جانبها تؤيد أحاديث رسول الله هذه البشارات والوعود الثابتة بالتمكين بعيدًا عن الزمان والمكان .

- يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله زَوَى لِيَ الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لِيَ منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض » (رواه مسلم) .

ويقول أيضًا : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك

الله بيت مَدَرٍ (أي حضر) ولا وَبَرٍ (أي بادية أو قرية) إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز بـه الله الإسـلام وذلا يـذل الله به الكفر » (رواه الإمام أحمد) .

- ومـن الأحاديـث المؤكـدة بوضـوح شـديد للتمكـين مـا ورد عندما سئل رسول الله ﷺ : أَيُّ المدينتين تفتح أولًا قسطنطينية أو رومية ؟ فقال : « مدينة هرقل تفتح أولاً » (مسند الإمام أحمد) . . فمعنى ذلك أن أوروبا وعاصمتها روما سينتشر فيها الإسلام بفتح الـدعوة ، والكلمـة ، والحـوار ، والقـدوة ، وبجهـود الجاليـات الإسلامية التي نأمل أن تتحد على الإسلام ونبذ الخلافات .

وقـال- أيـضاً- عليه السلام « لا تقـوم الـساعة حتـى يقاتـل المـسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والـشجر فيقول الحجر أو الـشجر يـا مـسلم يـا عبـد الله! هـذا يهـودي خلفـي فتعال اقتله » (رواه مسلم) .

- ولكيلا يظن أحد المتشائمين أن الإسلام يمكن أن يختفي عـن المسرح الإنـساني يقـول الرسـول ﷺ : « ولا تـزال طائفـة مـن أمتـي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم مـن خـذلهم ولا مـن خـالفهم حتـى يـأتي بأمر الله وهم ظاهرون على الناس » .

وفى نهايـة هـذه الأحاديـث نـشير إلى حـديث يؤكـد اسـتمرارية

البعث الإسلامي وتتابعة في كل العصور . . . يقول الرسول الكريم ﷺ : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها** » (سنن أبي داود والحديث صحيح) .

ألا تكفينا هذه النصوص الربانية «قرآنا وسنة» ، للانطلاق بثبات وتفاؤل وجدية بعيدًا عن اليأس والتخاذل لكي نستوفي شروط البعث ونستحق التمكين؟!

المبشرات . . من دروس التاريخ :

للإسلام- عبر تاريخه ومسيرته الحضارية- مواقف عملية واختبارات مشهورة تبيّن بجلاء كيف أن آيات الله في القرآن ، وأحاديث نبيه الذي لا ينطق عن الهوى في السنة . . لم تتخلف أبداً . . بل كانت تقع فيراها الناس كما يرون الشمس في الضحى . .

فعندما يبذل البشر المؤمنون كل وسعهم ويأخذون بكل الأسباب لينصروا الله ، تتدخل العناية لنصرهم مهما تكن شراسة قوة الأعداء وشدة الظروف المحيطة بهم . .

ويعدّ حادث هجرة الرسول ﷺ والظروف التي أحاطت به بعد أخذ الرسول بكل الأسباب ، وكيف تدخلت العناية الربانية خلال خروجه من بيته ، بالإضافة إلى ما وقع في الغار ، ومثل لحوق سراقة بالرسول والصِّدِّيق ، وغيرهما . . يعدّ حادث الهجرة

تطبيقًا عمليًا لقوله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧] .

وفى بدر الكبرى (في السنة الثانية للهجرة) لم يخرج الرسول وصحابته للحرب والنفير، بل خرجوا للعير . . فلما كُتِبَ عليهم القتال أخذوا بكل الأسباب الممكنة ونصروا الله فنصرهم الله . .

وبهذا المنظار نقف عند موقعة الخندق وظروفها ، وكيف تدخلت عناية الله؟!

وليس الأمر وقفًا على هذه المرحلة ، ففي فتح الصحابة والتابعين للعالم خلال العصرين الراشدي والأموي حدثت صور كثيرة من هذا القبيل وعلى رأسها كلمة عمر (يا سارية الجبل) التي أنقذت جيش المسلمين بهتاف على بعد مئات الكيلو مترات .

ـ وقد روى أن التابعي (عقبة بن نافع) عندما بدأ بناء القيروان في تونس (إفريقيا) كانت هناك غابة مليئة بالوحوش . . واقترح بعضهم إحراق الغابة ، لكن عقبة استعان (بالله سبحانه) ونادى الحيوانات (يا عباد الله) إننا نمهلكم ثلاثة أيام كي تخرجوا من الغابة في سلام . . فلم تمرّ الأيام الثلاثة حتى خرجت الوحوش كلها من الغابة .

وقصة (ألب أرسلان السلجوقي) عندما التقى بالروم في موقعة (ملازكرد) ولم يكن معه إلا خمسة عشر ألف جندي ، بينما كان

جيش عدوه في ثلاثمائة ألف . . وحاول الهدنة معهم لكنهم رفضوا . . فلبس كفنه وسجد لله ملحًا في الدعاء . . وبايع جيشه على الاستشهاد . . فانتصر بجيشه القليل العدد على الروم . . وأَسَرَ طاغيتُهُم!

وهكذا في كل الشدائد عندما يبذل المسلمون الجهد الممكن ويحسنون الظن بالله . . يكون النّصر حتماً . . . ولا ننسى هنا ظروف حروب الرِّدَّة التي أحاط المرتدون فيها بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ، لكن الله نصر عباده المؤمنين . . .

– ولا ننسى كذلك معارك الحروب الصليبية ، وكيف تَحَوَّل المسلمون من الهزائم إلى الانتصارات بقيادة المؤمنين المخلصين من أمثال عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي . .

وبعدما سقطت بغداد وانتهت الخلافة العباسية على يد التتار . . دخل المماليك ضد التتار المتوحشين معركة المصير في موقعة عين جالوت ٦٥٦هـ ، وهم يرفعون راية (واإسلاماه) بقيادة سيف الدين قطز ، والعالم الورع عز الدين بن عبد السلام . . .

وكم كانت هناك من رعايات إلهية في الحروب الفرنسية الجزائرية التي استمرت مائة وثلاثين سنة ، وفى بقية الحروب ضد

الاحتلال حتى تحقق نصر الله الذي يتحقق للمسلمين في نهاية المطاف . . تطبيقًا لوعد الله ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . .

ومازالت وعود الله ممنوحة تفتح الأمل لكل المؤمنين الذين يسعون لامتلاك مؤهلات التمكين، ويسيرون في طريق النصر . .!!

قيادة الإسلام والسفينة الهاوية :

لابُدَّ من عودة قيادة الإسلام للسفينة البشرية الموشكة على الغرق . . إنها تترنح في وسط أمواج لا طاقة لها بها . . ولا رُبَّان لها . . إلا الإسلام . . بعد أن فشلت كل القيادات الأخرى . . وكبَّدت الإنسانية مئات الملايين من القتلى، ومئات البلايين من الأموال الضائعة في حروب، ومنازعات، وألوان من الترف والفساد . . حتى لتكاد البشرية تموت من الجوع والخوف . . . والظلم العالمي المتعجرف . .

إن الله- الرحيم العادل- لا يمكن أن يترك خلقه لهذه القيادات المجنونة العمياء التي لا تفرق بين موازين الحق وموازين الباطل . .

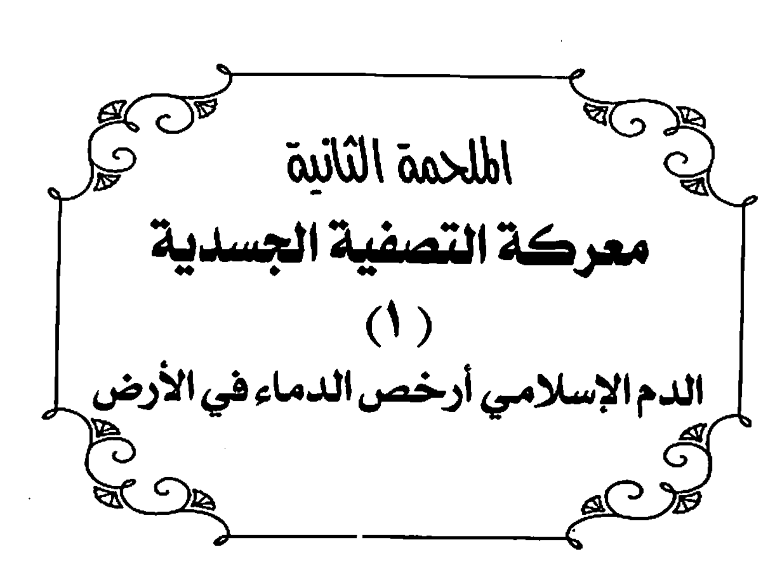
لقد جاء دَوْرُنا في هذا القرن لتتحقق فينا سنة التداول التي وضعها الله في القرآن قانونًا ثابتاً . . ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] . . . لقد أَصَرُّوا هم على كل أنواع الظلم

والباطل ، ورفضوا أي حوار حقيقي ، وزعموا أنهم يملكون التاريخ والجغرافيا وكل شيء . . . وبقية الإنسانية لا شيء . .

- وليس أمام المسلمين إلا أن يَعُدُّوا أنفسهم - بشروط التمكين - لتحمل أعباء المستقبل وإنقاذ الإنسانية . .

- لقد هيأ الله لهم كل شيء : الرسالة الخاتمة الحق ، والقيم العدل ، والثروات البشرية والأرضية الهائلة ، والتعاطف الإنساني معهم ، وطاقات الإعلام العجيبة عبر الفضاء كله . . . وطاقة الانترنت الهائلة . . .

إنهم قادرون على التعامل مع كل العقول ومع كل البيوت في العالم . . عندما يقررون أن يكونوا المستخدمين لله ، ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٤] .



الملحمة الثانية

معركة التصفية الجسدية

(١)

الدم الإسلامي أرخص الدماء في الأرض

لو أن عقلًا الكترونيًا من تلك العقول التي صنعتها أمريكا ، أو وصيفتها على الطرف الآخر من محور القوة « روسيا » .

لو أن عقلًا من عقول هؤلاء أو أولئك توفر على إجراء إحصاء دقيق لتلك الملايين من الرءوس البشرية التي انفصلت عن أجسادها في غير حرب وبلا ثمن . . . ولتلك الدماء التي سالت وأهدرت باسم شعارات (التقدمية) و (الثورية) (الاشتراكية) و (القومية) وغيرها من الشعارات . .

لو أن ذلك الإحصاء قد تم فعلًا لأثبت - بما لا يدع مجالًا للشك في - رأينا أن « الدم الإسلامي » هو أرخص الدماء في الأرض خلال هذا القرن العشرين للميلاد الرابع عشر للهجرة .

ففي آسيا ، وعلى تخوم الحدود الذائبة ، بين القوتين الثانية والثالثة في العالم (روسيا والصين) يكاد يشم من له حس إسلامي روائح منبعثة ، تدل على دماء زاد تعدادها على ثلاثين مليون مسلم . . هم العدد التقريبي لضحايا الثورة الشيوعية . . التي ابتلعت هذا الجزء الآسيوي من عالم المسلمين .

وفي آسيا - أيضًا - غير روسيا والصين ، أكثريات أبيد إسلامها ، وأقليات ذاب كيانها . . وتعرضت هذه وتلك لأبشع أنواع المجازر . .

وفي أفريقيا . . حيث تعيش شعوب إسلامية لها أهميتها ـ سلط على الدم الإسلامي « ثوريون » و « تقدميون » نصبوا للأعناق الإسلامية آلاف المشانق . . وحفروا (للدم الإسلامي) مئات القنوات . . واستوردوا (للجسد) المسلم أبشع وسائل التعذيب ، وللعقل المسلم أسوأ أساليب القهر ، وللنفس المسلمة أردأ أنواع الحروب النفسية !! .

إن قضية « الدم الإسلامي » الذي أهدر رخيصًا ، وتواطأ العالم كله على إهداره ، دون أن يرفع أحد في هذا العالم عقيرته بما يسمى « بحقوق الإنسان » .

وهذا « الدم الرخيص » يحتاج إلى دراسة مستقلة وافية . . تدين حضارة هذا العصر الذي يدعي أبناؤه التقدمية والحرية والعقائدية . . وحقوق (الحيوان) !!

ونبدأ حديثنا بتلك الكارثة التي حدثت منذ أقل من خمس وثلاثين سنة ، وأبادت شعوبًا إسلامية كاملة تصل إلى ثمانية شعوب ، كان لها رصيدها من حضارة الإسلام ودورها في تاريخه ، وقد قدمت للفكر الإسلامي عباقرة وأفذاذًا أدهشوا العالم على امتداد العصر الإسلامي الوسيط ، وحسبنا أن يكون صاحب الكتاب الثاني بعد القرآن واحدًا من أبناء هذه الشعوب . . إنه الإمام « البخاري » وكفى !!

وهذه الشعوب التي أبيدت هي ، (الكريمين ، والتتار ، والكالموك ، والكرك ، والشيشن ، والكولاك ، والأنجش ، والألبان) . . وقد كان عدد الشعوب السبعة الأولى نحو خمسين مليونًا ، فنقص الآن إلى ما دون الثلاثين . . وقد استولى الروس على بلادهم وأراضيهم في شهر فبراير ١٩٤٤م ، وذلك إثر خديعة سياسية قام بها « ستالين » ، واعتمد في خديعته تلك على زعم من أغرب المزاعم في التاريخ ، هو أن هؤلاء الناس كان في « نيتهم » ـ ولاحظ كلمة نيتهم ـ أن يتعاونوا مع الألمان ضد الروس ، أثناء وجودهم في روسيا .

وباسم هذا الزعم ضم هذا الإرهابي أذربيجان ، وتازكستان ، وأزبكستان ، وتركستان ، وغيرها ، أما ألبانيا فقد تسلمها شيوعيون ألبان سلموها لقمة سائغة للاستعمار الروسي ، ثم تقلبت بها السياسة إلى الاستعمار الصيني . .

والغريب أن الصحافة العالمية لم تشر قط إلى أية معلومات عن الشعوب المسلمة السبعة التي اغتصبها الروس إبان الحرب العالمية الثانية !!

والغريب أن الوثائق والمعاهدات والاتفاقات التي أبرمت عقب انتهاء الحرب ، لم تشر قط إلى هؤلاء الناس !

والغريب ـ أخيرًا ـ أن أمريكا وأوربا قد تعاونتا مع روسيا

والصين ، في قهر كل صوت يحاول أن يبرز قضية هذه الشعوب في المحافل الدولية وبالتالي فلم تدرج قضيتهم قط في الأمم المتحدة ، ولا في محكمة العدل الدولية ، ولا في غيرهما من محافل « حقوق الإنسان » !!

وعندما تمد الطرف إلى بقاع أخرى في آسيا قبل أن نعبرها إلى غيرها في تتبعنا لمسيرة مجرى « الدم الإسلامي » المتدفق ، سوف يرتد الطرف حسيرًا ، وهو يرى ـ على القرب ـ تلك السيول الحمراء التي تحف بشاطئ الخليج الإسلامي من جانبيه الإيراني والعربي .

ـ فبينما كانت شبه القارة الهندية ، يتعاون فيها الهندوس عبدة البقر ، مع الإنجليز عبدة المسيح ، على تصفية الدم الإسلامي ، لدرجة أن الإنجليز كانوا يجعلون من إخواننا المسلمين الهنود بديلًا للدواب التي يسوقونها أمامهم لتكون ضحية قنابل « الألغام » الموضوعة في باطن الأرض .

بينما هذا . . في شبه القارة الهندية ، نجد على خطوات أقرب وأقرب ينابيع من الدماء الإسلامية ، فجرتها حفنة شيوعية في اليمن الجنوبي الأحمر ، وفي سوريا على يد البعث . .

وفي قصر النهاية ببغداد البعثية . .

وفي تايلاند حيث يعيش أكثر من ٣ مليون مسلم .

وفي الفلبين حيث يقارب عدد الضحايا من مليونين .

وفي فلسطين المحتلة ، وفي جنوب لبنان حيث تتعاون الطائرات السورية والمارونية والإسرائيلية على تعميق قنوات الدم الإسلامي . .

وفي أندونيسيا يتقلب مصير المسلمين بين ضغط داخلي بقيادة سوهارتو ، وضغط آخر يقوده التبشير والفاتيكان الآن . .

وفي أفريقيا تأخذ المعركة أبعادًا جديدة . ففي هذه القارة تحدد الأمل الإسلامي على مشارف هذا القرن ، وراج بين المسلمين أن القارة السوداء هي قارة المستقبل الإسلامي . . ولئن كان أمل المسلمين قد خاب في بقاع مختلفة من العالم ، فإن المسلمين قد اتجهوا ببقية رصيدهم من الأمل إلى تلك القارة ، يأملون أن تكون الشعاع المتبقي . .

ومع أن القوى الصليبية قد فشلت دينيًا في داخل كياناتها ، بحيث إن مكانة الدين قد هبطت في أوربا وأمريكا إلى أسوأ الدركات ، فإنها قد رأت ضرورة تصدير (الدين) إلى الخارج ، لكي تقف به أمام زحف الإسلام في القارة السوداء .

ولما لم يكن الدين هو هدف هذه القوى الاستعمارية ، فإنها عندما خاب أملها في أن تقف أمام زحف الإسلام ، لم تر بأسًا أن تستورد

الشيوعية وتهادنها ، للوقوف أمام الدين الزاحف واللغة الزاحفة .

ونتيجة لهذه الجهود المكثفة من قبل الصليبيين وعملائهم الشيوعيين توشك أفريقيا اليوم أن تضيع من يد الإسلام ، ففي نيجيريا ، التي تعتبر أكبر بلد أفريقي سالت الدماء الإسلامية بعنف وقسوة ، وبطريقة خفية ولكن مكشوفة ، لم يكن يدري أحد لحدودها نهاية ، وكان أبرز حادث دموي هو مقتل المجاهد الرئيس (أحمدو بلو) وما تبعه من حكم نصراني ومن حركة انفصال (بيافرا) .

وفي البلد الإفريقي « الثاني » حيث تعيش أغلبية إسلامية كبيرة ، وتوجد إمكانات نهضة إسلامية قوية ، تمكن التواطؤ الصليبي الشيوعي من التنكيل الدموي والإرهابي بالإسلاميين ، حتى ليقول بعض المؤرخين : إن ما تعرض له الإسلاميون في هذا البلد على امتداد العقدين الأخيرين يعتبر من أكبر المذابح العقائدية في التاريخ .

أما في (تنزانيا) حيث نجح طاغوت كبير هو (جوليوس نيريري) في الوصل إلى الحكم ، فقد أقام المشانق للمسلمين ، وتقول إحدى الإحصاءات أنه تم القضاء على أكثر من عشرين ألف مسلم في بضعة أسابيع ، وأن من جملة هؤلاء كان خيرة العلماء الزنجباريين . .

أما في كينيا وتشاد والصومال ، فالدم الإسلامي يتأرجح بين السفك لأمور داخلية ، ولاعتبارات خارجية .

وتأتي (حبشة) هيلاسلاسي ، وما نجستو ، لترى العالم أبشع صورة للعداء للإسلام .

ولقد عمل بكل قوته على تصفية المسلمين وعلى تنصيرهم ، وبما أن تنصيرهم كان مستحيلًا ، فقد فرض عليهم أسوأ ظروف الحياة المتخلفة .

وما كان موقفه ، ولا موقف الدكتاتور الحالي « مانجستو » من مسلمي أريتريا والصومال الغربي ، بمدنه الإسلامية العريقة وعلى رأسها (هرر) إلا جزءًا من احتقار الدم الإسلامي وإنسانية الإنسان المسلم .

هذا الإنسان المسلم الذي أبرز إلى الوجود في قوله وسلوكه أبرز صور التسامح وحمى الجنس اليهودي من الانقراض على يد المتعصبين من النصارى .

هذا الإنسان تحول إلى ما كان عليه « اليهودي المنبوذ » في مدن أوربا في العصر الوسيط .

وإذا كنا نحن المسلمين قد سعدنا بالإفراج عن المطران « كابوتشي » من سجون إسرائيل بعد الضجة العالمية التي أثيرت

حوله ، فكم كنا نتمنى أن تقوم ضجة قريبة منها لعشرات الألوف من المسلمين المعتقلين بلا ذنب ، وعشرات الملايين من المسلمين المضطهدين في آسيا وأفريقيا ، لمجرد أنهم ينتمون إلى الإسلام .

إننا نريد مساواة في العدل . .

ونريد ألا يسجن المسلم بلا جريمة ، وألا تعقد له محاكم خاصة ، وألا يباع دمه ـ وحده ـ بأرخص الأثمان .



(٢)
أمريكا تطوق العالم الإسلامي

نستطيع أن نقول : إن التخوم التي تصل بين عامي ٦٦ ، ١٩٦٧م كانت بداية (المرحلة الثانية) من مراحل ابتلاع أمريكا للعالم الإسلامي .

وبما أننا لسنا على منهج بعض المفكرين الذين ينتظرون من أمريكا الصديقة أن تطلعهم على تخطيطاتها بالتفصيل (!!) فنحن مضطرون ـ آسفين ـ لاستعمال عقولنا ، ومضطرون ـ أيضًا ـ للاستفادة من دروس التاريخ ، وللنظر في الأحداث بعين التحليل والاستنباط .

ولهذه الحيثيات ـ وغيرها ـ فنحن على وجه التقريب نقسم مراحل تطويق أمريكا للعالم الإسلامي إلى ثلاث مراحل :

الأولى : مرحلة تمهيدية . وفيها نجحت أمريكا في تفريغ العالم الإسلامي من الاستعمار القديم التقليدي ، وأحدثت ـ بعده ـ أنواعًا من الانقلابات الدموية الثورية التي قضت على ما أبقاه الاستعمار رغمًا عنه من خمائر القوة الكامنة ، فقضت هذه النظم ـ مثلًا ـ على كل الحركات الإسلامية الإيجابية (كالإخوان المسلمين) في مصر ، وحزب (ماشومي) في أندونيسيا ، و (فدائيان إسلام) في إيران ، وغير هذه من الحركات التي كانت تمثل ـ وعناصر أخرى ـ خمائر المستقبل ،كما قضت هذه النظم أيضًا على

الإحساس بالإنسانية ، وعلى معنى الحرية ،وعلى حب الوطن الذي تحول إلى سجن كبير !! وأصبح الوطن الإسلامي - كما قال أيزنهاور - (منطقة فراغ) تحتاج للملء !!

الثانية : أما المرحلة الثانية فنستطيع أن نسميها مرحلة الالتهاب وإشعال الحرائق لإبادة كل ما يمكن أن يكون قد بقي من خمائر المستقبل .

ومع سنة ١٩٦٦م ، بدأت مرحلة إسقاط العناصر التي أدت دورها في المرحلة الأولى وأصبحت عبئًا على التخطيط الأمريكي .

فبدأ الأمر بإسقاط سوكارنو والشيوعيين في أندونيسيا ، وبدأت الفضائح الأخلاقية لسوكارنو تظهر على السطح بعد أن كانت مستورة . . وبدأ « التبشير » الأمريكي يرث التركة بمساعدة رجل آخر يمثل المرحلة الجديدة ، ويستطيع الاضطلاع بأعبائها . . !!

وقد تتابع سقوط أبطال الفصل الأول من مسرحية تطويق العالم الإسلامي بما لا يحتاج لبيان ، وبطرق وأساليب مختلفة معروفة ولئن كانت المرحلة التمهيدية تمتاز بشيء من المداهنة والنفس الطويل ، فإن المرحلة الثانية لا تقبل إلا أحد أمرين :

إما فرض « الأمركة » وتوابعها من تبشير وتحلل خلقي ونظام رأسمالي ، وما إلى ذلك بأسلوب شبه واضح ، مع إظهار لون من

الديمقراطية الموجهة التي لا تضر بالتخطيط التبشيري والتطويق الأمريكي !! ، ومع الاحتفاظ بقدر من التهديدات أيضًا .

وإما ـ ولا بديل عن ذلك ـ استئجار الشيوعية ـ (بعقد عمل مؤقت) لإشعال الحرائق في العالم الإسلامي ، وللأعمال الإبادية ، كي تمهد الأرض للتطويق الأمريكي ـ كمنقذ من جانب ، ولكي تطلع الشعوب على الأسلوب الشيوعي ، الذي يمثل البديل الوحيد ـ لمن أراد الخروج على التخطيط الأمريكي من جانب آخر ، فتضرب أمريكا ـ بهذا الاستئجار المرحلي للشيوعية ـ عدة أهداف بحجر واحد .

أما المرحلة الثالثة : فهي التي يتم فيها الاستيلاء شبه الكامل ـ مع بعض التجاوزات المرحلية ـ على العالم الإسلامي كله وبلا استثناء ، ودون اعتبار لأي صداقات سابقة أو أي مواثيق أو عهود . . ويكون المسوغ القانوني الذي تبرزه أمريكا هو أن هذا هو الحل الوحيد للإنقاذ من الشيوعية . . فإما أمريكا أو الطوفان الذي عرفتموه في نماذج عدن والصومال وأفغانستان وما شابهها .

وفي هذه المرحلة يمكن الاعتماد على الأقليات الصليبية والصهيونية الموالية لأمريكا في العالم الإسلامي ، وعلى قوافل المبشرين ، وعلى أساليب الرقابة الأمريكية التي تستعين بعملاء من

الداخل وبالأجهزة العلمية الحديثة أكثر مما تعتمد على جيوش وأساطيل ،كما كان الشأن في الاستعمار التقليدي البائد !!

نحن نعيش في المرحلة الثانية :

ثمة عدة أحداث وتحولات مروعة قامت بها أمريكا مع حلول سنة ١٩٦٦م تكشف عن وجهها الحقيقي في المرحلة الحالية .

فبينما كانت مصر تلملم جراحها من آثار هزيمة مروعة كان لأمريكا فيها يد طولى لا تنكر - منهية الفصل الأول من المسرحية في هذا الجزء الحيوي من العالم الإسلامي - كان سوهارتو على الجناح الإسلامي الآخر يقف في نوفمبر ١٩٦٧م ليعلن ميلاد (دين جديد) يرضي أمريكا والمبشرين ،ويحل محل الإسلام ، وهو دين « البانتشاسيلا » الذي يعترف بلون من الربانية الممزوجة بالعلمانية والاتحاد بين الأديان والمساواة بينها وعبادة القومية ،ومع هذا فلم يرض المبشرون بالدين الجديد ، فأطلقت السلطة أيديهم لفرض التنصير على المسلمين الفقراء على امتداد أندونيسيا ، وفي هذا العام (١٩٦٧م) - أيضًا - أوعز التخطيط الأمريكي للفاتيكان بفتح جبهة ما يسمى (بالحوار المسيحي الإسلامي) لشغل الفكر الإسلامي والعاملين للإسلام ،ولدراسة نفسياتهم وتطلعاتهم لمعرفة كيف يمكن تحريرها وإجهاضها ، وفعلًا أصدرت سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين إثر مجمع الفاتيكان

الثاني (وثيقة) بعنوان : (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين) دعت فيها إلى الاعتراف (بمظالم الماضي) التي ارتكبها الغرب ذو التربية المسيحية في حق المسلمين . . لكن ماذا عن (مظالم الحاضر) المتمثلة في زحفكم بالطائرات والمطارات ومئات الملايين من الدولارات والوسائل البشعة واللا إنسانية على مائة مليون مسلم فقير ومسكين في أندونيسيا؟ .

إن هذا لم تتكلم عنه الوثيقة . . بل كانت الهيئات التبشيرية ترفض بتعنت شديد وإذلال لنسبة ٩٥٪ من المسلمين في أندونيسيا . . كانت ترفض وبإصرار وتحد اقتراح الرئيس (سوهارتو) الذي قاله في حفل افتتاح (مؤتمر ممثلي الأديان) . (في نوفمبر سنة ١٩٦٧م) بألا تكون هناك أية محاولة من أية جهة (لفرض دين من الأديان على الناس) ، بل إن الرئيس (سوهارتو) قد أشار على المبشرين بالعمل (وسط الجماعات البدائية التي لا تزال كثيرة في بعض مناطق اندونيسيا) لكنهم كذلك رفضوا إلا العمل (وسط المسلمين) بالدرجة الأولى متذرعين بأن (التبشير بين المسلمين أمر إلهي ليس بمقدور البشر رفضه) وكان أكثر المتعصبين هو الكاهن (تاميونان) الذي رفض أي مهادنة للإسلام . وبعد ذلك بقليل أرسلت أمريكا (بصفة تطوع من أفراد) ثلاثمائة ألف دولار لطائفة البروتستانت الأندونيسية . . تأكيدًا لاتجاه تنصير أندونيسيا ، بينما

كانت وثيقة الفاتيكان تطلب من المسلمين نسيان (مظالم الماضي) وفتح صفحة جديدة !!! .

ضربة قاضية أخرى :

وخطت أمريكا خطوة أخرى كبرى كانت تدبر لها فيما يبدو منذ مدة .

لقد سكتت أمريكا مؤقتًا - وهو أمر لا يمكنها أن تسكت عنه إلا باتفاق مسبق - عن نفوذ روسيا في الهند ، وتركت لروسيا فرصة بيع كميات كبيرة من أسلحتها للهند . . وفي الجانب الآخر سكتت أمريكا أيضًا (بغدر ونفاق) عن اتفاقية دفاع مشترك بينها وبين باكستان فأتمت - بالتالي - حلقتي الكماشة . . ولم يبق إلا التنفيذ . . الذي تم في عام ١٩٧١م ، وقام الضباط الروس والهنود بسلخ جلود مسلمي باكستان وهم أحياء ، وقتلوا مئات وآلافًا من العلماء والفقهاء والدعاة ، حتى الدكتور (سيد سجاد حسين) عميد جامعة دكا لم يفلت من المذبحة ، وحتى الصحافي المشهور (أخطر فاروق) صاحب جريدة (شنغيرام) اليومية ، لم يفلت أيضًا . والمهم أنه تم ضرب باكستان أكبر دولة إسلامية ضربة قاصمة ، وتفتتت إلى دولتين على عين أمريكا وسمعها . . وعاد وزير الخارجية (ذو الفقار علي بوتر) الذي كان له شرف إعلان الهزيمة والتقسيم قبل نهاية المعركة ليصبح رئيس جمهورية باكستان ،

تمامًا كما عاد (حافظ الأسد) وزير دفاع سوريا الذي أعلن سقوط الجولان (قبل سقوطها) ليصبح رئيس جمهورية سوريا . . !!

ويهمنا هنا أن نشير إلى تلك الأنشودة التي رددتها الإرساليات المعمدانية الاسترالية عقب تمزق باكستان وولادة بنجلاديش . . وفيها يقول :

* ولدت أمةٌ جديدةً اسمها بنغلاديش .

* سنحت فرصةً جديدةً لتعليمِ المسلمينَ الإنجيلِ .

* لقد قتلَ المسلمَ أخاهُ المسلمَ .

* لنعهدَ إلى أنفسنَا بإقامَةِ الصلواتِ من أجلِ التبشِيرِ . . ولنجمعَ المالَ من أجلِ هذهِ الفرصةِ التي أتيحت للإنجيلِ .

ومع ذلك يتحدثون منذ سنة ١٩٦٧م في الفاتيكان عن (الحوار المسيحي الإسلامي) ويضحكون على المتاجرين بالإسلام ، وعلى المسلمين الحكوميين !! .

ضرب أفريقيا جزء من المرحلة التالية :

ويركز التخطيط الآن على ثلاث جبهات :

أولاها أفريقية ، وثانيتها آسيا ، وثالثتها الأقليات الإسلامية في العالم كله . وتحتل أفريقيا أهمية خاصة ؛ لأنها كانت مرشحة لأن تكون قارة المستقبل الإسلامي . .

ويتخذ الوقوف ضد الإسلام في أفريقيا أسلوبين : الأول هو التبشير المباشر واستئجار حكام محليين غير مسلمين للقيام بالمهمة ، والأسلوب الثاني هو إحداث انقلابات شيوعية لكي تقوم « بإبادة الإسلام » لأن التخطيط الأمريكي يرفض أن تنسب إليه الإبادة المباشرة . . وبالتالي يلقي العبء على الشيوعيين للقيام بالمهمة المحدودة !!

وحيثما أجلت النظر وجدت مأساة في الخريطة الإسلامية الأفريقية .

* في تشاد التي يبلغ عدد المسلمين فيها ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف نسمة ويمثلون ٩٢٪ من مجموع السكان البالغ ٩.٨ مليون .

* وفي أثيوبيا التي يبلغ عدد المسلمين فيها نحو ثمانية عشر مليونًا ويمثلون ٣١٪ من السكان البالغ ٦٠ مليون .

* وفي موريتانيا ـ حرسها الله ـ نحو مليون وثلاثمائة ألف ، ويمثل المسلمون عدد ٣ مليون من تعداد السكان .

* وفي نيجيريا « وتذكروا أحمدو بلو » حيث يقترب المسلمون من ١٢٠ مليون ويمثلون ٧٥ في المائة من تعداد السكان .

* وفي الصومال نحو ١٠ مليون مسلم بنسبة مائة في المائة .

* وفي السودان (وتذكروا الجنوب اليتيم)!!

* وفي تنزانيا « وتذكروا جوليوس نيريري » حيث يصل المسلمون إلى نحو ١٥ مليون، وقد تعرض علماؤهم على يد نيريري لإبادة وحشية.

* وفي تونس وجزر القمر وإريتريا والجزائر.

وهذه مجرد نماذج تؤكد: بأن هناك سياسة الديناميت والمتفجرات والتواطؤ والدعم المشبوه.. ويتحرك الأحجار على رقعة الشطرنج وتمتص « لعبة الأمم » نسبة كبيرة من ميزانية « الأمن القومي » في أمريكا.

وآسيا في المرحلة الثانية أيضا!

ويدخل تطويق آسيا الإسلامية أيضًا ضمن هذه المرحلة الثانية، سواء على مستوى البلدان الإسلامية أو الأقليات المعرضة للإبادة.

المصدر: ويكيبيديا « الموسوعة الحرة ».

ومعلوم أن الإسلام خسر موقعين أساسيين في آسيا سابقًا هما البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذ الإتحاد السوفيتي والصين والتي تقدر مساحتها فيما بين نهري سيحون وجيحون بمساحة الأندلس، ثم تركيا الإسلامية بامتدادها الآسيوي في عصر الخلافة.

وإذا اقتربنا من مواقع أقدامنا أكثر على خريطة آسيا وجدنا بلاد الشام التي حمت الإسلام في أزمات كثيرة ـ مهددة هي الأخرى

عن طريق (إسرائيل) حارسة التخطيط الأمريكي ـ للسقوط في قاع مرحلة التطويق الكامل ، ففلسطين ولبنان قد لحقتا ـ تقريبًا ـ بالمواقع التي ضاعت من الإسلام في آسيا . وتقترب (سوريا) من نفس الخطر ، وليست (عراق) ميشيل عفلق الصليبي عن هذا المصير بعيدة .

أما الأقليات الإسلامية في آسيا فليس أسهل من ضربها بواسطة الرجال المخلصين للتخطيط الأمريكي في الفلبين ، وبورما ، وتايلاند ، وكمبوديا ، ولاوس ، والفيتنام ، فضلًا عن أن تأثير هذه الأقليات محدود جدًا في ظل التخاذل الإسلامي العام للحكومات المحسوبة على الإسلام .

ما الثمن الذي تقبضه روسيا ؟ .

لكن هل روسيا من البلاهة بحيث تكون مجرد أجير للتخطيط الأمريكي بلا ثمن ؟ .

طبعًا لا . . بل إن روسيا لا تقل خبثًا ولا مكرًا ، فهي ـ أولًا ـ تعتقد أنه تروج لمذهبها من خلال « الرضا الأمريكي » وهذا مكسب كبير ، وثانيًا : هي أيضًا لها بعض المكاسب المحدودة ، وعندها بعض العورات ونقاط الضعف التي تحتاج إلى سكوت . . والسياسة أخذ وعطاء كما يقولون .

ومعلوم أن « جيمي كارتر » منذ جاء إلى الحكم وهو يصم أذنه

عن التقدم الشيوعي الذي يزداد كل يوم في العالم وبخاصة في العالم الإسلامي . . في أنجولا . . في موزمبيق . . أفغانستان . . في عدن على مشارف البيت الحرام . . في الصومال . . في الحبشة . . في العراق وفي بقاع أخرى كثيرة من العالم !

وفي داخل الاتحاد السوفيتي وحده توجد أقلية إسلامية تصل إلى أكثر من أربعين مليون مسلم ، وكانت تمثل عديدًا من الشعوب ذات التراث الخاص كالتتار المسلمين والكريمين والشيش والكرك والكولاك والكالموك والأنجس والألبان .

وقد حاول هؤلاء المسلمين رفع صوتهم إلى الأمم المتحدة . . لكن أمريكا كجزء من بنود اتفاقية عقد العمل ـ تواطأت وسكتت على إبادة هذه الشعوب المسلمة وإن رفعت العقيرة حدادًا على المنشقين والمعارضين السوفيت !

وإلى جانب هذا المكسب الذي هو أيضًا مكسب ـ على حساب الإسلام ـ ولاحظ هنا اتفاق الطرفين في الأخذ والعطاء على الإسلام وحده ـ هناك مكاسب أخرى تأخذها روسيا منها : السكوت عن إثارة المتاعب ضدها في البلدان الشيوعية الواقعة تحت تأثيرها ، كالمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية وغيرها .

ومنها إقالة عثرة اقتصادها المنهار بمليارات الدولارات والقمح والإيعاز للأصدقاء بمساعدتها اقتصاديًا ، كألمانيا واليابان ،

وكالتخلي لها عن بعض المواقع ؛ لكي تكسب منها بعض المليارات ، وذلك مثل إفساح المجال في (ليبيا) وتوجيه الحكومة الليبية لشراء أسلحة تقليدية من روسيا بلغت قيمتها ـ كما أعلن ـ اثني عشر مليار دولار ، وهو مبلغ لا بأس به !

ومن المكاسب أيضًا ـ لا شك في هذا ـ نظرية حفظ التوازن المطبقة ، سواء في جبهة « كوبا » أو في جبهة « الصين » و « الصين الوطنية » إلى غير ذلك من المكاسب التي لا مجال لاستقصائها . . لكنها بالتأكيد ـ تبعًا للغة السياسة ـ مكاسب متوازنة ، على حساب العالم الإسلامي المفكك المقهور ! وهو ثمن عادل يقابل (عقد العمل المؤقت) !

وفي الخطوات الأخيرة من « المرحلة الثانية » وقبيل « المرحلة الثالثة » ـ مرحلة الالتهام الكامل بقليل ـ في هذه الخطوات الأخيرة اقتربت « الحرائق » من البيت . . من المركز الأكبر . . من القلب . . وأصبحنا لا ندري ماذا سيحدث غدًا بعد أن تلاحقت الأحداث بسرعة أكبر مما كنا نتوقع ؟ . . وتعتبر كلها (حرائق) حول البيت :

* سقوط القرن الأفريقي تقريبًا . . وحرب الإبادة الكاملة ضد إريتريا ، وضد الصومال الواقع تحت قبضة شيوعيين عرضوا أنفسهم على أمريكا فلم تقبلهم . . واعتذرت لأن ظروفها لا

تسمح !

* سقوط أفغانستان . . الذي يمثل تهديدًا خطيرًا لباكستان . ولإيران التي تقف ـ أيضًا ـ كواحد من حراس الخليج ،والذي يبدو أن ثمة إجراءات أيضًا للاستغناء عن دورها انتهاء هذه المرحلة .

* وسقوط . . ماذا ؟ .

فالحق أنني لا أدري إلى أن تصل هذه السطور للقارئ أي بلد إسلامي سيكون الدور قد أصابه . .

إنه ـ يا بني قومي لو يطاع للمسلم نصح ـ حريق كبير . . كبير جدًا حول البيت .



(٣)

أفريقيا المسلمة ... تستغيث

أفريقيا

تقديم:

إفريقيا هذه القارة القديمة الجديدة التي تمثل مساحتها خمس مساحة الكرة الأرضية ، بينما لا يزيد عدد سكانها عن ٧٨٣.٥ مليون نسمة من البشر عام (٢٠٠٠م) . ثاني قارات العالم مساحة تبلغ ٣٠ مليون كيلو متر .

هذه القارة التي تبلغ هذه المساحة الشاسعة ولا يزيد سكانها عن هذه النسبة التي لا تزيد عن $\frac{١}{١٢}$ من النسبة العادية لسكان المعمورة تحفل بمئات من اللغات يقدرها بعضهم بثمانمائة لغة [١] ، بينما يقدرها آخرون بألفي لغة [٢] .

في أواخر التسعينيات كانت تعم ١٢.٥٪ من مجموع سكان العالم (٧٣٦ مليون من مجموع عدد سكان العالم البالغ ٥.٨ مليار نسمة) [٣] .

أما الأديان والعقائد التي تنتظم إفريقيا فهي كثيرة لا تحصى ، وتنتظمها ـ تقريبًا ـ كل العقائد التي تسود الأرض . بل ثمة عقائد

---

(١) الدكتور : محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات البشرية صفحة ٢١ .

(٢) الدكتور : فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لإفريقيا صفحة ٢٠٧ .

(٣) المصدر الجزيرة .

لا توجد إلا فيها .

فبدءًا من العقائد البدائية كتقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الأجداد ، أو تقديس الأرواح والأشباح والأبطال . . وانتهاء بالمسيحية والإسلام تتجاوز على امتداد القارة عشرات العقائد ، ولا يبدو خافتًا منها إلا بعض أديان الهند ، وإلا اليهودية نظرًا لطبيعتها كدين قومي منغلق لا يسعى أصحابه إلى انتشاره على النحو الذي تقوم به الأديان الأخرى .

ومن بين هذا الخليط من اللغات تعتبر اللغة العربية هي اللغة الأولى في القارة الإفريقية ،حيث يتكلم نحو تسعين مليونًا بها .

كما أن الإسلام من بين هذا العدد الكبير من العقائد هو الدين الذي يحتل المرتبة الأولى ، إذ يؤمن به أكثر من ٣١٦ مليون .

عقبات وضعها الاستعمار في القارة :

لقد أيقن الاستعمار ـ بمنظاره التاريخي ـ أن إفريقية هي قارة الإسلام والعربية في المستقبل . . وأن الديانة المسيحية واللغة الأوربية (إنجليزية أو فرنسية) اللذين حملهما إلى القارة خلال فترة سيطرته عليها ـ ينظر إليهما على أنهما مظهران استعماريان ، وان القارة الإفريقية بعد أن تحصل على استقلالها ـ الذي أيقن بوقوعه ـ أن تلبث أن تتخلص منهما كمظهرين من مظاهر سيطرته . . وبخاصة أن ما حمله الاستعمار ـ سلوكًا ـ يتناقض مع ما يزعم أن

النصرانية تحمله إلى البشرية - فشتان بين أقوال رجال الكنيسة وأفعال رجال السياسة . . بل إنه في كثير من الأحايين كان يظهر الفرق جليًا بين أقوال رجال الكنيسة أنفسهم . . والدور الذي يلعبونه كجهاز يعمل بتنسيق مع وزارة المستعمرات . ومع المصالح « الاستراتيجية » الاستعمارية .

ومن هنا خطط المستعمر لضمان تفكك القارة الإفريقية ، وتقسيمها إلى وحدات سياسية وجغرافية . . تمثل أكبر نسبة تقسيمية في العالم . . حتى يصبح هذا التقسيم - بحد ذاته - عقبة كئودًا في وجه المستقبل الإسلامي والعربي في القارة الإفريقية . .

وإذا كانت أمريكا قارة واستراليا قارة والصين التي تمثل ربع سكان العالم وحده سياسية وجغرافية متكاملة - فإن أفريقيا - قد قدر عليها الاستعمار أن تتحول إلى أشباه دول ،تمامًا مثلما فعل الاستعمار بكل المناطق التي يخاف انبعاثها - كالخليج العربي مثلًا - فثمة دول في أفريقيا لا تقترب إمكاناتها البشرية والطبيعية من كثير من المدن الإنجليزية والأمريكية .

فإفريقيا العربية - كنموذج نقدمه - قسمتها فرنسا منذ وطئتها بأقدامها إلى ثماني دول . . أصبح كل منها عضوًا في المجموعة الدولية له ما لفرنسا نفسها وعليه ما عليها من تبعات وأعباء مع ما في هذا من إنهاك للإمكانات . . وبعثرة للطاقة . . وضمان لمستقبل

محدود هزيل . . وهذه الدول التي كانت تشكل إفريقيا الغربية هي : (السنغال - السودان الفرنسي - غينيا - فولتا - ساحل العاج - داهومي - النيجر - موريتانيا) .

ويبين الجدول التالي - وهو جدول محصور في الدول ذات الأكثرية الإسلامية [1] - هيكل التقسيم السياسي والبشري والجغرافي الذي أخضع الاستعمار الأوربي القارة الإفريقية له ، حتى يحول بينهما وبين أن تصير يومًا (قارة الإسلام) دينًا ولغة وحضارة :

(١) رجعنا إلى أطلس العالم الإسلامي ،وتقويم البلدان الإسلامية ، وعدلنا لنسبه وفقًا لمعدل النمو للسكان .

ملحق تحديث كل الأرقام والبيانات

دول العالم الإسلامي المستقلة بإفريقيا

م	الدولة	عدد المسلمين	النسبة المئوية لمجموع السكان
١	الجزائر	١٥.٣٨٦٠٠٠	٩٨٪
٢	الكاميرون	٣.٣٦٥٠٠٠	٣٥٪
٣	جمهورية وسط أفريقيا	٩٠٢٠٠٠	٥٥٪
٤	تشاد	٣.٤٠٠٠٠٠	٨٥٪
٥	داهوي	١.٦٤٦٠٠٠	٦٠٪
٦	مصر	٣٣.٣٨٦٠٠٠	٩٢٪
٧	أثيوبيا	١٧.٢٨٩٠٠٠	٦٥٪
٨	جامبيا	٣٢٦٠٠٠	٨٥٪
٩	غينيا	٤٠٤٧٠٠٠	٩٥٪
١٠	غينيا بيساو	٥٦٧٠٠٠	٧٠٪

١١	ساحل العاج	٢٤٨٤٠٠٠	٥٥٪
١٢	ليبيا	٢١٧٨٠٠٠	١٠٠٪
١٣	مالي	٤٨٥٣٠٠٠	٩٠٪
١٤	موريتانيا	١٢٢٧٠٠٠	١٠٠٪
١٥	مراكش	١٦٨٢٦٠٠٠	٩٩٪
١٦	النيجر	٤٩٦٣٠٠٠	٩١٪
١٧	نيجيريا	٥٩٨٢٠٠٠	٧٥٪
١٨	السنغال	٣٨١٩٠٠٠	٩٥٪
١٩	سيراليون	١٨٢١٠٠٠	٦٥٪
٢٠	الصومال	٣٩٥٠٠٠٠	١٠٠٪
٢١	السودان	١٤٣٧٥٠٠٠	٨٥٪
٢٢	تنزانيا	٩٣٤٦٠٠٠	٦٥٪

٢٣	توجو	١١٦٦٠٠٠	٥٥٪
٢٤	تونس	٥٣٤٥٠٠٠	٩٥٪
٢٥	فولتا العليا	٣٨٧٩٠٠٠	٥٦٪
٢٦	أريتريا	٢.٠٠٠.٠٠٠	٨٥٪
٢٧	جزر القمر	٢٨٥.٠٠٠	٩٥٪

ويضاف إلى هذه الدول ذات الأغلبية الإسلامية ـ ما يربو على ثلاثين مليونًا من المسلمين يمثلون أقليات تتناثر هنا وهناك بباقي الدول الإفريقية، ويمكن حصرهم على النحو التالي[1] :

---

(١) انظر الهامش السابق.

م	البلدان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المئوية
١	ليبيريا	٧٧٠.٠٠٠	٪٣٠
٢	غانا	٢.٢٥٠٠٠٠	٪٣٠
٣	الجابون	١٩٥.٠٠٠	٪٤٠
٤	الكونغو برازفيل	١٤٠.٠٠٠	٪١٥
٥	أوغندا	٢.٥٠٠.٠٠٠ تقريبًا	٪٤٠
٦	غينيا	١.٧٠٠.٠٠٠	٪٢٠
٧	موزمبيق	١.٧٥٠.٠٠٠	٪٢٥
٨	ملاجاش	١.١٥٠.٠٠٠	٪٢٠

وكما أخضع الاستعمار القارة لهذا التقسيم الجغرافي والسياسي، فإنه أخضعها لعديد من المظاهر الشاذة التي تنفرد بها إفريقية من بين قارات الأرض الأخرى:

فهناك أكثريات إسلامية في أكثر من بلد إفريقية يتولى أمرها حكام غير مسلمين، تربو في أحضان الكنيسة، وتغذوا بلبانها.

وهناك شعوب إفريقية يوجه سياستها - بل ويحكمها في بعض الأحيان - حكمًا مباشرًا - أوربيون - أو تلامذة للتبشير وللكنيسة ومعاهد العلم الغربي.

وهناك تفرقة عنصرية تنطلق من تلك النظرية الغربية التي

احتلت مكانًا بارزًا في الفكر الأوربي وهي نظرية (سيادة الرجل الأبيض) وأفضليته ـ أفضلية جنسية مطلقة ـ على الرجل الأسود .

وحول قضية التفرقة العنصرية ـ التي لا تبرز على نحو عمل عميق ـ إلا في القارة الأفريقية بقول الرئيس « احمد سيكوتوري » ساخرًا من أولئك الأوربيين الذين اندفعوا إلى أفريقية بمساطر وأقلام يقيسون بها الجماجم والقسمات ، ويقررون بناء على هذه المقاييس الظالمة « أن الرجل الأسود مكانه في عالم الحيوان بين الشمبانزي والجيبون أي القرود شديدة الشبه بالإنسان » .

ويبين الرئيس سيكوتوري أن لون البشرة ليس سوى واقع يطابق ظروف الهيئة ، ثم يتساءل : هل جميع الأبقار لها لون واحد ، وهل تفضل البقرة البيضاء زميلتها الحمراء أو السوداء ؟ والإجابة بالنفي بالتأكيد [1] .

ومع ذلك فالتفرقة العنصرية حقيقة يفرضها الاستعمار على أجزاء متعددة من إفريقيا .

وهناك إلى جانب هذه المظاهر الثلاثة الشاذة ـ الوضعية الاقتصادية المتخلفة التي فرضها الاستعمار على إفريقية ،حين حرَّم عليها التصنيع وحولها إلى بلاد منتجة ومصدرة للمواد الأولية

---

(١) أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي الجزء السادس ٦٨٣ .

بأرخص الأسعار ـ وهي مستوردة ـ في الوقت نفسه ـ لهذه المواد نفسها بعد تصنيعها في أوربا ـ بأغلى الأسعار [١] » ومن العجيب أن إفريقيا الخصيبة أصبحت في ظل الاستعمار محتاجة إلى المواد الغذائية لتستوردها من الخارج ، وذلك أن الجهود اتجهت في الحقل الزراعي إلى إنتاج الحاصلات التي تصدر لا الحاصلات التي تستهلك محليًا ، وعلى هذا اتسعت مزارع البن والقطن والشاي والكاكاو اتساعًا كبيرًا ، وترك الأفريقيون يعانون نقص الغذاء (...) ولا يتمكنون بوسائل حديثة من صيد البحر . . كما يحرم عليهم صيد البر ، إذ كان الأوربي في الغابات التي امتلكها هو القادر وحده على صيد الحيوانات البرية » [٢] .

وفي ظل هذا يعتبر الفقر الشديد الذي يصل إلى حد المجاعات وما يتبعها من ضعف صحي للأمراض والأوبئة ـ أحد المظاهر البارزة التي فرضها الاستعمار على إفريقية .

ويعبر الرئيس « جومو كنياتا » عن هذا الوضع الاقتصادي في مقاله المنشور ـ في عدد عام ١٩٧٠م من كتاب العام للموسوعة البريطانية . . فيقول : « إن هدف سياستنا الأساسية أن نهيئ للأغلبية العظمى من شعبنا أرضًا يزرعونها وبيوتًا يملكونها

(١) الأستاذ كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية في أفريقيا صفحة ٩٠ .

(٢) بتصرف من المرجع رقم (١) صفحة ٤٦٤ .

وأعمالًا ثابتة يرتزقون منها ـ وحين نستطيع أن نفعل ذلك فإن الاستقرار يمكن أن يسود القارة »[١] .

وكما فرض الاستعمار الفقر المدقع ، فرض الجهل الشديد أيضًا ، ولم يسمح إلا بحجم ضئيل من الثقافة ربطه بمخططاته وأهدافه ، بحيث يصبح هذا (الشبه مثقف) الإفريقي مسخًا مشوهًا مبتور الجذور . . لا يصلح أوربيًا ، ولا ينتمي إلى أفريقيا ولا بيئتها . . لا بالنسبة لواقعها الحاضر . . ولا بالنسبة لآمالها في المستقبل .

الخطر الاستعماري الكبير على الإسلام في أفريقيا :

وثمة خطر كبير ـ يضاف إلى ملامح الصورة التي فرضها الاستعمار على أفريقيا ـ تتمثل في هذه الجيوش التبشيرية الملفعة بأردية « النصرانية » والتي يتولى الإنفاق عليها سائر الدول الاستعمارية الكبرى . . وتلك التي كان لها نفوذ في القارة ،أو التي تطمع في أن يكون لها نفوذ .

إن أغنى دولة في العالم هي الفاتيكان ، وإن ميزانية هذه الدويلة التي تمثل مجرد جزيء من أجزاء إيطاليا تنفق كلها في الأغراض التبشيرية ـ ويوجد تحت تصرف البابا وحده ما يزيد على خمسمائة مليون دولار ، يستطيع الإنفاق منها على أي غرض تبشيري في

---

(١) الأستاذ كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية . صفحة ٩٠ .

بلاد الإسلام[1] .

وتصدر عشرات من الصحف التبشيرية باللغات الحية تباع بثمن رمزي ، وتهدى في أغلب الأحايين لمن يظن فيهم ضعف الإيمان من المسلمين .

ويقدر ما تنفقه الإرسالية الإنكليزية الأهلية وحدها في السنة بمليون جنيه استرليني ،كما يقدر ما تنفقه الإرسالية الأمريكية بثلاثة ملايين . . . وكلها تنفق تحت اسم « مكافحة الإسلام » . . . وناهيك بالإنفاقات الحكومية الرسمية فهي تصل إلى أرقام خيالية ، وتمتد إلى أكثر من مجال ، وتلبس أكثر من قناع .

وقد نشرت المجلة التبشيرية الألمانية أن عدد جيش المبشرين البروتستانت وحدهم هو ١٠٤ آلاف مبشر .

ويبلغ عدد النساء والرجال من موزعي التوراة والأناجيل المشتركين في التبشير عددًا ما يقترب من ٩٣.٠٠٠ ، وعدد المعاهد الكنيسة ١٧.٦٧١ معهدًا ابتدائيًا ومتوسطًا وثانويًا .

ويخضع لسلطة التبشير أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد عال ، كما يخضع لسلطتهم ٤٨٩ مدرسة لاهوتية متخصصة في تخريج المبشرين وتدريبهم على أعمال التنصير . . .

---

(١) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام : محمد الصواف ١٩٠ .

وتحت سلطة التبشير أيضًا ٢٥٩٤ مدرسة ثانوية ، ٨٣٩٠٠ مدرسة ابتدائية ، و ١١١٣ روضة أطفال ، وتفوز أفريقيا من هذه الإحصاءات بأكبر نصيب .

وفي الجانب الطبي والاجتماعي ـ وهو من أهم وسائل التبشير ـ يملك المبشرون ٦٠٠ مستشفى للرجال والنساء ، ١٠٥٠ صيدليةً توزع الدواء بالمجان ، و ١١١ مجلسًا طبيًا ، ٩٣ جمعيةً للممرضات ، و ٣٦٥ ملجأً للأيتام ، و ١٢٠ ملجأ للبرص ، ومثلها للصم والبكم ، ١١٥ مدرسة للمكفوفين ، و ١١٣ مستوصفًا لمدمني الأفيون ، و ٨٥ ملجأً للأرامل . .

والتبشير يلجأ لكل الأساليب التقليدية والعصرية . .

فالمدارس والمستشفيات والمعونات الاقتصادية والصحف والإدعاءات والكتب والملصقات . . كل هذه ـ وغيرها ـ يلجأ إليها التبشير . .

وهو يقوم بعمله في عدة مستويات مختلفة . .

فهناك تبشير على مستوى الأفراد . . وهناك تبشير على مستوى الجماعات ، وهناك تبشير صامت يلجأ إلى الكتاب والصحافة وأساليب التشكيك والدس المنسوب زورًا إلى العلم ، وهناك تبشير آخر خطير يستغل الظروف السياسية والاقتصادية

والاجتماعية التي تمر بها القارة . . فيقوم بدوره من وراء الكواليس في شكل اتفاقيات سياسية أو اقتصادية . . كما يستغل الحقائب الدبلوماسية . .

والغريب في وضع التبشير ـ في أفريقيا ـ أنه قد لجأ في آخر تطوراته إلى أسلوبين :

أسلوب التعاون مع الوثنيات الموجودة في القارة . . حتى يتمكن في المرحلة الأولى من التخلص من الإسلام وهو المنافس القوي . . وبالتالي فهو يتبنى مواقفها السياسية والاجتماعية ويمدها بكل وسائل الدعم ، ويساعد على انبعاث نعراتها الإقليمية والقومية ولغاتها المحلية ، بل وعاداتها وتقاليدها الوثنية ما بقي منها وما اندثر .

والأسلوب الثاني هو أسلوب التعاون مع اليهود . . وهو تعاون سعى إليه الطرفان معًا . . سعت إليه إسرائيل . . وسعى إليه التبشير . . انطلاقًا من وحدة الهدف . . الذي هو الإسلام في إفريقيا . . ذلك الإسلام الحركي الذي كان بالنسبة للأفارقة الوقود الذي يندفعون به باحثين عن وجودهم وحريتهم ، والحضارة التي يشعرون من خلالها بشخصيتهم واستقلالهم .

ومع أن بين النصرانية واليهودية حربًا تاريخية لم تهدأ إلا أخيرًا

فإن المبشرين واليهود يتحدون ـ مرحليًا واستراتيجيًا ـ ضد الإسلام الذي يوشك أن ينتظم القارة الإفريقية كلها .

ومن تكرار القول أن نتحدث عن الصلة بين اليهود والنصارى ـ أو بين إسرائيل والاستعمار ـ في العصر الحديث ـ ذلك لأن البحث يعود بنا إلى نشأة الدولة اليهودية والظروف التي أحاطت بها ، وهو بحث كثير التشعب ، وليس هنا مجاله على كل حال ـ غير أن دور إسرائيل في إفريقيا إنما هو امتداد للمهمة التي أوجدها الاستعمار الصليبي من أجلها ، في الشرق العربي ، وهذه المهمة هي عزل الشعوب العربية في آسيا عن الشعوب العربية في أفريقيا [(١)] .

وفي ذلك ما فيه من إضعاف للكيان العربي في إفريقيا ... الذي هو وسيلة إيجاد الكيان الإسلامي الإفريقي ، وهو المدخل الطبيعي لإيجاد إفريقيا مسلمة عربيةً ، تحقق حلم أجدادنا المرابطين من أحفاد عبد الله بن ياسين ، ويوسف ابن تاشفين . . . هؤلاء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم في سبيل أن تصبح قارة أفريقيا قارةً إسلاميةً .

ماذا يريد الغرب من هذه القارة التبشيرية على العالم الإسلامي ، وعلى إفريقيا بخاصة ؟ .

---

(١) انظر : كامل الشريف ، المغامرة الإسرائيلية في إفريقيا ، صفحة ٦٢ .

إن النصرانية لا وجود لها في الشارع الغربي ولا في المصنع أو المعمل أو المحكمة أو البنك . . وحتى الكنيسة أصبحت مؤسسة اجتماعية تشبه مؤسسات وزارات الشئون الاجتماعية . . لقد تركت أوربا النصرانية منذ قامت نهضتها الصناعية على أساس الشعار القائل : « اشنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس » .

إن الإنسان الأوربي الحديث . . « والتركيبة » الفكرية والحياتية الأوربية لا تعطي قضية الدين أي حجم حقيقي في صياغة الفكر أو الحياة . .

فما معنى هذا الذي يفعله المبشرون في إفريقيا ؟ .

وهؤلاء المبشرون أنفسهم ليسوا نموذجًا لدعواتهم التي يقدمونها إلى الناس ... فكثيرًا ما غادر المبشر جمعية إلى جمعية أخرى سعيًا وراء الكسب المادي . . والمبشر « وليم بلغرايف » الإنجليزي تقلب من البروتستانتية إلى اليسوعية ، ولما استغنى عن اليسوعيين عاد بروتستانتيًا . . وقد ذكر المفكر (جب) أنه قد ثبت على اليسوعيين أنهم فصحوا فتاتين من طائفة الأرثوذكس وأخفوهما حينًا ثم اضطروا إلى إعادتها لأهلها . . ويهاجم (جب) نظام الأديرة كله . . ويقول : إن بعض هذه الأديرة كان مستقرًا للفاحشة [1] .

---

(١) التبشير والاستعمار : د . عمر فروخ ٣٥ ، ٣٦ .

فما معنى هذه الجيوش التبشيرية الداعية إلى النصرانية في إفريقيا ؟ .

أليس الأولى بها أن تدعو الشيوعيين في المعسكر الشرقي إلى العودة إلى حظيرة الإيمان ؟ (بدل أن تتعاون مع الشيوعيين الملاحدة في كثير من الأحايين) .

أو ليس الأولى بها أن تدعو الأوربيين أنفسهم إلى إعطاء الدين حجمًا أو زاويةً مؤثرةً في الحضارة الأوربية التي يهددها الإفلاس الروحي بالدمار ؟ .

إن التبشير وهو كما ذكرنا أحد الأخطار الاستعمارية المحدقة بالمسلمين في إفريقيا اليوم ـ ليس دعوةً إلى النصرانية . . بقدر ما هو إيقافٌ للزحف الإسلامي وتعكير لصفوه . . وتأخير ليوم تصبح فيه إفريقية قارة إسلامية . .

إنه أكبر سلاح يستعمله الأوربيون المستعمرون اليوم في هذه القارة للحيلولة دون تقدم القارة علميًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا . .

إنهم يقدمون النصرانية كبش فداء . . ليس حبًا فيها . . ولكن لأنها الدين الذي يملكونه . . والذي يمكن أن يقف ـ قليلًا ـ أمام الزحف الإسلامي .

إن المرء ليضحك وهو يتذكر أن « اللورد اللنبي » الذي كان قائد الفيالق الإنجليزية للقدس وصاحب الكلمة المشهورة : « الآن

انتهت الحروب الصليبية » كان عضوًا كبيرًا في جمعية إلحادية .

وإيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء ، وحجزت البابا في الفاتيكان ، كانت تبني سياستها على جهود المبشرين والرهبان . . والذين زاروا إيطاليا يعرفون أنه على مقربة من الفاتيكان وحوله من الجهات الأربع تعيش إيطاليا حياة انحلالية بوهيمية لا مكان للدين فيها . .

وأكثر مدعاة للدهشة من هذين المثالين موقف « ستالين » (زعيم الشيوعية الدولية) حين دعا إلى مجمع مسكوني في موسكو . . وقد شرف ستالين نفسه المؤتمرين بمقابلته . .

وفي الجزائر المجاهدة . . جزائر المليون ونصف المليون شهيد - كانت فرنسا تترجم عن عملية صليبية حاقدة ضج منها الضمير العالمي [(١)] . . ومع ذلك فليس للدين حجم حقيقي في داخل فرنسا . .

- فما معنى هذا كله . . ؟

- هل النصرانية مجرد بضاعة للتصدير ؟ .

- نعم إنها لكذلك فعلًا . . .

- أنها مجن واق من أخطار الزحف الإسلامي . .

---

(١) التبشير والاستعمار : د . عمر فروخ ص ٣٥ ، ٣٦ .

- إنها ستار يراد منه أن يمنع شمس الإسلام من الظهور . .

- إنها تراث حضاري يرشح للوقوف في وجه تراث الإسلام وحضارته . .

- إنها - في أقل حالاتها - صورة (دين) يمكن أن يحارب بها (دين) آخر . . حيث ثبت - تاريخيًا - أنه لا يقف إمام الدين إلا الدين - ولا يفل الحديد إلا الحديد . . والبقاء للأصلح في نهاية المطاف .

ولمزيد من الوضوح حول دور التبشير التخريبي في إفريقيا (وهو الدور الوحيد الذي رسم له) دعنا نسرد هذا الحوار الطريف الذي دار بين « لويس لومكس » الصحافي الأمريكي - في كتابه (الإفريقي النافر) - وبين « سيلونديكا عضو اللجنة التنفيذية للحزب الديمقراطي في روديسيا الجنوبية سابقًا » .

سأله الصحافي الأمريكي قائلًا :

هناك تقارير منتظمة تؤكد أن المسيحية تنحسر عن أفريقيا . . هل هذا صحيح ؟ .

الزعيم الإفريقي : نعم صحيح . . فالكنيسة لم تلعب دورًا سليمًا في الشئون الإفريقية . . لقد وقفت ضدنا إلى جانب هؤلاء الذين استعبدونا . . إنها اليوم تقف على قدمها الأخيرة في إفريقيا . .

ـ الصحافي الأمريكي : هل أنت مسيحي ؟ .

ـ الزعيم الإفريقي : نعم أنا كاثوليكي تعلمت في كلية « حاريان » في ناتال بجنوب أفريقيا . . وأنا طبعًا لم أنضم للكنيسة لدوافع سياسية ، بل عن اعتقاد روحي . . . ورغم ذلك شعرت بأن الكنيسة خذلتني . . إن الإسلام سينتصر في أفريقيا ، وبالرغم من أنني كاثوليكي إلا أنني أستطيع أن أقول مخلصًا : إنني آسف لتطور الاحداث (لصالح الإسلام) . . إنني أفهم أن الدين يشكل جانبًا حاسمًا من قيم الإنسان ، ومن ثم . . يدفعه إلى الحرية . . وهذا ما فشلت فيه الكنيسة . . لقد أعطتنا كل شيء ما عدا الحرية »[1] .

أن التبشير ـ كما نرى من هذا الحديث الواضح ـ ليس أكثر من واجهة مزيفة من تلك الواجهات الكثيرة التي يخفي بها الاستعمار مخالبه الحقيقية وأطماعه ، وهو بهذا خطر حقيقي كبير بالنسبة لمستقبل أفريقيا المتحررة . . وبالنسبة لمستقبل من يهمهم أمر الإسلام والتعريب في هذه القارة العذراء .

اليهود في أفريقيا :

ولئن كان التبشير النصراني في إفريقيا يشكل جزءًا من ملامح

---

(١) نقلًا عن الغزو الفكري . . لمحمد جلال كشك ، صفحة ٥٠ ، وانظر التبشير وجذوره التاريخية مقال بمجلة التضامن الإسلامي عدد أكتوبر ١٩٧٥ لعبد الحليم عويس .

الصورة القائمة التي تعكر صفو (الإسلام في إفريقيا اليوم) ـ فإن اليهود يشكلون بعدًا آخر من أبعاد الجزء القاتم في الصورة .

وبعد استقلال كثير من الدول الإفريقية ، ذهبت إسرائيل تعرض خبرة اليهود في العالم وأموالهم لمساعدة هذه الدول .

واليهود عن طريق العلاقات السياسية والتجارية ، واستغلال الإعلام والدبلوماسية المرنة ـ يحققون أغراضهم في كسب بعض الحكام الأفارقة ، لدرجة أن جريدة نيجيرية كتبت بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٦٢م تقول بأن أية دولة في الشرق أو إفريقية لا تستطيع مساعدة نيجيريا ما عدا إسرائيل .

وثمة تعاون قائم بين إسرائيل وبعض الحكام الأفارقة ـ إن لم يكن بشكل سافر سياسي أو إعلامي أو عسكري أو ثقافي ـ فهو بشكل سري ، وبخاصة في المجالات التجارية والثقافية .

ولئن كانت بعض الدول الإفريقية قد غيرت موقعها من إسرائيل بعد ظهور طابعها الاستعماري وهزيمتها في حرب رمضان ١٣٩٣هـ فإن دولًا أخرى لا تزال تربط نفسها بإسرائيل . . ومنها أثيوبيا وغانا وروديسيا وتنزانيا . . وإسرائيل تستغل الوضع الاقتصادي الإفريقي المتخلف ، وتقوم بتعليب كثير من اللحوم والفواكه وغيرها من المواد الإفريقية الخام كما تستورد الخشب والماس ومواد السماد . » ولقد اهتم الإسرائيليون اهتمامًا خاصًا

بإقامة الفنادق وأماكن اللهو وسيطروا عليها إداريًا ، وسخروها لأغراضهم السياسية والاقتصادية ، وكان يختفي وراء مظهرهم البريء شر أنواع النشاط السري المخرب »[١] . إن إسرائيل لن تترك إفريقيا للعرب والإسلام بسهولة ، كما أن المد الحضاري لا ينتشر بالعواطف والمجاملات ، وبالتالي فيجب أن نخطط بجدية وسخاء لضمان إنقاذ إفريقيا من اليهود والصهيونية ، وسيرها في ركاب حضارة الإسلام .

الشيوعية في إفريقيا :

تمثل الشيوعية خطرًا داهمًا بالنسبة للإسلام في إفريقيا ـ يسيء إلى ملامح صورة الإسلام في إفريقيا اليوم .

فإفريقية المسلمة . . قارة المستقبل الإسلامي . . تغزوها الشيوعية في بعض أركانها ، وذلك حين يبدو أن التبشير لن يستطيع الصمود أمام الإسلام ، وحين يبدو أن النفوذ اليهودي لا يستطيع القيام بالغرض ـ وإن ما حدث في إثيوبيا ـ بعد « هيلاسلاسي » الذي لم يتمكن من عمل كل شيء وبخاصة القضاء على مسلمي أريتريا ـ لدليل ناصع على أن الشيوعية هي البديل الثالث الذي يتقدم به اليهود والتبشير حين يبدو لهم أن الطريق للقضاء على الإسلام مسدود ، ولسنا نفصل ما جرى في الصومال

---

(١) كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية على إفريقيا ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

عما جرى في إثيوبيا ، كما لا نفصل ما جرى في تانزانيا (زنجبار وتنجانيقا) حين قتل عشرات الألوف من العرب والمسلمين ـ باسم التقدمية الشيوعية [١]ـ واعترف بإسرائيل ودعيت « جولدا مائير » لزيارة تنزانيا ـ لسنا نفصل كل ذلك عن حقيقة الدور الذي تلعبه الشيوعية في إفريقيا .

وإنه لمدعاة للتساؤل أن يكون أكثر الزعماء الشيوعيين الذين ظهروا في إفريقيا ذوي علاقة طيبة بإسرائيل . وكان أكثرهم ينظر إلى إسرائيل على أنها تجربة تقدمية يجب أن يحتذى بها ـ والنظر إلى انتصارها على العرب على أنه انتصار للتقدمية على الرجعية [٢] .

فالشيوعية عائق من المد الإسلامي في أفريقيا ، وهي عنصر من ملامح الجزء القاتم الذي يعكر صفة إفريقيا اليوم .

مكانة الأمة العربية في إفريقيا اليوم :

تختلف الوضعية الإفريقية الشعبية عن الوضعية الإفريقية الرسمية أو الوضعية التي يريد التبشير واليهود أن يصلوا إليها .

فالحقيقة أن القاعدة الشعبية في إفريقيا ما زالت إلى حد كبير . . تنتمي إلى العربية . . لغة وفكرًا . . وإلى الإسلام دينًا وحضارة .

وإذا ما استثنينا البلدان العربية الإفريقية (مصر ، والسودان ،

---

(١) انظر محمود شاكر : تنزانيا صفحة ٣٤ .

(٢) انظر كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية صفحة ٩٤ وما بعدها .

والجزائر، والمغرب، وليبيا، وتونس، والصومال، وموريتانيا) نظرًا لأن العربية هي اللغة الرسمية فيها - فإن بقية البلدان الإفريقية - وبخاصة الإسلامية منها - تعتبر اللغة العربية لغتها الدينية والفكرية والحضارية على الأقل ،على المستوى الشعبي . .

ففي الحبشة ،حيث يمثل المسلمون ٦٥٪ ، وفي إريتريا ، حيث يمثل المسلمون ٨٠٪ نستطيع أن نقول : إن اللغة العربية هناك هي إحدى اللغات المعروفة لأغلب السكان ، ويمكن التعامل بها في الأسواق . فضلًا عن دور العلم والمساجد . وعند مقارنة اللغة (التجريطية) المستعملة في اريتريا كلغة محلية ، سوف نكتشف أنها اقتبست كثيرًا من اللغة العربية ، حتى أن الأعداد المستعملة فيهما تبدو وكأنها شيء واحد[١] .

وفي كينيا حيث العراقة الإفريقية الأصيلة ، وحيث تسود اللغة الساحلية وتجاورها لغات كثيرة تزيد على سبعين لغة ، فلكل قبيلة لغة خاصة تشبه اللهجة ومع ذلك فإن العربية تحتل مكانًا بارزًا بحيث إن اللغة الساحلية هذه تعتمد في حوالي خمسين في المائة من كلماتها على العربية إما أصلًا ،وإما اشتقاقًا ، ولهذا فلم يكن غريبًا أن تقر وزارة المعارف الكينية مؤخرًا تدريس اللغة العربية رسميًا

---

(١) راجع محمد العبودي : في أفريقيا الخضراء ، صفحة ٩١ وما بعدها ، وانظر صفحة ١٥٨ ، وصفحة ١٨٦ ، ١١٨٣ عن العربية في الحبشة .

بمدارس الساحل الكيني، كما أنها أقرت اختبار الطلاب رسميًا في مادة الدين، وقد أبدت استعدادها لقبول أكبر عدد ممكن من المدرسين للغة العربية والدين الإسلامي، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية بالتكاليف والمرتبات (على نحو ما يفعل المبشرون)[١].

وفي أوغندا يتكلم الناس لغة ساحلية خاصة بهم تختلف عن ساحلية كينيا، وهي مزيج من لهجات «البانتو» مع اللغة العربية[٢].

ومع أنها ساحلية أوغندية خاصة، فإنها تكتب بالأبجدية العربية، مما يدل على التأثير القوي للغة العربية في أوغندا، هذا فضلًا عن أن المسلمين في أوغندا (وهم قريبًا سيشكلون الأغلبية السكانية إن شاء الله - نظرًا للمد الإسلامي على عهد الرئيس «عيدي أمين» - يحرصون جميعًا على تعلم اللغة العربية[٣].

وهكذا نستطيع القول (من خلال هذه النماذج): إن للغة العربية أرضية كبيرة في إفريقية منذ دخلت في ركاب الدعاة

---

(١) المرجع السابق صفحة ٣٦١٢.

(٢) انظر تقرير رابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية المنشور بالصحف المحلية (عن كينيا) في السعودية.

(٣) انظر محمود شاكر: أوغندا صفحة ٤٨.

والتجار المسلمين وأصبحت لغة الأدب والعلم والتعامل ، ويكفي - في نهاية حديثنا عن اللغة العربية في إفريقيا - أن ندلل على عمق هذه اللغة ، فنذكر أن أهم المراجع التاريخية « كأضابير أشانتي » « وكانو » في إفريقية الغربية ، ومحفوظات « كلوة » في إفريقيا الشرقية أكثرها باللغة العربية ،حتى قال بعض الكتاب الأوربيين معبرًا عن معنى ارتباط إفريقيا بالعربية لغة وحضارة : « إننا إذا نزعنا الوثائق التاريخية المكتوبة باللغة العربية لا يبقى ثمة تاريخ يعتد به لإفريقيا السوداء » .

وقد قال أحد وزراء زنجبار في ذلك : « يكفي للتدليل على مكانة لغة العرب بالنسبة لإفريقيا أن نعلم أنه لا يوجد في اللغة السواحلية كلمة مرادفة لكلمة تحضير أو تمدين سوى كلمة « تعريب » ، فإذا أردنا أن نتحدث عن مشروع لتطوير قرية زراعية قلنا : تعريب تلك القرية » . وهذه الكلمة الواحدة تصلح نافذة عريضة على تاريخ مجيد طويل[1] . . إنه تاريخ علاقة إفريقيا بالعرب حضارةً ولغةً ومصيرًا ودينًا .

الإسلام في إفريقيا اليوم :

ليس ثمة شك في أن الإسلام في إفريقيا يعيش اليوم بين مد

---

(١) انظر (بتصرف) كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية في إفريقيا ، صفحة ١٧٠ وما بعدها .

وجزر . . أو بتعبير آخر : بين (محنة ومنحة) .

(ومحنة الإسلام) في إفريقيا تتركز في عدة مواطن منها :

أولًا : في جنوب السودان . . فهذا المدخل الطبيعي الذي كان بالإمكان أن يصبح إحدى بوابات الإسلام إلى إفريقيا ـ قد أصبح مسرحًا لنفوذ المبشرين ، وللموالين لهم ممن يجاورون السودان .

فبعد الإتفاق الذي تم بين الشمال والجنوب في مؤتمر « أديس أبابا » الذي عقد في مارس ١٩٧٢ بإشراف المنظمات الكنيسة والفاتيكان . فتح الباب على مصراعيه للمبشرين ، ويقيني الجازم أن المبشرين سيتمكنون من إقامة دولة مسيحية في جنوب السودان تكون إحدى منطلقاتهم لقلب إفريقيا ـ وذلك ما لم ينهض العرب لدرء هذا الخطر .

كما أن التبشير قد نجح من وراء هذه الاتفاقية في قهر الحركات الإسلامية في إريتريا وتشاد . . فهاتان الثورتان تعيشان منذ الاتفاقية مرحلة اختناق حاد مرير .

ثانيًا : في الصومال . . حين وقع الانقلاب العسكري الشيوعي في ٢١ أكتوبر ، ولم يكد يمر عام حتى أعلن قائد الانقلاب محمد زياد بري في عيد الانقلاب الأول ـ اعتناقه وحكومته للمبدأ الماركسي اللينيتي ، وتفسير الإسلام تفسيرًا ماركسيًا . . وإخضاع

عقيدة الإسلام وأصوله للماركسية ، وتبع ذلك استحداث تنظيمات ومعاهد همها إنشاء شبيبة شيوعية ترفض الإسلام وتعلن الحرب عليه ـ كما أصدرت الحكومة مرسومًا في سنة ١٩٧٢م يقضي بهدم كل المدارس القرآنية ، واستمر الحال على هذا المنوال . . حيث تزحف الشيوعية في كل يوم على أجساد مئات العلماء وآلاف المجاهدين ، مستعملة أبشع وسائل التنكيل التي عرفها التاريخ .

وكما هو المتوقع فإن الحكومة الشيوعية في الصومال تعوق ـ من جانبها وفي حدود تأثيرها ـ كل مد إسلامي إلى إفريقيا . . وتتبنى بديلًا عنه كل ما هو ماركسي ويخدم مصالح أصحاب المذهبية الماركسية . وإنني من جراء هذا لأعتقد بأن الماركسية هي الخط الأول الآن لتحقيق كل أهداف الصهيونية والتبشير ، وهي الممهد الحقيقي لاستيلائها على أرض الإسلام ـ لا قدر الله .

ثالثا : في تنزانيا :

فمنذ وقع انقلاب ١٩٦٤م وخلع السيد « جلمشيد بن عبد الله » . .

ومنذ قتل في ساعات محدودة (ستة عشر ألف عربي) ، كما لقي سائر المسلمين شتى أنواع التعذيب ، ولقي ٥٤ ألفًا حتفهم .

منذ هذا اليوم الذي تبعه زوال شخصية بلد إسلامي عزيز هو (زنجبار) حرسها الله ـ أصبحت كلمة الإسلام ـ وأصبح العرب واللغة العربية ـ جرائم يحاسب عليها القانون . .والمجال لا يتسع

لتتبع صور اضطهاد الإسلام والعروبة في تنزانيا . .

رابعًا : في تشاد :

وفي تشاد حيث تصل نسبة المسلمين في بعض المصادر إلى ٩٢٪ (وليس لهم في الحكم إلا ٢٠٪ فقط من المقاعد الوزارية) ـ تتعرض الجماهير المؤمنة ـ والشخصيات الإسلامية ـ لاضطهادات متلاحقة ، كما يتعرض المسلمون جميعًا لضغوط الضرائب والاعتقالات والحرمان من الحقوق السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية .

وقد فشلت انتفاضة المسلمين ضد أنواع المظالم المحدقة بهم في سنة ١٩٦٥م ـ فكانت انتفاضتهم الفاشلة بابًا جديدًا فتح عليهم أبواب التنكيل والتعذيب ، لدرجة استجلاب قوات فرنسية لإبادتهم ، مع ملاحظة أن نسبة الحاكمين المسيحيين لا تعدو (٤٪) من السكان .

والشعب التشادي المسلم بقيادة جبهة التحرير الوطني التشادي التي تأسست سنة ١٩٦٦م ـ لا زال يكافح لإعادة الأوضاع إلى نصابها ـ وفقًا لما يتشدق به المسيحيون كذبًا ـ حول حقوق الناس والأغلبية في الديمقراطية والحرية والوصول إلى الحكم . .

لكن الحقيقة الثابتة أن الديمقراطية يحاربها النصارى أنفسهم إذا كانت لمصلحة الإسلام . .

خامسًا : : أما إثيوبيا . . ومأساة المسلمين في إريتريا . .

فالمسلمون ـ هناك ـ محرومون من أبسط الحقوق الإنسانية .

فبقرارات رسمية يمنع دخول المدرسين المسلمين إلى إثيوبيا وإريتريا ، وتفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الإسلامية ، ويلاحق الإسلاميون لإسلامهم ويزج بهم في السجون ، ولا يعترف لهم بشهادتهم التي حصلوا عليها من المدارس الإسلامية .

وقد ألغيت اللغة العربية . . في المدارس . . وفي المصالح والمؤسسات الحكومية ، وتلجأ الحكومة إلى بث جاسوسية محكمة حول المسلمين ، والشخصيات الإسلامية المثقفة . . سواء من هم من الوطنيين أو من هم من الوافدين ـ لضمان وأدها للإسلام واللغة العربية . . كما أنها تحرص حرصًا شديدًا على إبعاد المسلمين عن الدوائر الحكومية ، وتشجيع « البغايا » على الهجرة والانتشار في المدن الإسلامية على امتداد إثيوبيا وإريتريا . . بل إن الحكومة لترفض مجرد إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول التي تشعر بتمسكها بالإسلام ، وترفض السماح للطلاب الأرتريين والأثيوبيين بقبول المنح التي تقدم لهم من بعض الدول الإسلامية ، وتبذل ـ إلى جانب ذلك ـ تسهيلات ضخمة لكل الحركات المعادية للإسلام شيوعية أو صهيونية أو تبشيرية ،كما أنها تفرض على المسلمين الجهل والفقر والمرض .

وهناك محن أخرى كثيرة تحيط بالمسلمين الأفارقة ... لكننا لسنا بسبيل الحصر . . وحسبنا هذا من صور التحدي للإسلام في إفريقيا المجاهدة .

بيد أن هناك (منحًا) كثيرة ، ونوافذ فسيحة للأمل في إسلامية إفريقية .

فإن الاستعمار والتبشير بأسلوبهما الهمجي قد ساعدا المد الإسلامي من حيث لا يشعرون ،كما أن الشعوب الإفريقية قد بدأت تعرف حقيقة الماركسية والصهيونية وأسلوب الحياة في ظلالهما ، وحقيقة أطماعهما ، وقد ساعد على ذلك سقوط أسطورة إسرائيل التي لا تقهر في حرب رمضان ١٣٩٣هـ .

إن كينيا قد بدأت سياستها تميل نحو الاعتدال ، فيما يتعلق بالحقوق الإسلامية . . وهذا مكسب ممتاز .

وقد أصبح المجال لنشر الإسلام في أوغندا في أحسن صوره الممكنة ، وحبذا لو استغلته الدول العربية المهتمة بالإسلام .

والسنغال قد بدأت تأخذ موقفًا معتدلًا أيضًا من القضايا الإسلامية .

وقد عقد في عاصمتها داكار ـ بتسهيلات كبيرة من حكومة السنغال ـ مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الإفريقي الثاني (محرم

١٣٩٧هـ) الذي انبثق عنه تكوين مجلس التنسيق الإسلامي الإفريقي .

وقد تكرمت حكومة السنغال فمنحت أعضاء رابطة العالم الإسلامي كل الامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

وجمهورية إفريقيا الوسطى قد أعلن رئيسها « بوكاسا » أنه ، وفريق من وزرائه ، وستون من كبار الشخصيات ـ إسلامهم ، ففتح الباب للإسلام في هذه الجمهورية الفتية .

ومثل إفريقية الوسطى : الجابون التي أسلم رئيسها وأدى فريضة الحج .

ويجب ألا نغفل من ملامح الصورة أن بعض الدول الإفريقية التي حصلت على استقلالها قد أفادت الإسلام ولغة القرآن ، وأكبر مثل على ذلك هو الجزائر المسلمة العربية . . جزائر عبد الحميد بن باديس التي تتمنى أن تلعب دورًا قياديًا في الدعوة إلى الإسلام وفي نشر اللغة العربية في إفريقيا .

كما أن من الواجب ـ إحقاقا للحق ـ أن نذكر بالخير الجهود التي قامت بها حكومة الجمهورية العربية الليبية في مساندة مسلمي إفريقيا والمدافعة عن قضاياهم .

فهذه النواحي ـ وغيرها ـ تشكل الجزء الكبير المشرق ، الممهد

لجعل إفريقيا قارة إسلامية عربية بإذن الله .

مستقبل الإسلام في إفريقيا :

من بين عوامل الإيجاب والسلب المتضاربة . . ومن خلال ملامح الصورة بشطريها الأبيض والداكن . . ووسط تراث حضاري أصيل أعطى إفريقيا لونها الإسلامي على امتداد القرون التي سبقت مرحلة الاستعمار الأوربي . .

من بين كل هذا ـ وعبورًا من تراث الماضي إلى آلام الحاضر وآفاق المستقبل ـ نستطيع القول بموضوعية محايدة :

إن مستقبل القارة الإفريقية هو مستقبل إسلامي يتكئ على العربية لغةً وفكرًا . . ويستمد من الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة منطلقاته ، ومناهج نضاله ، ومعالم مستقبله الحضاري المتميز الأصيل .

ولعل من حسن حظنا نحن الذين سنعبر ـ إن شاء الله ـ عتبات القرن الخامس عشر للهجرة . . وربما عتبات القرن الحادي والعشرين للميلاد .

ولعله من حسن حظنا أننا ذلك الجيل الذي سيودع عصر الدكتاتورية الفردية المستبدة الطاغية في عصر الثورة التكنولوجية . .

لقد آن للتاريخ أن يدور دورة أخرى يكون للشعوب فيها

الدور الحقيقي البطولي ، وتنتهي مرحلة الطغاة الذين تعودوا أن يقودوا مئات الملايين بقرار أو بشعار . .

إن مرحلة الغوغائية واستبعاد الطغاة للشعوب سوف تنتهي . .

هكذا يقول معلمنا التاريخ ، وقد بدأ جليدها يذوب في جناحي المعسكر الإلحادي إثر سقوط بعض الطغاة . .

وعندما يقف التاريخ على باب منعطفه ـ فإن شعوب إفريقيا ـ وليس عملاء الاستعمار التبشيري ، وليس عملاء الشيوعية ، وليس عملاء اليهودية .

إن شعوب إفريقيا وحدها وليس كل هؤلاء هم الذين سيقررون مصير هذه القارة المجاهدة العذراء . .

وبالتأكيد فإن الفطرة الإفريقية المنبثقة من أعماق التراب والتاريخ لن ترضي بغير الإسلام بديلًا ، فماضي الإسلام في إفريقيا هو حضارتها التي تزهو بها . . وما أسدى الإسلام لها غير الخير . . وما كان دعاته غير مجاهدين يتوجهون بعملهم لوجه الله ، ولم يكونوا يومًا مستعمرين مستغلين . وأما حاضر الإسلام في إفريقيا . . فهو كحاضر الإسلام في كل بلدان الإسلام ، حيث يتعرض هذا الدين ـ كما ذكرنا ـ لهجمة استعمارية شرسة ، نظرًا لأنه الدين المرشح لقيادة حضارة المستقبل . وأما المستقبل ، فلا يمكن أن

يكون أوربيًا أو نصرانيًا . . فتاريخ إفريقيا مع أوربا أو النصرانية لا يسمح بإقامة روابط حقيقية .

على أننا نحن العرب الإفريقيين المسلمين . . ونحن المسلمين في كل مكان ، يجب أن نساعد التاريخ على السير بإفريقيا إلى شاطئ المستقبل الإسلامي ، فالتاريخ البشري لا يتحرك آليًا أو عفويًا ، وهو لا يسير باطراد في اتجاه الأصلح ، إذ يساعده الصالحون في الأرض ...

وإنني أقدم للقيام بهذا الواجب المقترحات الآتية :

١ ـ توجيه إذاعة لأفريقيا في كل بلد عربي مسلم ، تتكلم اللغة الشائعة مع الاقتراب ما أمكن من العربية ، ومع ضرورة إيصالها واضحة لأعماق إفريقيا .

٢ ـ إقامة سفارات وعلاقات ثقافية واقتصادية طيبة مع البلدان الأفريقية كلها ، ولو كان ذلك على حساب بعض التجاوزات عن الآراء السياسية المرحلية .

٣ ـ تبليغ صوت المسلمين الأفارقة إلى العالم ، وتبني قضاياهم وحقوقهم الإنسانية في تعلم دينهم ولغتهم العربية ، والوقوف ضد الدول التي تحرمهم من هذه الحقوق (فمثلًا .. حكومة إثيوبيا تحرمهم من إقامة المدارس الإسلامية ومن تعلم الدين الإسلامي ..

وتعتبر ذلك عملًا غير مشروع) .

٤ ـ رصد ميزانية خاصة للمعونة الاقتصادية لمسلمي إفريقيا ، وذلك لمساعدتهم على إقامة مساجد ومدارس ومستشفيات ودور لرعاية المعوزين والعاجزين واليتامى والأرامل ، حتى يتمكنوا من الاستغناء عن مساعدات التبشير المسيحي ، ومن القضاء على الموبقات الأخلاقية التي يدفع إليها الفقر ، (فالزنا في إريتريا ـ مثلًا علني . . حيث يجلس النسوة في مصوع أما البيوت ، وينمن بالليل أمامها في انتظار الساقطين)[١] .

٥ ـ مناشدة الحكومات الإسلامية في البلدان العربية الأفريقية بمنع الزنا والخمور ـ منعًا رسميًا ـ وعدم التصريح بقانونية هاتين الجريمتين . . حتى تكون هذه الدول مثلًا حيًا لأفريقيا المسلمة غير العربية . . فالحقيقة أن الفساد الأخلاقي من الوسائل التي يعتمد عليها التبشير والصهيونية والشيوعية في استعباد الشعوب وقهرها .

٦ ـ استغلال الظروف المتاحة ـ ولو مرحليًا ـ أحسن استغلال لتوطيد أركان الإسلام والعربية في بعض البلدان الإفريقية التي تقيم علاقات قوية هذه الأيام مع العالم العربي . . . كأوغندا والجابون والسنغال وتشاد ونيجيريا وجمهورية إفريقيا الوسطى . . وغيرها .

---

(١) انظر محمد العبودي : في إفريقيا الخضراء ، صفحة ٨٢ وانظر ٨٧ ، ١٧٢ .

٧ ـ العمل على إذابة الفوارق بين المذاهب الإسلامية المعترف بها ، وجلاء وحدة الدين الإسلامي في أصوله . . ففي بعض البلدان الإفريقية تنتشر ـ للأسف الشديد ـ موجة التعصب المذهبي لدرجة أن بعض الطوائف تخصص مساجد لها ، فتكتب على المسجد مثلًا : (مسجد الشافعية ، أو مسجد الحنفية) وهكذا . .

٨ ـ نشر الإسلام الصحيح والثقافة الإسلامية الأصيلة ـ بالكتب والأساتذة وبالنشرات والدوريات بلغات إفريقيا ـ فالمسلمون الأفارقة في أغلبهم جهلة لا يعرفون أبجديات الإسلام ، بل بعضهم يخلط بين الإسلام والمسيحية ، حتى في الاسم ، فيتسمون : « هنري محمد ، وجيمس علي » .

بل إن بعض الأطفال المسلمين والشيوخ لا يعرفون معنى الإسلام ، ولا يعرفون أنهم مسلمون . وبعض المدارس الإفريقية تخلو من مدرس واحد للإسلام والعربية ، كما أن بعضها أغلق بعد بنائه لعدم وجود المدرسين المتخصصين في الإسلام والعربية .

٩ ـ دراسة اللغات الإفريقية واللغتين الإنجليزية والفرنسية في المعاهد والجامعات الإسلامية ، وبخاصة معاهد إعداد الدعاة .

١٠ ـ مساواة الماركسية بالصهيونية والتبشير ، وإعلان الحرب على كل هذه المبادئ الهدامة التي تحارب الإسلام في إفريقيا

« فالكفر ملة واحدة » .

وقد فعلت الماركسية بالإسلام في إثيوبيا والصومال وتنزانيا وغيرها ما لم يجرؤ الاستعمار على فعله ، وقد أوقف الشيوعيون المد الإسلامي في كل بلد إفريقي سيطروا عليه .

١١ ـ ولا تستطيع أن تخفي أن حركة القومية العربية كفكرة عنصرية متخلية عن الإسلام ، قد أساءت كثيرًا إلى الصورة الإسلامية في إفريقيا .

وبالتالي فالولاء للإسلام والمستقبل الإسلامي لإفريقيا يقتضي التخلي عن النعرة الجاهلية .

١٢ ـ وأخيرًا . . فإن أوضاع العالم العربي والإسلامي ، والخلافات السياسية والفكرية القائمة بين بعض حكوماته ، وتخلي كثير من القيادات عن الإسلام منهجًا ورسالة إلى البشرية ، والاعتماد على الفكر المادي أو العلماني أو القومي . . فضلًا عن انحطاط المستوى الفكري والخلقي والاقتصادي والسياسي داخل المجتمعات الإسلامية . .

كل هذا لعب دورًا في زحف الأفكار المضادة للإسلام على إفريقيا ، وفي بطء التقدم الإسلامي . . إذ أن فاقد الشيء لا يستطيع أن يعطيه . . وتقدم النموذج العملي لا يقل عن الاستيعاب النظري .

وإن واجبنا نحن المخلصين لقضية الإسلام أن نناشد القيادات العربية والإسلامية في أن تتجه إلى الإسلام داخليًا وخارجيًا ، ففي ذلك ازدهارنا داخليًا ، وتقديمنا النموذج الصالح الملائم لمبادئ ديننا خارجيًا . وصدق القرآن : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [١] .

هذا طريقنا . . .

ورسالتنا . . .

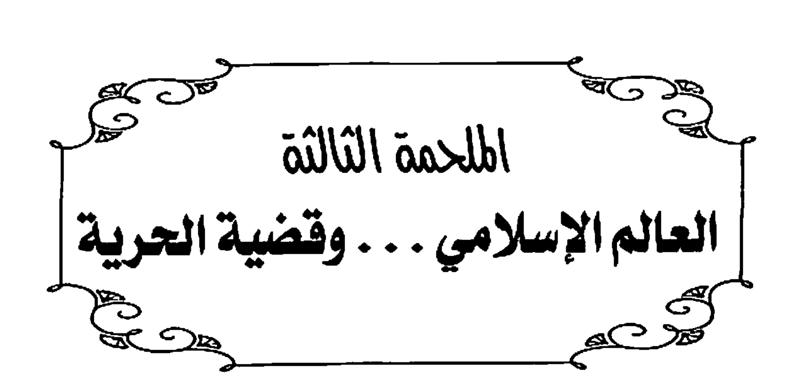
ومستقبلنا . . .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [٢] .

---

(١) سورة آل عمران ١١٠ .

(٢) سورة الصف ٩ .



الملحمة الثالثة

العالم الإسلامي . . . وقضية الحرية

الحرية السياسية في المفهوم الإسلامي :

وهي البداية الصحيحة للعالم الإسلامي

هل رأينا زهرة تفتحت أكمامها ، وأعطت الحياة شذى طيبًا ولونًا بهيجًا ، بينما هي خارج نطاق الطبيعة . . حبيسة . . لا تتنفس في هواء صحيح ؟ .

تلك هي الحقيقة الفطرية التي تماري كثير من النظم السياسية في الاعتراف بها . .

لكن لماذا ؟ . .

لماذا يصر بعض الحكام ، وتصر بعض الأنظمة ، على تحويل الوطن إلى سجن كبير لا يتفيأ الناس فيه ظلال الحياة ، ولا يتنفسون في الهواء الصحيح . . لماذا ؟ .

الاحتمال الظاهر أن تكوين هؤلاء الحكام أو هذه النظم هو تكوين إرهابي . وأن هذه النظم وهؤلاء الحكام قاصرو النظر ، فاسد والمزاج ، لا يملكون الوعي التاريخي ، ولا الرؤية الحقيقية . . أي إنهم ـ بإيجاز ـ جهلاء سذج . . وفقط !!

والاحتمال الثاني . . . الأكثر بعدًا عن طيبة القلب ، وسلامة النية ، وسذاجة التفكير . . هو أن الحكام . . ظلمة . . إرهابيون . . . وهم يعلمون أن الحرية ـ كقانون يعطي كل مواطن حق القول ، وحق

النقد ـ سوف قد من ظلمهم ، وربما قضت عليهم وسوف تكبح جماح طغيانهم وإرهابهم ، وسوف تمنع أيديهم من سرقة قوت الأمة ، والمغامرة بحاضرها ومستقبلها في نزوات مضمونة الخسارة في أغلب الأحايين . . .

أي أنهم ـ بإيجاز ـ يخافون من الحرية على أنفسهم فقط . . باعتبار أنهم ظلمة !!

والاحتمال الثالث . الأكثر وعيًا بحركة التاريخ هو أن هؤلاء الحكام هدامون يقتلون في أممهم إرادة الحياة ليجعلوها تتعود الذل وتستعذب الإرهاب ، وتتمرن على القهر والانحناء .

أي أنهم في الحقيقة يمهدون الأرض والنفوس لأي استعباد خارجي يطرأ . . وقديمًا وعى الشاعر العربي البسيط هذه الحقيقة حين قال بيته المشهور :

لا أذودُ الطيرَ عن شجرٍ قد بلوتُ المرَّ من ثمرِهِ

هل يدافع السجناء عن سجونهم أو سجانيهم ؟ .

هل يدافع العبد عن سيده الذي أرهقه بسياطه ؟ .

هل يدافع القتيل عن قاتله ؟ .

إن غوستاف لوبون يضرب لنا مثلًا رائدًا في هذا الباب حين يقول : « وكلما كانت جيوش الثورة الفرنسية ، وهي ماضية في

غزوها تصطدم بأمم أذلها الطغاة المستبدون ، ولم يكن لها خيال تذب عنه كان النصر حليفها أما حين تصطدم بأقوام معهم حرية ولهم خيال . . فقد كان يتعذر عليها الفوز والانتصار » .

. . نعم . . . هكذا أثبت التاريخ أن السجين المقهور لا يدافع عن سجنه ، وأن الفوز والانتصار حليفان للشعور بالذات . . ولعل هذا ـ وكما أثبت التاريخ كذلك ـ هو سر تفوق الشعوب الحرة ، وانتصارها ،وتقدمها .

ولعله سر تمسح الناس ـ كل الناس ـ في الحرية والديمقراطية ، حتى تلك الأنظمة المعادية ـ كل العداء ـ للحرية ... نعم حتى هذه الأنظمة تسمى نفسها أنظمة ديمقراطية وترفع شعار « الحرية » !!

وليس من التكلف القول بأن أهمية الحرية في خلق الطاقات المبدعة . وتوجيهها في طريق بناء الأمم والدور الحاسم الذي تلعبه ، هو الذي يجعل الاستعمار يحرص على أن يخلفه حكام إرهابيون وأنظمة إرهابية يخترع لها ـ هو ـ شعارات معادية له . . لكي تقتل باسمها الحرية . . ولكي تقوم بتحقيق ما عجز الاستعمار عن فعله ـ باعتباره قوة خارجية تواجه بتحد صريح ـ من وأد الشعوب وقتل طاقاتها ، ومن ضرب كل العناصر الإيجابية فيها !

أي أن هؤلاء الحكام ـ بإيجاز شديد يقتلون القوى الإيجابية التي

عجز الاستعمار عن قتلها !!

والاحتمالات كلها صحيحة ، وهي كلها قد تجتمع ، وقد تفترق ، لكن اجتماعها أو افتراقها لا يبرران الركون للظلم ؛ لأن النتيجة واحدة ؛ ولأن الضحايا في نهاية الأمر هي الشعوب .

الشعوب المسكينة التي حرمت حقها في الحياة . .حين حرمت حريتها .

ولئن كان الوطن هو المكان الذي يتاح للإنسان فيه الاستقرار والسلام والعيش ، فإذا لم يشعر الناس بشيء من ذلك يفاء على سعيهم الحثيث وكدهم الدائب فإن إحساسهم بالوطن يتضاءل ويذوي بينما ينمو شعور آخر بأنهم غرباء في هذه الأرض وضيوف عليها بل وشعور آخر أكثر سوءًا إذ يجدون جهدهم يضيع وعناءهم يتبدد في وطن لا يكافئهم ولا يتراحب لحقوقهم وغاياتهم فتنفصم كل عرى الولاء والحب التي كانت في نفس الجماعة لأرضها ووطنها وترحب بكل طارق ومغير يقرع أبواب بلادها !!

* الحرية هي الحياة ؛ لأن الحياة بلا حرية هي دولاب آلي لا إحساس له !!

* والحرية هي الإنسانية ؛ لأن الإنسانية بلا حرية هي حيوانية بهيمية !!

* والحرية هي الوطنية . . لأن الوطن بلا حرية سجن كئيب يهرب منه أبناؤه !!

* والحرية هي التقدم والإبداع ؛ لأن العبيد لا يقدرون على صنع المستقبل ولأنهم لا مستقبل لهم !!

وتلك هي أهمية الحياة ، ومن هنا تنبع خطورتها !!

الحرية كمفهوم سياسي :

من البديهي أن تطور الأحداث المتعلقة بمضمون معين هي التي تحدد الهوية الحقيقية لهذا المضمون ، ذلك لأننا لا نستطيع فصل الأشياء عن الكلمات كما أننا لا نستطيع بتر التصورات التاريخية عن المصطلح التاريخي .

إن اللغة ليست كما يتصور البعض مجرد تجريد ذهني . إنها تعبير مرتبط بالشيء لا ينفصل عنه ، وحين يفصل الشيء عن اللغة . . تصبح اللغة مجرد غمغمات صوتية ، إو إيقاعات مجنونة يستوي فيها حنجرة الإنسان والحيوان وفرقعة الجمادات .

ومن الحتم عند تتبع مصطلح التعرف على الدلالات المختلفة التي استعمل فيها ، وأدوار الاستعمار التاريخي التي مر بها . . .

ومصطلح كمصطلح الحرية ... لا بد فيه من تحقق كل هذه الأبعاد ، لكي يوضع في مكانه السليم .. ولكي تزحزح الغيوم التي

من الممكن أن تكون قد تراكمت على جانبيه عبر مسيرته في التاريخ .

يرى البعض أن الحرية هي حرية المعارضة . . حرية أن أرفض أو أقبل . .

ويرى البعض أن الحرية هي « غياب المعارضة » بالنسبة للشخص ، أي أننا نشعر بحريتنا حين نحس بأن أحدًا لا يراقب سلوكنا ،ولا يحد من قدراتنا التصرفية . . ومن هنا أطلقوا على النظم الإرهابية بأنها النظم المطلقة . . أي الحرة التصرف في الجماهير وفق هواها . .

ولا تعارض بين الدلالتين . . لأنهما في الحقيقة يكمل بعضها البعض . . فحرية هذا في أن يقول . . هي نفسها حرية ذاك في أن يعترض . . أي أن يقول رأيا آخر . .

المهم ألا يستعمل أحدهما وسائل خارجية بعيدة عن « القول » لكي يمنع الآخر من القول كما يشاء !!

وفي هذه الحال تبدو قضية الشعور لا قيمة لها . . فشعورك باللا حرية لأن أحدًا من حقه أن يعترض على قولك هو أنانية ذاتية تريد الاعتداء على حق الغير في أن يقول . . مثلما أخذت أنت حق القول ابتداء .

من حق الجهاز الحاكم أن يقول ... أن يدافع عن آرائه

ومشاريعه . . لكن ما دام الأمر سيتعلق بي أنا المواطن العادي . . فمن حقي أن أعترض على قوله . . .

نعم : من حقه القول . . ومن حقي القول . . لكن أن يفعل ابتداء ، أو أن يمنعني من حق القول ، فهذه هي الاستغلالية ، والعبودية ، وإساءة التصرف في حريتي !!

إن الحرية لا تعني فقدان الضوابط بل تعني انسجام الضوابط وتوازنها بحيث تكون الضوابط ملزمة للمحكوم فقط ،بل ملزمة للحاكم والمحكوم معًا . . !! والقيود التي تمنع الإنسان من الإساءة إلى نفسه أو إلى الغير هي قيود مرغوب فيها عمومًا ، وقيود القانون العادل هي من هذا النوع ، وحيث يسود « لا قانون » تسود بالتالي « لا حرية » !!

وفي رأي بعض المفكرين السياسيين أن الحرية مضمون واسع ، ولا بد لنا حين نريد تحديدها سياسيًا أن نفرق بين أنواع الحريات السياسية ، كحرية الانتخاب ، والترشيح ، والمعارضة ، والتصويت الحر ، ورفض الدستور أو قبوله ، وحرية المعتقد ، والفكر . . . وما إلى ذلك ،فضلًا عن حرية الانتماء الحزبي ، الذي يمثل أبرز صورة من صور الحريات السياسية .

ويربط آخرون بين الحرية السياسية والاقتصادية ، فيرون أن

جناحي الحرية هما الرغيف وحرية الرأي ، ويرون أن غياب رغيف الخبز يعني غياب الرأي الحر .

ويستجدي هؤلاء التاريخ ، فيذكرون أنه في ظل المجتمعات الطبقية كان من الصعب على طبقة البروليتاريا أن يكون لها رأي ؛ لأنها محكومة بقوانين العمل ، وبمضاعفات الثورة الصناعية ، وبالتسلط البورجوازي الذي يمنعها من أن تبدي رأيًا معارضًا لمصالح البرجوازية المسيطرة !!

ومع صحة الدور الذي يمكن أن يلعبه الاقتصاد في الحياة ، فالواقع أن الحرية كقيمة وجودية وسياسية ليست مرتبطة ارتباطًا عضويًا بالاقتصاد إلى هذا الحد . .

فعلى مدار التاريخ وجدت الطبقات ، ووجد السادة والعبيد ، ووجد الأغنياء والفقراء . . .

لكن إذلال بعض الطبقات لبعض الطبقات الأخرى ـ لم يكن ـ أبدًا ودومًا ـ وليد احتياج الطبقات الذليلة لرغيف الخبز ـ أو العوز الاقتصادي ـ للطبقات الأعلى . . بل إن هذا الإذلال يرجع إلى عوامل ، ربما كان بعضها عرقيًا جنسيًا ، أو دينيًا مذهبيًا ، أو تسلطيًا إرهابيًا ، أو استعماريًا خارجيًا . . فما معنى الربط الأبدي بين الاقتصاد والسياسة !!

والأمر نفسه يقال في ارتباط السادة العبيد ، إنه لم يكن وليد تحكم السادة في الاقتصاد وحسب ، بل كان وليد عوامل تاريخية كثيرة ،منها التركيب الاجتماعي نفسه ، ومنها التطور التاريخي ، ومنها التخلف الفكري ، ومنها الجاهلية الاعتقادية !!

وبالتأكيد تعتبر الحرية الاجتماعية المقننة ، والحرية الاقتصادية المقننة ، والحرية الفكرية المقننة ... عوامل هامة لاستكمال الحرية السياسية ؛ لأن الحرية السياسية لا تقوم في فراغ .

ويبقى بعد ذلك أن الحرية السياسية هي أن يتاح للمواطن الاشتراك في حكم نفسه ، بقدر ما تسمح له مجموعة ظروفه في المجتمع ، والدولة الحرة سياسيًا هي تلك التي تصبح دولة الشعب .

خارج الحرية :

من الغريب في التاريخ أن الذين عرفوا قيمة الحرية ،وتعاملوا معها كقانون من قوانين البقاء ، لم يتعبوا أنفسهم في التهويل بها . . والإنجاز على حسابها . . .

إن اليهودية الصحيحة التي كانت على عهد موسى ، والمسيحية الصحيحة التي كانت على عهد عيسى ، والإسلام منذ نزل محمد ـ عليهم الصلاة والسلام جميعًا ـ وإلى اليوم . . إن هذه الرسالات كلها قد خلصت البشرية من كثير من أثقال العبودية وأوزار الاستبداد .

لكن - من الغريب في التاريخ - أن هذه الرسالات - الرسالات السماوية كلها - لم ترفع شعار الحرية، ولم تتاجر به لتستغل الجماهير، وتستغل غوغائية بعضها .. لقد كانت تعلن العبودية لله الواحد، والمساواة والحرية بين كل البشر .. كانت هذه هي خلاصة عملها .. استسلام لله، وثورة على كل الطواغيت والقيم والتصورات الاستعبادية البشرية ...

ومع ذلك، فلم تستغل الأديان عمومًا - كما ذكرنا - شعار الحرية لتتاجر به على الجماهير المضطهدة الكادحة .. إنها كانت تخلق من السادة أنفسهم محررين للعبيد، وكانت تخلق من العبيد سادة، وتوقف الجميع أمامها وقفة متساوية في ظل قانون واحد وإله واحد .. لقد كانت الأديان تغرس جذور بطريقتها الخاصة الفريدة !!

لكن من غريب التاريخ كذلك أن يكون رافعو شعار الحرية ومستغلوه هم ألد أعداء الحرية .

فأسلوب الثورات والتحولات الانقلابية الانفعالية، وهو الأسلوب الذي رقص كثيرًا على أنغام موسيقى الحرية . هذا الأسلوب كان من أكبر عوامل قهر الحرية في التاريخ !!

فباسم الحرية أذلت الثورة الفرنسية الأمة الفرنسية كلها ..

وباسم الحرية الاقتصادية والسياسية أذلت الثورات الشيوعية

والاشتراكية أممًا كثيرة في الأرض والدول التي تسمى نفسها دولًا ديمقراطية هي في أغلب الحالات الدول الاستبدادية وألمانيا الديمقراطية الشعبية ، اليمن الجنوبية الشعبية ، كوريا الديمقراطية ، الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الديمقراطية ، الصين الشعبية الديمقراطية . . وهلم جرًا . . . » .

إن هذه الدول عمومًا تحكمها فئات صغيرة من السياسيين المحترفين ، أو المغتصبين العسكريين أو المدعومين بقوى خارجية ، ومع ذلك ،ومع أنه قام من بين حكام هذه النظم أبشع الطغاة في التاريخ ، فهذه النظم ـ مدفوعة بعقدة الشعور بالذنب أو عقدة النقص إلى أن تلوك كلمة الحرية والديمقراطية أكثر من لوكها أية كلمات أخرى !!

إن هذه النظم كلها « خارج الحرية » ، بل إن هذه النظم هي أكبر وصمة عار أصابت « الحرية » وأصابت كرامة الإنسان ، ولوثت مفهوم الحرية حتى كادت كلمة الحرية تفرغ من مضمونها الحقيقي !! .

الحرية في الإسلام :

لم يرفع الإسلام شعار الحرية ولم يتاجر به ؛ لأن قضيته في الأرض هي قضية الإنسان في موكب تاريخه كله ، وليس ينسجم مع طبيعة الإسلام أن يحصر نفسه في قضية واحدة من قضايا

الإنسان قد تعني أقوامًا ولا تعني آخرين ، وقد تكون ملحة في زمان ، بينما تكون عادية متوافرة في زمان آخر . . .

وانطلق الإسلام يصفي منابع الرق ، ويضع مسئولية هذه التصفية على كاهل السادة والعبيد معًا . . . إن القضية ليست قضية صراع يؤدي بأجيال لينتهي بثورة مضادة تضيع نتائجه . .

إنها قضية الإنسان . ويجب أن يتحمل كل إنسان ـ في أي موقع ـ دوره فيها . . .

إن على « السيد » قبل « العبد » أن يدرك أن قوانين استعباد من نوع الاسترقاق المعروف هي مهزلة إنسانية ،ومن الممكن أن يقع هو ضحيتها في معركة خاسرة أو أمام قطاع طرق . . إن عليه أن يشمئز شخصيًا من قضية أفضلية إنسان على إنسان أو استعباده له .

لا بد أن تنبع الثورة من داخل فكره ونفسه ، ولا بد أن تكون متصلة بقضية إيمانه . . ولقد نجح الإسلام في ذلك أروع نجاح في التاريخ ، وتغيرت النفسية التي أسلمت ، فرفعت العبد إلى مصافها ، بل جعلتهم أسيادًا لها « بلال سيدنا » ، و« سلمان من أهل البيت » . . .

ومات معنى العبودية بمعناه القديم قبل بزوغ فجر الإسلام . . ووقف العبد في الصلاة إلى جوار سيده ، بل ربما أصبح إمامًا وأصبح السيد مأمومًا !

وبمناسبة وغير مناسبة حث الإسلام ، بل وأوجب ، تحرير الرقاب ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ ﴾ . . .

وأعطى العبد حق استرداد حريته بالمكاتبة ، لكي يبقى أمره بين يديه ، ولكي لا يرى أن الرق مفروض عليه . . . أبدًا . . أمره بين يديه ، وليس من حق السيد أن يمتنع عن مكاتبته ، وأما الجارية فإذا أنجبت صارت أم ولد . . أي بإيجاز شديد تنال حريتها إن عاجلًا أو آجلًا !!

وفي المجتمع . . في مجالات السياسة ، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، برزت الحرية بصورة لم تعرفها البشرية من قبل . .

ذهب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى معركة أحد بالرغم من أن هذا لم يكن رأيه . . فلما انهزم المسلمون نزلت آية : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ حتى لا يظن أن ثمة ترابطًا بين الهزيمة والشورى .

وفي بدر شاور الرسول ، وفي الخندق شاور أيضًا . . !! ولم يكن المسلم يحس بأن ثمة ما يمنعه من أن يقول رأيه . . فالرسول لم يكن يعاقب أحدًا على القول أو يمنعه منه . . ولم تكن ثمة مسائل عليا ومسائل سفلى ، بل كل الأمور البشرية من حق البشر ، بل فيما

يتعلق بأمور الدنيا هذه يقول الرسول الكريم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » !! .

ويعلن الخليفة في خطبة الخلافة الأولى « إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

وعندما يتكلم عمر في قضية المهور تصوب له المرأة رأيه . . فيقول على رءوس الأشهاد : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » . .

وعندما يطلب من رعيته أن يقوموه . . يقول له أحد الجالسين : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقومناك بسيوفنا » فلا يغضب أو يأمر باعتقال الرجل . . . ويخطب فيأمر الناس بالسمع والطاعة ، فيرد عليه أحدهم : « لا سمع ولا طاعة » لأنه ظن أن عمر أخذ أكثر من حقه في ثوب . . فيبين له عمر الأمر !!

والتاريخ الإسلامي حافل بالصور العاكسة لظاهرة الحرية كقيمة حياة تنهار قيمة الحياة بدونها !!

ولئن كان ثمة انحراف في بعض فترات هذا التاريخ ، فإن هذا الانحراف كان خروجًا على الإسلام كأي خروج آخر من مظاهر الانحراف الكثيرة ، وهو خروج لا علاقة له بالإسلام ولا بصناع التاريخ الإسلامي الحقيقيين !

الحرية.. بداية النهضة الأوربية الحديثة :

من خلال القيم الإسلامية التي تصنع المناخ الحر بزغ فجر حضارة الإسلام ، وظل المسلمون عشرة قرون . . بل وأكثر ، سادة الدنيا ، وقادة التقدم ، وأساتذة العلوم والآداب .

وعندما التقى الشرق بالغرب سواءً في صقلية أو جزر البحر الأبيض أو الأندلس أو الحروب الصليبية ، أحس الأوربيون بأن روح الحرية من أبرز عناصر تفوق هؤلاء المسلمين !!

ومع بداية عصر النهضة في القرن الخامس عشر كانت ظاهرة « النقد والحرية » سواء في مجالات الإرهاب العقيدي الكنسي ، أو مجالات الفكر بعامة أو مجالات السياسة أو غير ذلك . . كانت هذه الظاهرة من أبرز العناصر المكونة للمواد الخاصة التي صنعت عصر الصاروخ والمركبة الفضائية !!

ولئن كان مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م) وكالفن (١٥٠٩م) ، وجون فوكس (١٥٠٥ ـ ١٥٩٢م) قد قادوا قضية التحرر من الإرهاب والجمود الكنسي ، فإن قيام « الثورة » البرلمانية في انجلترا إبان القرن السابع عشر وانتصارها على الحكم المطلق كان أبرز ظواهر التحرر من الإرهاب السياسي ، وكانت لائحة الحقوق التي صدرت في انجلترا سنة ١٦٨٩م من الوثائق النادرة المحددة لخط جديد في المسيرة الأوربية التي كانت ساكنة أكثر من عشرة قرون .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر برز المفكرون الأحرار المتمادون المغالون في الحرية - كرد فعل لعصور القهر الكنسي ، وكان من زعماء هؤلاء : طوماس مور ، وجون لوك ، ومونتسكيو ، وفولتير ، وجان جاك روسو ، وديدرو ،وغيرهم .

ومما لا شك فيه أن الحرية التي تمتعت بها المجتمعات الأوربية كانت من أبرز الأسباب في تقدم هذه القارة ، وفي استعمارها للعالم كله إبان فترة من الفترات ، وفي تقدمها العلمي الذي لا يستطيع أحد إنكاره أو المماراة في آثاره !!

لقد عملت أوربا بكل الرئات المتنفسة ،وبكل العقول المفكرة ، وبكل الآراء المتصارعة ، فوصلت من خلال كل ذلك إلى التقدم والسيطرة !!

أما الذين يعملون برئةٍ واحدةٍ وعقلٍ واحدٍ ورأيٍ واحدٍ .. فسرعان ما يموتون !!

طريق العالم الإسلامي :

- إن الفرد - مهما تبلغ طاقاته - لا يمكن أن يقف أمام نظم ومجتمعات تفكر كلها وتعمل كلها . . مثل مجتمعات أوربا وأمريكا ...

- ثم من هو الشخص الذي لا يخطئ ؟ وما دامت الخطيئة ملازمة للفرد ، فلماذا نترك مصير الشعوب معلقًا على خطأ فرد أو

صوابه ؟ .

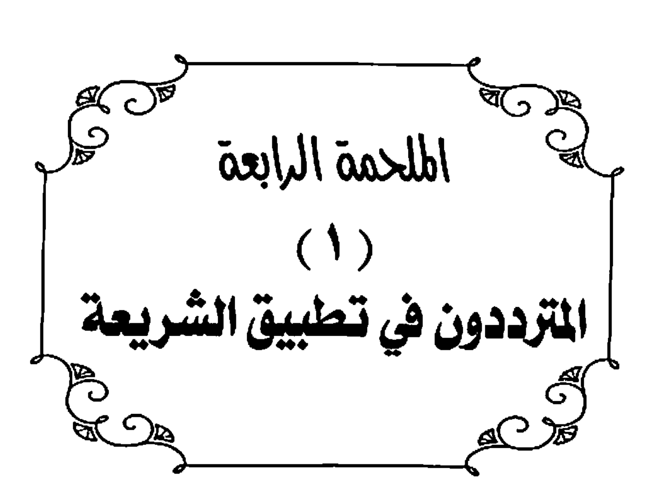
- لقد وصف « بسمارك » بأنه أنشأ وطنًا كبيرًا ، ولكنه خطف مواطنين ضئالًا ... سرعان ما استسلموا لإرهابيين آخرين .
- إن الوطن الكبير هو الذي يتكون من مواطنين كبار ، والمواطن الكبير يبدأ وجوده من قدرته على التعبير ،ومن توفير المناخ الحر له .
- لقد قاست أوربا مئات السنين من أجل الوصول إلى التنظيم الديمقراطي الذي تنعم بخيراته الآن .

ونحن في غنى عن كل هذا الشوط المرير إذا رجعنا إلى قيمنا . . إلى إسلامنا .

أجل نحن في غنى عن المعارك الدموية والتضحية بأجيال والتعرض للفناء . . إذا استلهمنا الإسلام في تقنين العلاقة بين الحاكم والمحكوم . . وفي إطلاق الطاقة الإنسانية من قيود المعتقلات والمحاكمات الصورية وتأميم الصحافة ومراقبة النشر والضغط على الهيئات العلمية والتلويح بالحرمان والإذلال . .

- كل ذلك في حدود العقيدة الإسلامية السمحة .
- لكي تكون الحرية . . في مكانها .

- ولكي ينطلق هذا العالم المقيد بالنظم الإرهابية . . المكبل بالأفكار المستوردة .
- ولكي تخضر أرض حضارتنا من جديد .



الملحمة الرابعة

(١)

المترددون في تطبيق الشريعة

ونحن على مشارف قرن جديد هو القرن الخامس عشر للهجرة . . بدأت تتنادى وتلتقي - من أعماق الخلل الحضاري والتردي التاريخي - أصوات هنا وهناك ، أضناها المسير المنحرف الممزق منذ عشرات العقود في التيه الذي فرضه غزو تدرع بكل أساليب القهر الفكري والهيمنة النفسية والتفوق العلمي .

هذه الأصوات . لم تخرج من الأعماق . . عبثًا ، وفي الوقت نفسه لم تخرج وفق تخطيط وتنظيم ،فثمة صيحة في أندونيسيا قد تساوقها صيحة في مصر ، وقد تأتي بعدهما ثالثة في السودان أو باكستان ورابعة في الكويت . . وهلم جرا .

إنها صيحات خرجت . . كما تخرج صرخة المريض . . يطلب الدواء ويعبر عن المرض . . ويعلن - بكل ما أوتي من صدق - أن الأدوية التي تعاطاها لم تفده حتى اللحظة ، وإنه ما زال في حاجة إلى الدواء . . الصحيح !

إن عاقلًا ما . . لا يطلب من المريض أن تكون تعبيراته عن مرضه - برغم صدقها التام - تعبيرات منظمة رتيبة الإيقاع ، متناغمة اللحن ... ولا أن تكون هذه الإيقاعات المعبرة قد سبقها فكر منظم ووعى موضوعي وتخطيط ذكي ، وإنما العقل كل العقل أن يعطي هذا المريض الدواء الصحيح ، ليبدأ في السير نحو الطريق

الصحيح للشفاء . . وبعد ذلك تبدأ المباحثات العاقلة حول « أمثل الطرق » لاستئصال المرض . . والحفاظ الدائم على الصحة ... وما إلى ذلك من قضايا حياتية ومستقبلية .

محاذير الطريق !!

وأغلب الذين يدعون لتطبيق الشريعة الإسلامية ـ على امتداد العالم الإسلامي ـ يعرفون جيدًا ـ كما يعرف هؤلاء الذين نناقشهم اليوم ـ كل محاذير الطريق :

* يعرفون أن بعض الحكام قد يستغلون تطبيق الشريعة الإسلامية . . للتخلص من بعض خصومهم . .أو للتنفير ـ بصورة مكرسة ،من تطبيق الشريعة مستقبلًا ، أو لاجتذاب الجماهير في مرحلة احتياجهم إليهم . . أو لغير ذلك .

ويعرفون ـ تمامًا ـ أن تطبيق الشريعة . . . بدون أرضية عقائدية ، بل وبدون مجتمع إسلامي . . قد يكون مغامرة تسيء إلى المستقبل الإسلامي كله .

ويعرفون أن أغلب الحكام في عالمنا الإسلامي تتعارض مصالحهم مع تطبيق الشريعة الإسلامية ، سواء في مجال « تركيبة أسلوبهم في الحكم ، أو « تركيبة » انتماءاتهم الفكرية ، أو « تركيبة مشكلات بلادهم التي ربطوها بقوى خارجية . . أول شروطها وضغوطها أن تكتسح المفاهيم الإسلامية من الطريق .

ويعرفون - أيضًا - أن ثمة مذاهب وأفكارًا واتجاهات ومستحدثات وأقليات وأوضاعًا فرضت نفسها . . . وأصبحت ضغوطًا لا بد أن ينظر إليها بعين الاعتبار عند التنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية !!

ويعرفون - تمام المعرفة - أن « الإيمان وحده لا يعصم المجتمع » ، وأنه « ليس بالشريعة وحدها يقوم المجتمع الإسلامي » !!!

وعندما كنت أتابع مقالات أخينا الدكتور محمد فتحي عثمان ومقالات صديقنا فهمي هويدي في مجلة العربي . . أو في المسلم المعاصر - حول « التخوفات » و « المحاذير » التي يجب أن تسبق تطبيق الشريعة . . أو عند التنادي - مجرد التنادي - بتطبيق الشريعة ، كنت أعجب لأمر الصديقين الكريمين . . وأقول لنفسي ، بعد أن أنتهي من قراءة ما يكتبان : إنها كلمات عاقلة تقال في غير موضعها ، أو هي - على الأقل - كلمات حكيمة تقال لإنسان يشرف على الغرق !! . . إنها « إغراق مستتر » لذلك المستنجد الذي يصرخ بملء فيه قائلا :

« أخرجوني إلى الشاطئ أولًا » . . ثم قالوا - أيها الحكماء - بعد ذلك ما تشاءون !!

وأعجب أول ما أعجب للدكتور فتحي عثمان - وهو مؤرخ مسلم - كيف خانته حاسته التاريخية ؟ وكيف سمح لنفسه أن

يتناسى حقيقة بديهية ،هي أن الشريعة الإسلامية التي نناقش قضية تطبيقها اليوم قد سبقت لعدة قرون ـ على الأقل ـ قبل ذلك ، عبر بيئات ومستويات حضارية مختلفة الكم والكيف . . ولم يقف أحد المسئولين الإسلاميين أو المفكرين الملتزمين ليعلن ـ خلال تلك العصور ـ أن من الضروري إرجاء تطبيق الشريعة الإسلامية . . حتى نزيل « التخوفات » وتناقش « المحاذير » ثم « نفكر » ونناقش بدون تبسيط قضية تطبيق الشريعة الإسلامية .

فهذه الشريعة ـ كما يعلم الدكتور ومثله الأستاذ هويدي ـ قد خرجت من قلب الجزيرة بكل خصائصها البدوية . . لتدك بلاد فارس والروم ، ولتنفتح عليهما . . ولتقول « الرأي الإسلامي » في كل ما لديهما ـ وهما يمثلان حضارة العصر ـ وفقًا لأصول التشريع الإسلامي بترتيبها المعروف « قرآن ثم سنة ثم إجماع ثم قياس » . . . إلخ .

وقد خرج مذهب « مالك » إمام أهل المدينة » والحديث ... النابع من أعمق أعماق الجزيرة . . خرج فسيطر على الشاطئ الآخر الأوربي . . حين ساد الأندلس طيلة أيام الوجود الإسلامي بها وحين ساد الجناح المغربي للعالم الإسلامي ... ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . . وبقاعًا أخرى في العالم الإسلامي ...

ومن قلب الجزيرة العربية أيضًا خرج الإمام الشافعي . . . فلما

رحل إلى مصر استحدث آراء جديدة ما زالت كتب الفقه ترددها ، فاصلة بين هاتين المرحلتين في عملية المواجهة الحضارية التي تعرض لها الشافعي . . فهي حريصة على ان تقول : « قال الشافعي في القديم » وأن تقول : « وقال الشافعي في الجديد » .

ومئات من الشواهد تدل على أن هذه الشريعة قادرة على مواجهة عصرنا . . بكل مستحدثاته . .

المترددون في تطبيق الشريعة !!

ونتناول الآن ما ساقه « المترددون » في تطبيق الشريعة . . نقطة نقطة بشيء من الإيجاز الذي يسمح به هذا المقال .

ونبدأ بالنقطة الأولى التي يثيرونها ـ وهي في رأينا كلمة حق يراد بها باطل ـ أو على الأقل تستغل استغلالًا باطلًا ـ (ونحن نرجح أن الأستاذين فتحي عثمان وفهمي هويدي لا يقصدان استغلالها هذا الاستغلال وإنما يستغلها الخصوم) أقول : إن النقطة الأولى التي تثار دائمًا في وجه كل المطالبين بتطبيق الشريعة الإسلامية هي أن « العقيدة » لا بد أن تسبق « الشريعة » .

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ « فهمي هويدي » في (العربي عدد ٢٢٧) :

« وهذا هو المنهج الذي اتبعه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ

عندما أراد أن يبني المجتمع الإسلامي الأول ـ بالعقيدة بدأ، وكان هذا منهجًا طبيعيًا وضروريًا، فما لم يكن الأساس متينًا فكل بناء فوقه معرض للسقوط في أية لحظة، لقد قضى النبي ١٣ عامًا في مكة يزرع بذور الإيمان في قلوب المسلمين. . العقيدة هي الأصل والأساس، والشريعة هي الفرع، لماذا نوجه كل همنا إلى الفرع بل إلى جزئيةٍ محدودةٍ من هذا الفرع ولا نعطي الأصل حقه ووزنه؟ ».

ـ وما قاله الأستاذ هويدي فيه خطأ كبير.

فالأستاذ هويدي ـ بهذا القول ـ يؤيد تلك الآراء الحادة ـ التي شجبها هو كثيرًا في كتاباته، وهي تلك التي تذهب إلى أن المجتمعات الإسلامية مجتمعات بلا عقيدة، مستواها في تلك العقيدة هو نفسه مستوى أهل مكة قبل أن يدخل الإسلام قلوبهم.

وبصرف النظر عن هذه اللفتة التي يمكن أن ينشب حولها خلاف، فالخطأ الآخر الذي لا يحمل خلافًا هو أن الأستاذ فهمي ينسى أنه خلال هذه الفترة المكية لم تكن « الشريعة » قد نزلت أصلًا. . بل كان الأمر الذي تنزل من السماء هو أمر العقيدة فقط، ولو كانت ثمة أمور شرعية قد نزلت، لما جاز للمسلمين أن يجتهدوا في إرجاء تنفيذها. . حتى تثبت عقيدة بعضهم، ولقد كان بينهم مذبذبون دائمًا وتطبق عليهم الشريعة أيضًا، فما ينزل من السماء واضحًا لا يجوز أن يكون تطبيقه محل أخذ ورد ... ولو كان

أمره يحتاج التدرج لفعله الشارع الحكيم من نفسه . . وذلك مثلما حدث في أمر الخمر ـ مثلًا !!

وثمة أمر ثالث خطير لم يدركه الأستاذ فهمي ،ولم يحلله هؤلاء المؤرخون الذين يستلهمون من « الفترة المكية » جواز إرجاء تطبيق الشريعة بحجة بناء العقيدة .

فلو كان أمر الشريعة جائز الإرجاء لما طبقه النبي عليه الصلاة والسلام فور دخوله إلى المدينة . . وإذا كان أهل مكة قد أخذوا حقهم ـ كما يزعم هؤلاء ـ في التمهيد لتطبيق الشريعة . فهل يا ترى أخذ أهل المدينة هذا الحق . وذلك مع أنهم أول من طبقت عليهم الشريعة ؟ وهل كان بناء « عقيدة » أهل المدينة قد استمر ثلاثة عشر عامًا حتى فرضت وطبقت أوامر الشريعة فور الدخول ؟ .

أليس هذا وهمًا تاريخيًا كبيرًا يسلكه كثير من المؤرخين دون وعي ؟ وحتى ـ عند هذه الحالة ـ هل نحتاج في بناء العقيدة لثلاثة عشر عامًا توازي « الفترة المكية » أم سنستمر قرونًا نبني العقيدة . . متذرعين بذلك لعدم تطبيق الشريعة ؟ ومن متى تبدأ فترة العقيدة يا ترى ؟ هل ستبدأ مع بداية كل « فترة حكم » كل حاكم في العالم الإسلامي ؟ .

أم سنبدأ من القرن الخامس عشر للهجرة ؟ أم بعد خروج

إسرائيل وزوال الأحكام العرفية وإبادة جراثيم الغزو الفكري ؟ .

وأخيرًا في هذه النقطة هل ترك الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمون تطبيق العقيدة ؛ لأن مجتمعاتهم - دائمًا - كان بها منافقون بلا عقيدة ؟ .

والخطأ الثاني الذي نفترق عنده تمام الافتراق هو ما قاله الأستاذ فهمي هويدي متسائلًا : « لماذا ينصرف جهد الداعين لتطبيق الشريعة الإسلامية إلى تنفيذ حد السرقة ، ولا يبذلون جهدًا يذكر من أجل خوض معركة توفير الحياة الكريمة للإنسان في المجتمع الإسلامي وهي في النهاية معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعي ؟ » .

وهي معادلة تشبه معادلة البيضة والدجاجة . . من أين نبدأ ؟ .

لكني سأختصر الأمر على الأستاذ هويدي وأسأله عدة أسئلة ؟

- هل يا ترى أن المسلمين الواعين بالإسلام يؤيدون الفقر والتخلف ؟

- ألم تقل أنت شخصيًا أن عمر لم يطبق حد السرقة في عام المجاعة وذلك عندما لم تتوافر شروط التطبيق .. فما المشكلة إذن ؟

- وإذا كنت قد استشهدت بسلوك النبي عليه الصلاة والسلام في مكة - وهو استشهاد مردود - فلماذا لم تتساءل معنا : لماذا طبقت الشريعة حين نزولها ، ولم ينظر في تطبيقها إلى مستوى الحياة

الكريمة ؟ وما الحياة الكريمة يا ترى ؟ هل هي حياة رؤساء مجالس الإدارات والحكام والوزراء أصحاب الأرقام السرية الذين يسرقون أقوات الشعب بالملايين . . أم هي حياة ذوي الدخل المحدود أو الطبقة الوسطى ؟ أليس من الأولى تطبيق القاعدة الشرعية . . ثم إذا كانت هناك حالة تستدعي النظر . . نظر إليها بعين الاعتبار في حد ذاتها ، كما نظر عمر في حالة الغلمان الذين اضطروا للسرقة ليطعموا ؟ أم أننا نلغي القاعدة من أجل الحالات الفردية التي لها ملابساتها والموجودة في كل الأرض وتتعرض لها كل جزئية من جزئيات القانون ؟ .

تضامن المجتمع المسلم ضرورة :

وما يقوله الإمام أبو محمد بن حزم من ضرورة تضامن المجتمع المسلم على توفير الحاجات الأساسية للإنسان ـ أمر متفق عليه ، ولا علاقة له بقضية تطبيق الحدود إلا من الجانب الذي ذكرناه .

وأيضًا . . فهل غاياتنا العليا نحن المسلمين هي تحقيق مجتمع « الرفاهية » أولا ، أم جعل كلمة الله « عقيدة وشريعة » هي العليا أولا . . ثم تأتي الرفاهية أو « مجتمع الحياة » الكريمة في الدرجة الثانية؟ .

وهل كان المسلمون في المدينة . . . وهم الذين تعرضوا للفاقة والحروب المتواصلة والمضايقات الاقتصادية من قريش وأهل

الجزيرة جميعًا . . هل كانوا يعيشون حياة كريمة . . ويناضلون ... كما يطالب الأستاذ هويدي - في معركة التنمية وتحقيق العدل الاجتماعي ؟ أم كانوا يؤثرون على ذلك كله ، ويضحون بذلك كله ، في سبيل أن تكون كلمة الله « عقيدة وشريعة » هي العليا ؟

ولماذا حارب أبو بكر المرتدين ؟ لقد حاربهم من أجل العقيدة . . نعم ... لكنه أيضًا حاربهم من أجل الشريعة ، ورفض أن يمنعوه عقال بعير كانوا يعطونها لرسول الله .. لماذا ؟ لأن الأمر أمر شريعة أمر دين متكامل لا تنفصل فيه عقيدة عن شريعة .

وبالتالي أفلا يرى الأستاذ هويدي أن أهدافنا نحن المسلمين مختلفة عن النظرات المادية التي تهدف إلى « التنمية » أولًا . . وربما ثانيًا وثالثًا . . أما نحن فعندنا « الإسلام أولا » !!

وهنا يا صاحبي مفترق الطريق !!

الصعوبة الكبرى :

أما الشبهة الثالثة ، فتضم مجموعة من الاعتراضات أو حسب تعبير الدكتور فتحي عثمان « الصعوبة الكبرى » .. هذه الصعوبة الكبرى التي يسوقها الكاتب المذكور ليست إلا عملية الاختلاف في بعض الآراء السياسية أو الاقتصادية في الفكر الإسلامي . . هذا الاختلاف سواء في « باب الحريات العامة وكيفية ممارستها

والحدود القانونية لهذه الممارسة » أو في « تأميم وسائل الإنتاج وفي تحديد الملكية الفردية » موجود وقديم . . والدولة الإسلامية ـ وهي العين الرقيبة على مدى علاقة الفرد بالمجتمع ومدى حدود صلة الفرد بالدولة ـ هي التي تحدد مدى الخلل السياسي أو الاقتصادي في توازن هذه العلاقة ، وهي في نفس الوقت ـ بإحساسها السياسي وبنبضها الذي يقيس آلام الجماهير ـ المخولة بأن ترجح التضييق هنا .. أو الانفراج هناك .. على أنها في كل ذلك ليست مطلقة اليد ، وإنما هي محكومة « بالشريعة نفسها » أي بالنصوص الأساسية في النظام السياسي الإسلامي وفي النظام الاقتصادي الإسلامي ، وهي تلك النصوص التي لا يجوز الاجتهاد في مجالها ، لثبوتها قطعا وتواترًا .

ويسوق الدكتور فتحي عثمان قضايا أخرى أقل فرعية ، يراها جديرة بالبحث قبل تطبيق الشريعة .. وأنا لا أدري كيف لم يعتصم الدكتور فتحي بكتاباته نفسها في « آراء من تراث الفكر الإسلامي » ـ وهو أحد كتبه التي تحدث فيها عن قضايا الموسيقى والحب والمرأة مستلهمًا أقطاب الفكر الإسلامي كابن تيمية وابن قيم الجوزية والإمام ابن حزم ـ ولم يقل أحد أن فتحي عثمان قد مرق أو ارتد .. بل طبع الكتاب غير مرة ، وطبعته دور نشر إسلامية ، وقرأه الإسلاميون بإعجاب ، حتى وإن اختلفوا حول بعض قضاياه .

فهل يجوز في ظل هذا أن يطالبنا فتحي عثمان بإرجاء تطبيق الشريعة حتى تنتهي من بحث « مسائل الفن التشكيلي والتعبيري » .. والنحت والتصوير والموسيقى .. وهل يجوز إشراك المرأة مع الرجل في المسرح والسينما ؟ وهل يجوز تناول « الحب » فنيًا .. أم لا ؟ وهل نشاط المرأة وعملها مشروع في المجتمع الإسلامي ؟ وهل يجوز اختلاطها بالرجال أم لا ؟ وحقوق الأقليات في المساواة التامة ؟ وإنشاء المعابد الجديدة .. وهلم جرا من التساؤلات التي تتسم بالجزئية الشديدة والتي تتجاهل أن الإسلام ليس تجربة جديدة تطبق لأول مرة في التاريخ ، وإنما هو نظام قد طبق فعلًا في مراحل كثيرة ومتعددة من التاريخ ، وأنه ـ أي الإسلام ـ قد واجه مثل هذه المشكلات وأكثر منها عبر مسيرته .. وأنه على يد المفكرين الإسلاميين وأكثرهم سلفيون نصوصيون ـ لم يعجزوا يومًا عن إيجاد الحل بل لم يعجزوا عن الوصول إلى « ترف فكري » يفترضون فيه مشكلات خيالية ، ويعقدون لها الأحكام ،كما تحتشد كتب الفقه التقليدية .

ملاحظات أخيرة للمترددين :

وثمة ملاحظات أخيرة نقولها لهؤلاء المترددين في تطبيق الشريعة .. وليس الأستاذان فتحي عثمان ، وفهمي هويدي إلا النموذج الذي اخترناه ، وإلا فالمترددون الآن قد بدأوا يظهرون بوضوح كاتجاه

فكري يشق طريقه على غير أرضه ، ويفتقد الوعي التاريخي بأهمية الحركة ، ويستغله الأعداء استغلالًا بعيد المدى ،كما استغلوا نماذج أخرى من قبل .

وملاحظاتنا ـ بإيجاز ـ هي :

١- إننا نؤمن بالحوار .. لكن الحوار الذي نقصده حوار مسئول يعمل « بوعي تاريخي » ويدرس « مسئولية الكلمة » في اللحظة و « حجمها » في الحركة و « أبعادها » سلبًا وإيجابًا .. ولا يترك لنفسه عنان الفكر المجرد بحيث تصبح كلماته ـ على أحسن الفروض ـ كلمات حق يستغلها الأعداء للباطل .

٢- والحوار الذي نقصده حوار في الإجراءات .. والفهم .. والتطبيق .. أي أنه « حوار داخلي » لا خارجي ، يتعاون ، بل وينطلق من أرضية فكرية .

٣- وفي الحوار .. لا نؤمن « بالضغوط الواقعية » وإلا فهو حوار انهزامي لا ينطلق من قواعد الإسلام وأصول التصور الإسلامي .. فلسنا ملزمين بقبول « فن النحت » ، ولا بقبول « الفنون التشكيلية » بمعطياتها الموغلة في « اللا عقلية » أحيانًا .. أو بتعبيرها عن نزعات لا تتفق مع تصورنا للكون والإنسان والحياة . كما أننا يمكن أن نرفض « أسلوبا » فنيا أو « اجتماعيا »

لأنه لا يدخل في صياغتنا الإسلامية الكاملة للحياة .

إننا أصحاب حضارة متكاملة .. لها وسائلها .. ولها تركيبتها .. ولها أهدافها في الحياة . . ومن الحياة .


(٢)
فتنة اليسار الإسلامي

لم يستطع الشيوعيون في معظم بلدان العالم الإسلامي أن يعلنوا على رءوس الأشهاد حقيقة ما يؤمنون به ، وهو أنهم يكفرون بالله ، ولا يؤمنون بمحمد ﷺ نبيًا ، بل هو لا يؤمنون بظاهرة « الوحي » على وجه الإجمال .

وباستثناء مواقف فردية وعابرة وصل فيها الشيوعيون إلى مستوى هذا التصريح ، من مثل إعلانهم في بلد عربي « سوريا » بأن دور الله قد انتهى في التاريخ ، ومن مثل إعلان (نديم البيطار) في العراق بكلام يشبه الكلام السابق إثر نكبة ١٩٦٧م ، ومن مثل سبهم للنبي محمد ﷺ في منشور بالسودان ، ومن مثل مبالغاتهم في شخص عبد الناصر في بعض المواقف مبالغة جعلته أقرب ما يكون إلى الألوهية . . !

باستثناء هذه المواقف ، فإن الشيوعيين قد حرصوا على أن يظلوا أمام الجماهير ، وفي حالة عدم تمكنهم من السيطرة بعيدين عن التصريح بحقيقة ما يعتقدون وما يضمرون ، أما حين يسيطر الشيوعيون فالويل كل الويل للمسلمين . . فحرق العلماء في الصومال ، وتهديم المساجد على رءوس المصلين وتمزيق المصاحف في عدن ، كما أن ما تم في أندونيسيا سوكارنو (قبل أن تقع في يد المبشرين) لا يقل بشاعة عما حدث للمسلمين ، في الصومال

وعدن ! ودعك من ألبانيا ومن جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية فتلك آثار قد مسحوها من الوجود محطمين كل حقوق الإنسان بأبشع وأفظع ما عرف من وسائل الإبادة الجماعية وهتك الأعراض والفتك بالنساء والأطفال وتدمير كل صلة معنوية أو مادية بالإسلام .

سياسة الشيوعيين في العالم الإسلامي ـ إذن ـ سياسة محددة تخضع لاستراتيجيات مرحلية ، وتسير وفق توجيهات عليا ، وتتقلب حسب الظرف المتاح .

وكان أبرز ما اعتمد عليه الشيوعيون في تنفيذ هذه الإستراتيجية المرحلية الملتوية هو الاحتماء في مصطلح يبدو أن الشيوعيين في أكثر البلدان التي لا يستطيعون فيها إبراز وجههم الحقيقي وهويتهم الواضحة يحتمون به . . . . .

هذا المصطلح الذي يحتمي فيه الشيوعيون وأصبح علما عليهم ، ودليلًا على أسلوبهم في الفكر والحركة : هو مصطلح « اليسار» .

وكان هذا المصطلح أكبر مدخل لهم إلى قلب العالم الإسلامي .. وباعتباره مصطلحًا يستهوي عددًا من الشباب الحانقين على الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تحيط بهم ، والتي تتطلب ـ من وجهة نظرهم ـ تغييرًا ثوريًا . . كما أنه يخفي وجههم الحقيقي عن الجماهير !

« وأخيرًا صدرت الأوامر من موسكو إلى الأحزاب الشيوعية في أرجاء العالم بعدم التصدي مرحليًا للدين وما يمثله من قيم بصورة صريحة ، ومباشرة بل العمل على تطويعه وتحطيم مقاومته بأساليب مرنة ملتوية » .

وكان مصطلح « اليسار » هو « الستار » الجديد الذي بدأ يظهر في كتابات عبد الرحمن الشرقاوي ومحمد عودة ، وسامي داود ، وغالي شكري ، ومحمد سيد أحمد ، ولطفي الخولي ، وأحمد بهاء الدين ، وأحمد عباس صالح ، وغيرهم .

ولم تنفع الحياة الشيوعية ، وأسقط الوعي الإسلامي المحاولة ، حتى بعثت من جديد في مستهل عام ١٩٧٥م مع ظهور العدد الافتتاحي من مجلة المسلم المعاصر ـ التي رأت أن تكون نافذة حرة للمسلم المعاصر ، دون أن تفرض رأيها على العناصر الإسلامية المتجاورة .

وقد فوجئ جمهرة المسلمين جميعًا بمقال للكاتب الإسلامي الأستاذ (فتحي عثمان) يقترح فيه أن تكون مجلة المسلم المعاصر (لسان حال اليسار الإسلامي) ، ويعطي لذلك تبريرات أهمها هذه التفرقة التاريخية في النشأة بين مصطلحي اليسار والشيوعية ، دون أن يضع الأستاذ الكبير في اعتباره تلك الظروف التي أحاطت

بالمصطلح ، جعلته مصطلحًا مشبوهًا . . سرقه الشيوعيون من قاموس المصطلحات السياسية ، وأعطوه لأنفسهم .. ونجحوا في ذلك .

« فهل يا ترى نصر نحن المسلمين على تضييع أعمارنا وأجيال من أبنائنا وأنصاف مثقفينا وتشتيت حركتنا وتمزيق صفوفنا من أجل الإصرار على مصطلح بعينه (!!) وهل عجزت حضارتنا وفكرنا عن إعطاء مصطلح آخر ينتمي إلينا ولا يثير القلق والشكوك والتمزق !

وكنا نحب أن يتلفت الأستاذ فتحي عثمان حوله ليرى كم خسر إخواننا المسلمون في لبنان بسبب ما أشيع من انتماء بعضهم لهذا المصطلح !!

وكنا نحب له أن يتلفت حوله ليرى كم خسر إخواننا المسلمون في إريتريا .. بل في تايلاند .. بل في الفلبين . . بسبب شيوع هذا المصطلح ـ إن بحق أو بغير حق ـ عنهم !

وقبل ذلك وبعده كنا نحب لأستاذنا فتحي عثمان ، وهو أحد المفكرين الإسلاميين ، أن يدرس مصطلح « اليسار » نفسه دراسة أكثر عمقًا ليعرف هل يجوز أن يدخل هذا المصطلح الفكر الإسلامي أم لا ، قبل أن يتبناه وقبل أن يدعو إلى جعله حزبًا من الأحزاب الإسلامية !

وحقيقة اليسار ، بصرف النظر عن سرقة الشيوعيين له كما سرقوا بعض المصطلحات الأخرى .. حقيقة اليسار أنه دعوة إلى التغيير الجذري .. والمعارضة . . بأسلوب عنيف . . غير متعقل . . يميل إلى الدموية . وهو يعارض لذات المعارضة . . ولا يملك عقيدة ثابتة . بل هو أميل إلى الشباب الثائر الساخط على كل شيء . . المدمر لكل القيم .

وفي الثورة الفرنسية (كما يحدثنا الكاتب الإسلامي الأصيل عماد الدين خليل في كتابه لعبة اليمين واليسار) . . في الثورة الفرنسية ظهر أسلوبهم الارتجالي الدموي .. فبعد أن أعدم الملك لويس السادس عشر بالمقصلة في سنة ١٧٩٣م ، قبض كل من (دانتون) و (روبيسبير) الثوريين على زمام الحكم ، فبدأ بهما عهد الرعب الدموي حتى أنه خلال خمسة عشر شهرًا من ذلك التاريخ قدم إلى المقصلة (١٢٥١) شخصًا من أهل باريس وحدها ، في العاشر من يونيه أصدر روبيسبير قانونًا يمنع المحكوم عليهم بالإعدام من حق المحاكمة القانونية . . وخلال شهر واحد بعد هذا القانون أعدمت جماعة روبيسبير اليسارية ١٣٦٧ شخصًا كان من بينهم معظم رفاقه أنفسهم ، بل كان منهم صديقه (دانتون) وزميله المحامي (كاميل ريمولان) .

وهكـذا أكـل اليـساريون بعـضهم بعـضًا . . وفقًـا لأسـلوبهم المعروف في التاريخ كله ، قبل الشيوعية وبعدها .

ويا ترى ـ هذا اليسار ـ بهذا الفهم الذي أكده تاريخه (بـصرف النظر عن استغلال الـشيوعيين لـه) هـذا اليسار هـل تقبلـه طبيعـة الإسلام . . ؟

ـ المعارضة الدائمة لذات المعارضة .

ـ التغيير الجذري .

ـ العنف غير العاقل وبلا مبرر فضلًا عن الدموية .

ـ تدمير كل القيم بشكل ثوري .

ـ ترديد شعارات غوغائية فارغة المضمون .

ـ العواصف الهائجة والعواطف المجنونة في تقرير مصير الأمم .

ـ التصارع التكتلي . . والتفكك الثوري . . وتبـادل الـتهم لأتفـه الأسباب .

ـ هذه النماذج السلوكية المختلفة بما ينضوي تحتها من فكر هـائج بلا أصول . . هل يقبلها الفكر الإسلامي السياسي ؟ بل هل تقبلها طبيعة علاج الإسلام لمشكلات الحياة ؟ وهل عرف تاريخنا صراعًا دائمًا بين طبقات معينة . . شبابا يساريين . . وشيوخًا رجعيين . . هل لابد من أن يقوم الصراع بين هؤلاء وأولئك ؟ ولماذا ؟ .

وقد كان الأستاذ فتحي عثمان حين دعا إلى اليسار الإسلامي أعطاه خصائص كثيرة منها « أنه يحارب الظلم الاجتماعي والسياسي » ، « ويجاهد في سبيل الله والمستضعفين » ، « ويناصر الأيدي العاملة » ، « ويتمسك بالديمقراطية ، لعله يقصد الشورى » . .

وكنت قد سألته في تعقيبي عليه بمجلة المسلم المعاصر عند هذه النقطة عدة أسئلة شاء أن يغفلها في رده علي . . وبالتالي فما زالت هذه الأسئلة قائمة نتوجه بها إليه :

وأصحاب اليمين ـ من أمثالنا يا أستاذ فتحي ـ ما المطلوب منهم في هذه القضايا :

ـ هل يجب علينا ما دمنا لا نرضى أن نكون يساريين أن نؤيد الظلم الاجتماعي ؟ .

ـ وهل يجب أن نتخاذل عن الجهاد في سبيل الله والمستضعفين ، وعن مناصرة الأيدي العاملة والتمسك بالشورى ؟ وإلا اتهمنا باليسارية ؟ وبإيجاز :

ما مواصفات اليمين الإسلامي في ظل هذه الامتيازات التي حصل عليها اليسار ؟ .

ويرى الأستاذ فتحي « أن اليسار الإسلامي يطالب بالتغيير

الجذري الذي يستوعب الأصول والأسس والجذور في واقع الكيان المادي والروحي معًا . . في الإسلام » .

ـ فهل يا ترى سيطالب اليسار بتغيير العقيدة ، وتطوير القرآن وإلغاء الحديث . . أليست هذه هي جذور كياننا الروحي . . بل والمادي ؟ .

وهل يبقى هذا اليسار إسلاميا مع ذلك ؟

وكنا قد سألناه أيضًا :

هل اليسار الإسلامي مجرد مذهب فقهي جديد ، أم هو تجمع (عقائدي) حركي مضاد ؟

ومضاد لمن ؟ لليمين الإسلامي . . أم لليسار غير الإسلامي ؟

ومن المعلوم أن مبادئ الإسلام ـ على اختلاف مستوياتها تنقسم قسمين رئيسيين : أصول وفروع . . فأما الأصول فهي ثابتة لا تتغير ، والخروج عليها كفر صريح . . أما الفروع فمن حق الجميع أن يجتهدوا فيها . . دون أن ينقسموا إلى يسار ويمين .

وقديمًا عاش الإمام الشافعي في ظروف أوجبت عليه لونا من الاجتهاد ، فلما رحل إلى مصر عدل بعض آرائه ، وبالتالي فالفقهاء يفرقون بين ما قاله الشافعي في مذهبه (القديم) وبين ما قاله في (الجديد) فهل يا ترى كان الشافعي ﷺ يمينيًا ثم انقلب يساريًا ؟

وهكذا قال فقهاؤنا دائما يفرقون بين الأصول « الجذور » التي لا تقبل أي تغيير . . وبين الفروع . . !!

فهل لليسار مكان في ديننا إذن ؟ .

إن تغيير « اليسار » شأنه شأن كثير من التعبيرات خضع لعملية تطور تاريخي ، وانبثق عن ظروف حضارية معينة ، فهو ليس مجرد مصطلح برئ محايد ، بل هو مصطلح محشو بكل خصائص النفسية الأوربية التي تطورت وازدهرت علميًا على حساب القيم الدينية ، وأصبحت تقدس « الفردية » و « العقلانية » ولا تضع للدين مكانًا في حسابها .. وهذا المصطلح في حقيقته ليس أكثر من تعبير عن تطور أوربي حمل هذه البصمات في اتجاه من اتجاهاته نحو الحرية والثورية في الحقل السياسي والاجتماعي .

وليس يخاف أن ثمة صلات قوية بين المركبات العقدية والفكرية والنفسية وبين الاتجاهات السياسية التي تفرض نفسها عبر عديد من القرون وتمثل تيارًا واضحًا في حركة الحضارة .

وفي ظل هذا الوعي فإن محاولة زرع مصطلح من هذا النوع في تركيبة حضارية مختلفة العقيدة والفكر والتطور التاريخي يعتبر عملا مخالفًا لكل قوانين الحضارة . . ولكل أصول الإصلاح .

لقد رفض الفكر الإسلامي كثيرًا من المصطلحات الإغريقية

والفارسية ، بل رفض بعض الفنون برمتها .. لأنها تعبير عن تطور علمي وفلسفي وفكري يختلف عن جوهر الإسلام ومنهجه .

ولعل الأستاذ فتحي عثمان يأخذه العجب حين نقول له صراحة : « إن هذه الشعارات المزيفة هي بضائع يهودية تروج لخدمة أغراض يهودية بعيدة المدى ، ولإحداث بلبلة عالمية ، وتفكك في كل عقيدة أو مذهب من مذاهب العالم ، بحيث يساعد على أن يبقى اليهود وحدهم في نهاية المطاف . . شعبًا يقوم على عقيدة .. ويحارب باسمها وحدها . . ويحمل ثوراتها في دبابته . . بينما نبقى نحن بلا عقيدة . . نقاتل تحت كل شعار إلا شعارنا الإسلامي الصافي : لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ونحن على الرغم من ثقتنا الكاملة في سلامة نية الأستاذ فتحي عثمان وفي نزاهة اتجاهه إلا أننا نضع أمامه الحقيقة السابقة ليتحمل مسئولية دعوته أمام الله ، وحتى لا تكون له في أعناقنا حجة . .

« وبروتوكولات » حكماء صهيون . . تقول في مسألة هذه الشعارات البراقة المستحدثة التي تشغل بها الطاقات والعقول عن حقيقة التدابيرات الصهيونية . . تقول البروتوكولات ما نصه :

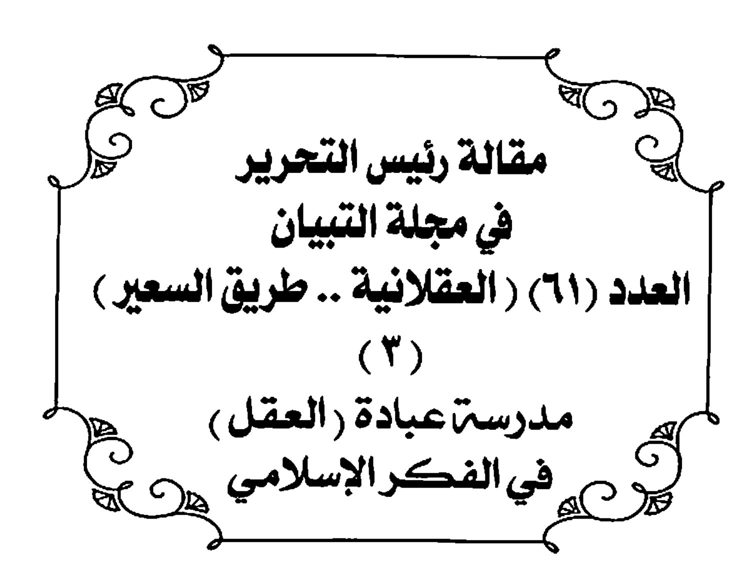
« في كل الأزمان كانت الأمم ـ مثلها مثل الأفراد ـ تأخذ الكلمات على أنها أفعال ،كأنما هي قانعة بما تسمع . ولذلك فإننا ـ أي اليهود ـ رغبة في التظاهر فحسب ـ سننظم هيئات يبرهن

أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم في سبيل التقدم ، ويثنون عليها ، وسنزيف مظهرًا تحرريًا لكل الهيئات وكل الاتجاهات ،كما أننا سنضفي هذا المظهر على كل خطبائنا . وهؤلاء سيكونون ثرثاريين بلا حد ،حتى أنهم سيهلكون الشعب بخطبهم وسيجد الشعب خطابه من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه . .

وهذا ـ في الحقيقة ـ هو الدور الوحيد الذي تلعبه مثل هذه الشعارات البراقة التي تحجب العقول عن التفكير ، وتحول قطاعات عريضة من الشباب إلى ثائرين ثرثاريين أقرب إلى الغوغائية والفوضوية واللامبالاة بعواقب الأمور .

أما بالنسبة لنا في العالم الإسلامي ، فإلى جانب هذه الآثار التي تحدثها هذه الشعارات في العالم كله ، فإننا ـ من واقع تراثنا وقيمنا ـ نرى أن أي تغيير أو إصلاح ليس أمامه إلا أحد طريقين : إما طريق الإسلام ، وحينئذ يفقد إصطلاحا اليمين واليسار معناهما إزاء قاعدة عقائدية ، وتصور عميق شامل يستهدف خير الإنسان فردًا وجماعة (كما يقول صديقنا الدكتور عماد الدين خليل في كتابه عن لعبة اليمين واليسار) وإما أن يسلك هذا التغيير أي طريق آخر علماني وضعي فحينئذ يستوي اليمين واليسار ، وحينئذ لا بد أن يتعرض هذا التغيير أو هذا الإصلاح للذوبان في غمار التجربة الغربية ، يمينية كانت أم يسارية ، فيفقد بذلك شخصيته واستقلاله

وأصالته ، ومن ثم يبرز اصطلاحا اليمين واليسار كهدفين في حد ذاتهما إن عاجلًا أو آجلًا .



مقالة رئيس التحرير
في مجلة التبيان
العدد (٦١) (العقلانية .. طريق السعير)
(٣)
مدرسة عبادة (العقل)
في الفكر الإسلامي

ـ ما معنى أن يردد كثير من المسلمين ـ دون تمحيص ـ أن الإسلام دين العقل ؟

ـ ما دلالة هذه الإضافة ؟

ـ هل تعني أن « الإسلام » انبثاقة عقلية ، كما هي الدلالة اللغوية الظاهرة للإضافة في قولنا (دين الله) أو (مذهب ماركس) ؟

ـ هل المقصود بها أن حقائق الدين لا تتعارض مع العقل ؟

وأي عقل هذا الذي لا تتعارض حقائق الدين معه ؟ .

هل هو (عقل شرقي) أم (عقل أوربي) ؟ وهل هو (عقل مثقف) أم (عقل جماعي غوغائي) ؟ وهل هو (عقل العربي البدوي) الذي لم يستطع أن يعقل ـ بمنطق عقل عصره ـ كيف يسري بمحمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة ؟ . . أم عقل القرن العشرين الذي يسيغ ـ بمنطق عقل عصره ـ دوران الصاروخ حول الأرض عشرات المرات . . وصعود المركبة الفضائية إلى القمر ؟ .

وكيف يمتد خيط واحد على امتداد التاريخ منذ نزل القرآن وإلى قيام الساعة . . ليحكم ذبذبات العقل ،وتأثراته ، ومكوناته

الجغرافية والتراثية ، وظروفه الصحية ، وغيرها .. ليتخلص لنا منذ لك كله .. حكمًا عقليًا يرى بمرآته أن الإسلام (دين العقل) ، يتفق مع العقل في كل الحالات ،ومع كل المؤثرات .

أليس ذلك حكمًا تعسفيًا على مسيرة العقل نفسها ؟ .

إن أغلب الظن عندي أن الذين يلوكون هذه العبارة وأمثالها إنما يريدون بها ـ عن حسن نية ـ أن العقل السليم لن يجد في حقائق الإسلام شيئًا غامضًا أو متناقضًا مع أوليات العقل ، وذلك على العكس من الأديان الأخرى المليئة بالألغاز والطلاسم .

ولربما أراد آخرون ـ عن سوء نية ـ أن الإسلام نتاج عقلي محض ، شأنه شأن المذاهب البشرية ، وعلينا أن نخضعه لكل مقولات العقل ونظرياته ، وليس هؤلاء من حديثنا في شيء . . . وإنما ينصب حديثنا على (أصحاب النوايا الطيبة) ممن يريدون الحق ، ولا يكادون يهتدون إليه سبيلًا . . فإليهم ـ وحدهم ـ نتوجه بهذه الكلمات .

وسواء شاء هؤلاء (العقلانيون) أم أبوا ، فإنهم سينتهون بمفهوم الإسلام الكلي إلى دائرة مغلقة صغيرة توشك أن تكون جزءًا أو عطاءًا واحدًا ـ وإن كان كبيرًا ـ من معطيات العقل ، وسيجعلون من دائرة الإسلام الرحبة الفسيحة ، التي تمتد إلى آفاق لا يكاد العقل يرنو إليها ، بل إنه لا يستطيع بكل أدوات « الفطرة »

فيه ، وبكل رصيد التاريخ وتجاربه التي ورثها ، وطورته ، لا يستطيع بكل هذا أو ذاك أن يلج بابها إلا حذرًا ، وبعون من دائرة (الوحي) التي سبقته إلى الوجود ، على الأقل في مجال السبق الزمني ، (عندما علم الله آدم الأسماء كلها وحيًا) ، فضلًا عن مجال « القدرة الذاتية » التي جعلت من « العقل » طاقةً واحدةً من طاقات « الوحي » في جزئيات من أجزاء الواقع ، سمح له بها « الوحي » نفسه . .

أما الدوائر العظمى ، فقد وقف العقل عاجزًا عن مجرد ارتياد مجالها ، فهو لم يستطع أن يخرج ـ إلا قليلًا ـ من جاذبية (غرائزه) ، ولم يكن خروجه إلا بواسطة (الوحي) ، كما أنه لم يرتفع إلى آفاق ما وراء (دائرة حواسه) إلا قليلا ، ولم يستطع ـ حتى الآن ـ أن يعقل نفسه . . أي ما هو العقل ؟ ومم يتكون ؟ وما غذاؤه ؟ وما حجم الوراثة فيه ؟ وما الروح ؟ بل إن قضايا جسديةً كثيرةً ما زال العقل عاجزًا عن إدراك أبعادها ، على الرغم من التركيز الهائل على علوم الجسد خلال القرون الأخيرة .

فأي عقل هذا الذي لم يستطع أن يفهم نفسه ، ولا « الكون » المحيط به ، ولا « خالق الكون » ؟

وماذا ينتظر لإثبات عجزه بعد ذلك ؟

والحقيقة أن العقل جزء من الإسلام . . ومضاف إليه ، بمعنى

أن التعبير الصحيح هو أن نقول « عقل الإسلام » أو بتعبير آخر « محاولتنا فقه الإسلام » أو (فهم الإسلام) . . .

وقد ننجح في بعض هذه المحاولة ، وقد نفشل ، لكننا في هذه الحالة على الأقل نكون قد وضعنا العقل في حجمه الطبيعي . . وأحللنا الإسلام مكانه الصحيح من الإطار الكوني .. كما أننا في هذه الحال نكون قد جنبنا الإسلام كثيرًا من أخطاء اجتهاداتنا « العقلية » ، وهي أخطاء لا بد منها .

وبالتالي فإن المعادلة تتضح حين نقول : إن دور العقل هو أن ينسجم مع الدين . . وليس دور الدين أن ينسجم مع العقل . . وإذا كانت هناك أديان أصبح نصيب العقل فيها صفرًا لكثرة ما أدخل البشر عليها من خرافات . . فإن من المؤكد أن العقل سيجد مساحة لائقة به ومناسبة لحجمه في الإسلام ؛ ذلك لأنه الدين الوحيد الذي لم تدخله أهواء البشر . . ولم تقحم نفسها على حقائقه سخافات (العقل) في كثير من عصور الكهانة والطغيان .

وهذه هي المعادلة الوحيدة المقبولة في العلاقة بين العقل والإسلام .

إننا نذكر هذه الحقيقة ،لندلف منها إلى معالجة قضية من أخطر قضايا الفكر الإسلامي في العصر الحديث . .

ولقد ظلت هذه القضية تنمو في غيبة الرؤية الإسلامية المتزنة الموصولة بأصول التصور الإسلامي، من قرآن وسنة وإجماع، حتى تكونت لها مدرسة قد تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات، لكنها تشترك في خطوط كبرى، تجعل من السهل النظر إليها «كمدرسةٍ واحدةٍ» في الفكر الإسلامي.

وفي رأينا أن التطور التاريخي لهذه المدرسة، قد بدأ مع الجولات الأولى التي احتك فيها الفكر الإسلامي بالحضارة الأوربية التي شقت طريقها في ساحة الاختراعات والابتكارات بالعقل وحده الذي هو السلاح الكبير في عالم الإبداع المادي..

ومع رفاعة الطهطاوي، وعبد الرحمن الجبرتي، وجيل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، بدأت بواكير هذه المدرسة تتضح على نحو لم يكن قد أخذ كل قسماته بعد.

ولقد كان ثمة عذر لبعض رجال المسيرة كالسيدين الفاضلين محمد فريد وجدي، والطنطاوي جوهري... اللذين حاولا الدفاع عن الإسلام بسرقة سلاح الخصم، أي بسلاح الحضارة الأوربية الزاحفة الذي هو (العقل والعلم).. ولا شيء غير ذلك.

ومع أن كتابتهما لم تخل من سقطات فإن مما يشفع لهما ما عرف من حبهما للإسلام، وتجردهما في الدفاع عنه، وبيعهما الثمين

والغالي مما يملكان دفاعًا عن دينهما . . فهما قد اجتهدا عن إخلاص وأخطئا . . فلهما أجر المخطئ المجتهد .

ثم تطور الأمر بالمدرسة مع ظهور حركة الإخوان المسلمين ، التي كان لبعض رجالها ،وعلى رأسهم الإمام الشهيد حسن البنا ، فضل عرض الإسلام بطريقة سلفية . . قرآنية . . لا تعتسف النصوص . . ولا تتكلف الأسلوب . . ولا الضغوط « العقلانية » باسم التعليل وحكمة المشروعية .

ولا تلجأ إلى أساليب الإقناع الخطابي غير الموضوعي . . بل عمودها البساطة والوضوح والصدق . .

فلم نجد هذه المدرسة وسيلة إلا أن تدخل هذا التجمع الإسلامي الكبير ، فلعلها تجد فيه فرصة إظهار قدرتها على الصراع العقلي . . دون أن تمد رؤيتها لتفقد فكرها نفسه ، ولتقوم حجم أدوات بحثها ، ولتعرف مدى ملائمة هذه الأدوات للبحث في حقائق الإسلام ، ولتنقد « العقل » ولو « بالعقل » وحده .

وقد كان أولى بها ، وهي مدرسة تقتبس كثيرًا من آرائها من الإمام أبي محمد علي بن حزم ، أن تنظر في منهج ابن حزم بنظرة موضوعية ، لتدرك أن هذه الآراء « التقدمية » ـ كما يسميها الدكتور محمد فتحي عثمان ـ إنما وصل إليها ابن حزم من خلال

نظره في القرآن والسنة - قبل أي شيء - بمنهج ظاهري وصفه بعض التقدميين وهو الأستاذ (عبد المتعال الصعيدي في كتابه المجددون في الإسلام) بأنه (رجعية) لالتزامه بظاهر النص .. ولرفضه هذه (العقلانية) التي يتعبد في محرابها هؤلاء ، بل إنه - أي ابن حزم - ليرفض الرأي كله في الدين ، ويعتبره سواء جاء عن طريق القياس أو الاستحسان أو سد الذرائع أو المصالح المرسلة . . يعتبره قولًا في دين الله بالباطل . . بل إنه ليرفض ما سوى القرآن والسنة والإجماع والدليل من مصادر التشريع . . فلا قياس عنده ولا استحسان ولا غيرهما من المصادر الذائعة بين فقهاء الرأي .

فكان أولى بهذه المدرسة بالتالي أن ترجع إلى القرآن وإلى السنة ، قبل العقل ، وأن تجعلهما زادها الكبير ، بدل أن تعرضهما على محك العقل ، وبدل أن تعطيهما مساحة صغيرة جدًا في الحياة ، بينما تعطي العقل حق معالجة كل قوانين الاقتصاد والسياسة والاجتماع . . دون أن تنظر في (الوحي) الذي جاء في هذين المصدرين الكريمين .

وقد تطور الأمر بهذه المدرسة إلى محاط كان لا بد أن تصل إليها ، فقدمت « العقل » على « النص » ، وفرضت « المذهب » على « المنهج » والرؤية « العصرية » على الرؤية « الموضوعية » حتى مع ورود بعض التعارض في كثير من الأحايين - بين ما يراه « النص »

وما يراه « العصر » ، إذ أن « النص » ينتمي إلى صياغة للحياة قد تكون متباينة مع بعض معطيات « العصر » ومع ما يسمى بالرؤية العصرية .

وقد انبثق عن هذه المدرسة اتجاهات جنح بعضها إلى أقصى اليسار . فحاولت تطويع الإسلام « لليسارية » زاعمة أن الفروق التاريخية في النشأة بين مصطلحي اليسار والماركسية ، كافية لأن تخضع الإسلام للرؤية اليسارية ، دون أن نكون قد قمنا بعملية « ماركسية » للإسلام .

كما زعم بعض تلامذة هذه المدرسة أن بالإمكان الاحتفاظ بالإسلام ، والتصور الإسلامي للحياة ،مع إخضاعنا هذا الإسلام للأسلوب « الغربي » في الحياة . . والنظر إلى الإسلام على أنه مجرد « دين لا هوتي » شأنه شأن أي مذهب من مذاهب الكنيسة المسيحية .

لكن الخيط المشترك بين أفراد هذه المدرسة على أية حال هو « تقديس العقل البشري » أو « تأليهه » بمعنى آخر . .

ومع أننا لا ننكر (دور العقل) في حدود حجمه الطبيعي ، ومع أننا أيضًا على طرفي نقيض في رؤيتنا للإسلام مع الاتجاهات الصوفية التي تكاد تلغي دور العقل ، كما أننا ـ من جانب آخر ـ لا نقول « بتعبدية الأحكام » بهذا الأسلوب الحاسم الشامل الذي

ذهب إليه الإمام أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الذي رفض أسلوب « التعليل » كله .

مع كل هذا فنحن نقدم « النص » على « العقل » و « المنهج » على المذهب ، ونرى أن الوحي سابق للعقل . . وأن على العقل أن يحاول محاولات جادة مستمرة لكي يصحح خطواته لكي تنسجم مع الوحي . . الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . بخلاف العقل الذي يمكن أن تهب عليه أعاصير الباطل من كل مكان !!

إن هذا هو « الفيصل » الكبير بيننا وبين هذه المدرسة .

على أن هذه المدرسة ، وهي لاهثة في طريقها ؛ لكي تفرض هذا « المذهب العقلاني » على الإسلام قد عمدت ـ في سبيل تحقيق منهجها ـ إلى عدم الاعتراف « بأحاديث الآحاد » مع أنها تمثل جزءًا كبيرًا جدًا من حيز الكلام النبوي الشريف ، وذلك حتى نفسح (لعقلها) المجال ، لكي ينطلق بعيدًا عن النصوص التي تفيد خطاه . .

ولم تقبل هذه المدرسة إلا الحديث المتواتر ، مع أنه كالذهب قليل جدًا .

وقد عمدت هذه المدرسة إلى رفض القاعدة الأصولية : « العبرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » وجعلت كل حادثة من الحوادث التي تكلم فيها الرسول يقتصر حكمها على الحادثة نفسها . . أي إنها جردت كلام الرسول ﷺ من امتداده التشريعي . . ولهذا تحدث أحدهم - وهو شخصية معروفة - فأفتى بأن الحجاب خاص بنساء النبي ؛ لأن آية الحجاب نزلت فيهن . . فلا يجوز تعميمها . . متجاهلًا آيات الحجاب الأخرى ومتجاهلًا أيضًا بأن ما يطبقه زوجات النبي أحرى بالمسلمات الأخريات أن يطبقنه ما لم يرد نص يقيده بهن !!

وتلجأ هذه المدرسة إلى توسيع رقعة حديث : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . الذي بينه أفضل بيان ابن حزم الأندلسي ، بل ذهب إلى تضعيفه . . والمهم أنها تكاد تلغي بهذا الحديث كل ما ورد من نصوص في الاقتصاد والسياسة والاجتماع . . مع أن هذا الحديث ينصب على الأمور التي لا جدال في خضوعها للتطور البشري كالتطورات التقنية الصناعية ، والزراعية ، والطبية . . وما إليها .

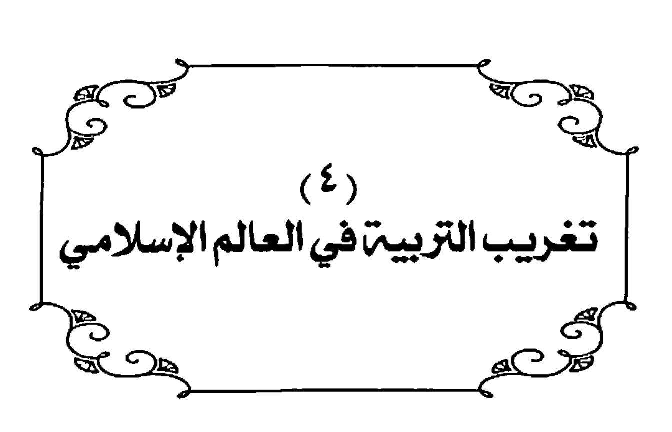
ونستطيع - في نهاية هذا البحث - أن نوجز النقاط الكبرى التي يجب بحثها في منهج هذه المدرسة . . وهي نقاط . تركز عليها هذه المدرسة في الأيام الأخيرة . . وأرى ضرورة تناولها من وجهة نظر « الوحي » الكريم ، وهذه النقاط هي :

أولًا : موقف هذه المدرسة من تطبيق الشريعة الإسلامية ، وهو موقف يكاد يصل إلى حد الرغبة في صرف النظر عن هذه القضية ، وتبرير الواقع ، مع إعطائه بعض الرتوش وفقًا « للكليات » الإسلامية .

ثانيًا : نظرهم للإسلام على أنه « فكر » وليس دينًا قبل كل شيء وما الفكر إلا انبثاقة من انبثاقات هذا الدين ـ وهذا رأينا بالطبع .

ثالثًا : تبني بعض هؤلاء لانتماءات سياسية حادة تتباين في بعض تصوراتها مع الإسلام ،كقول بعضهم باليسار الإسلامي ، وكدعوة بعضهم لنوع يمكن أن نسميه (علمانية إسلامية) .

وأخيرًا : فإننا نأمل أن يتاح لنا تتبع هذه المدرسة بالدرس والحوار (من وجهة النظر الإسلامية) سواء في هذه المجالات ،أو فيما يتصل بها من قضايا تتفرع عنها .



(٤)
تغريب التربية في العالم الإسلامي

أهمية التربية في التاريخ :

لعله ليس من المبالغة القول بأن العملية التربوية من أخطر القضايا في التكوين الحضاري لأية أمة من الأمم .

الإنسان يولد صفحة بيضاء خالية من كل البصمات إلا بصمات خالقه سبحانه . . بصمات الفطرة المتجهة إلى كل ما هو خير . . النزاعة إلى تصعيد نفسها ، لتحقيق رسالة الإنسانية في الحياة .

وهذه الصفحة لا تملؤها إلا العملية التربوية بفروعها المختلفة ، أعني بأدواتها المتشعبة . . بالأسرة وما غرس في الأبوين من قيم واتجاهات وسلوك ، وبالمجتمع وأدوات التأثير الإعلامية فيه ، وبالمدرسة وما تركز على زرعه في العقل من قضايا تفرض عليها طابع القداسة والتلقي دون مناقشة خارج إطارها .

من هنا يمكن تسمية الإنسان . . الحيوان المربي ، إذ هو في حقيقته انعكاس للعملية التربوية ، وبقية عناصر التأثير فيه لا تعدو أن تكون المواد الخام الفطرية الأولية التي يمكن أن يستوي فيها ـ أو يقل ـ مع كائنات أخرى ؟ .

وفي التاريخ ، وعبر مراحل سعى الإنسان الحثيث ،كانت العملية التربوية من أبرز قضايا الإنسان .

ولسنا هنا بصدد تتبع التربية في التاريخ ، أو ما يعرف بتاريخ

التربية ، فلذلك مجالاته وأبطاله المتخصصون .

لكن المؤكد أن التاريخ حفل باهتمام بشري ضخم بالعملية التربوية .

ولعل الفلاسفة الذين عرفناهم (بمعنى الفلسفة العام) كانوا من أبرز علماء التربية ، ومن هنا عرفوا ـ أو عرف معظمهم ـ بالمعلمين (المعلم الأول ـ أرسطو ، وأطلق المعلم الثاني على الفارابي . . وهكذا) . .

والأجدر من ذلك بالتنبيه ، وبالدلالة الموحية القوية ، أن زعماء موكب التاريخ ورواد حركته الحقيقيين . . أعني الأنبياء كانوا كذلك معلمين ، ولعل فيما قاله الرسول ﷺ عن نفسه « إنما بعثت معلمًا » أقوى دلالة على وظيفة الرسل الكبرى .

والارتباط في التاريخ قائم وقوي بين الفلسفة بمعناها العام ـ كعلم لتربية العقل ولتحصيل المعرفة ـ وبين العملية التربوية ، كما أن هذا الارتباط قوي كذلك بين العملية التربوية وسائر فروع المعرفة ، أليست المعرفة ماء الحياة المتدفق في جداول مناهج التربية ؟ وما قيمة الماء إذا لم يؤد وظيفته في الحياة ؟ أعني ما قيمته إذا كان ماءًا راكدًا سيئًا لا يروي من ظمأ ، ولا يخصب أرضًا ، ولا يعطي الحياة معنى الحياة .

إن المعرفة لا تتجلى قيمتها ،ولا تثمر ثمارها المرجوة ما لم توضع في مناهج تنظيم الاستفادة منها ،وما لم تكن هذه المناهج ملائمة للتربية التي ستعمل فيها . . إذ الماء الملح لا يصلح لري الإنسان ولا الزروع بحالته التي هو عليها ، كما أن كميات كبيرة من الماء العذب قد لا تصلح لتحويل أرض جدباء صخرية إلى حقول تعطي الفواكه والثمار والأشجار .

الانحراف الخطير في التربية :

من هنا يبدو أكبر انحراف في العملية التربوية ، هو الذهاب ـ دون وعي ـ إلى استيراد مناهج للتربية قد لا تكون صالحة للتربة وللأرض التي يراد غرس بذور التربية فيها .

وفضلًا عن الاختلافات المعروفة بين مكونات الشعوب من عقائد وثقافات وعادات وتقاليد ومناخ ومتطلبات حياتية ومستقبلية . . فضلًا عن ذلك فإن الاختلاف في السيكولوجية ، وفي نوعية التطور التاريخي والمستوى الحضاري للشعوب ،كافيان لان يجعلا عملية نقل مناهج التربية ـ دون وعي ـ من اخطر الانحرافات التي تصيب الشعوب الباحثة عن النمو ، أو الدارجة في مسالك التطور .

ولعله ليس من باب المصادفة أن الله سبحانه أرسل كل رسول بلسان قومه ليبين لهم .

ومن المعروف أن اللسان يعني انعكاس القوى الواعية المحركة في الإنسان . إذ من البديهي أن تكون تربية طليعة قائدة مؤمنة تستوجب التفاهم المباشر المنطلق من الخلفية التاريخية والتراثية ومن الوعي بنقطة الانطلاق نحو الغاية العالمية .

ولن يستطيع أي إنسان القيام بذلك عندما يبدأ بغرس القيم في نفوس وعقول يفصلها عنه آماد من التاريخ والتطور والمكونات النفسية والاجتماعية .

ومن هذا الباب يدخل إرسال الله أيضًا الرسل بمعجزات من نوع خارق . . لكنها تعتبر التصحيح والميزان والحقيقة بالنسبة لقومه ، إنها من نوع ما بأيديهم ؛ لكنها الطريق الصحيح والحجة الناصعة ، التي يتجلى من خلالها الله ، لإظهار عجز البشر ، وحاجة البشر .

ويستطيع المرء أن ينظر في معجزات الأنبياء ليعرف مدى صلتها بالبيئة والزمان اللذين جاءت المعجزة لهما ، فحيث كانت المحاولات الطبية أكثر تقدمًا . . جاء عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، وحيث كانت المحاولات كبيرة للتقدم في الشعوذة والسحر جاء موسى عليه السلام بعصاه تلتهم ما يأفكون ، وتظهر الحق في القضية ، وحيث كان العرب يعيشون عصر الكلمة البليغة والمعلقات وأسواق الكلمة الشاعرة جاء الإسلام بالقرآن على نسق من البيان لم يعرفه العرب لغتهم

الشاعرة أو الناثرة ، وتحداهم به . . فعجزوا ، واضطر كبير من أعداء الإسلام إلى وصف القرآن بأن « أغلاه مثمر ، وأسفله مغدق ، وله حلاوة ، وعليه طلاوة ،وما هو من قول بشر » .

إن العملية التربوية لا بد أن تكون ذات صلة بالبيئة ، بتحديات البيئة ، وبمستوى البيئة ، ولا بد أن تكون ذات هدف بالنسبة لمواصفات البيئة وعاداتها ، وإلا فإنها ستكون كقصيدة شعر إنجليزي تلقي على مسامع من لا يعرفون كلمة في الإنجليزية .

لقد تكون القصيدة لشكسبير ، ولقد تكون في قمة الروعة بالنسبة للذين يفقهون الإنجليزية ، أما هؤلاء المخاطبون بها . . . الذين لا يفقهون الإنجليزية ، فإنها لا تعدو أن تكون بالنسبة لهم مجرد أصوات كتلك التي يطلقها أي طير . . أو أي حيوان أليف .

من مظاهر الانهيار :

ومنذ ظهر في مصر « محمد علي باشا » على مشارف القرن التاسع عشر ، وهناك محاولات كثيرة للتغريب . . فلقد بدأ هذا الجندي الآبق يتوسل إلى فرنسا ويرسل إليها البعثات تلو البعثات ، ثم سار أبناؤه على نفس النهج حتى بلغ الأمر بحفيده إسماعيل باشا أن حاول أن تكون « مصر قطعة من أوربا » .

وسار الأمر في مصر على هذا النحو الذي لم يزد مصر إلا تأخرًا ،

فضلًا عن أنه سبب شللًا وصراعًا بين الوافدين من ذوي الثقافة النصرانية المادية المستوردة ، وبين أبناء التراث الذين يحاولون التطوير من الداخل ـ مع الاستعانة بالخارج كذلك ـ وبواسطة هذا الصراع تبلبلت أساليب التربية الصحيحة في مصر وفي العالم العربي ، وفقدت الجامعة الإسلامية الأزهرية العريقة دورها الريادي ،حتى جاء النظام الثوري المادي فجردها من مهمتها التاريخية ، وفرض عليها طابعًا علمانيًا حولها به إلى جامعة عادية كأية جامعة أخرى .

وفي المغرب لا شك حدث نفس الشيء ، وفقدت جامعة القرويين دورها . . وأصبحت أشبه بدار تاريخية لمجرد الذكرى وحفظ الآثار .

وفي الجزائر كان التغريب عامًا رسميًا بواسطة الأدوات الاستعمارية المسيطرة .

وفي سوريا ولبنان عملت المدارس الأجنبية من الجماعات التبشيرية عملها في عملية التغريب . . وفي إيجاد قيادات لا تنتمي إلى الأمة بوشيجة إلا وشيجة « المغترب بالوطن الأم » .

أما في تركيا ، حيث مقر خلافة إسلامية ، فقد انتهى الأمر إلى أكبر عمل للتغريب اليهودي ، وهو مصطفى كمال أتاتورك

(الماسوني) الذي تشدد في التغريب . بدءًا من الحروف اللاتينية ، وانتهاء بإزالة الطربوش وليس القبعة « البرنيطة » .

لقد تم عبر هذا كله تحويل العالم العربي إلى منطقة تجارب للعمليات التغريبية ، وإلى منطقة فراغ تتصارع فيها كل المناهج التربوية والمذاهب الاجتماعية والأفكار الشاذة التي تظهر في بعض حواري وشوارع المجتمع الأوربي .

ولم يستطع المجتمع العربي أن يرسو على حال صحيح ،كما أنه لم يهدأ لحظة واحدة من الصراع الذي ينهك قواه ويشل حركته .

وبما أن المناهج المستوردة والعمليات التغريبية ، والمحاولات التعليمية التي لم تراع ظروف التراث والتطور التاريخي والوضعيات الاجتماعية والفكرية ، بما أن هذه كلها لم تنجح ـ ولا يمكن أن تنجح في زرع الفكرة التغريبية الدخيلة ، مكان النبض القلبي الأصيل ـ فإن الشك والقلق والضياع كان هو الحصاد لوضعية من هذا النوع .

وكما لم يلتئم العرب تربويًا وفكريًا . . فإنهم لم يلتئموا عسكريًا وسياسيًا وعقائديًا .

وتحولوا إلى شتات مبعثر يوالي بعض منهم هذا المنهج أو تلك الفكرة ويتبع بعضهم الآخر هذه المدرسة أو هذا النهج .

ووسط هذا التيه والحيرة والضياع . توالت على العرب نكبات من كل جانب ، ووجد أعداؤهم الحضاريون الفرص سانحة لزرع كل بذور الشقاق بينهم . . ولتحويلهم إلى أمم بعد أن كانوا أمة ، وإلى عقائد بعد أن كانوا عقيدة ، وعلى عناصر متصارعة ، بعد أن كانوا يخضعون لراية واحدة . . تعمل لها كل معاهد التعليم ومدارس التربية في الأندلس والمغرب والمشرق وصقلية وغيرها .

من محاولات الهدم :

لقد دأب زعماء الهدم في العصر الحديث على تفريغ العملية التربوية من مضمونها كعملية توجيهية وحضارية .

فحاولوا أولًا فصل العملية التعليمية عن العملية التربوية ، وحاولوا جعل التعليم مجرد حشد للمعلومات يفتقد القدوة والتوجيه والبناء والإيجابية ، وبالطبع لم يعدموا العناوين أو اللافتات التي يغلفون بها أغراضهم ، فنادوا بالحرية ، وبتكوين الذاتية ، وباستقلال الشخصية لدى التلميذ . . . وما إلى ذلك .

وحاولوا القضاء على التعليم الإسلامي المستقل القادر على إيجاد قيادات قادرة على التعبير عن الفكر الإسلامي . . ولقد ألبسوا ذلك ثوب الدمج بين التعليمين : المدني والديني لفتح باب الحياة أمام علماء الدين . . أي بتعبير آخر لتصفية علماء الدين ، وتحويلهم إلى موظفين عاديين ، أو مدرسين من الدرجة السابعة ،

يلتزمون بالمناهج المقررة عليهم شأنهم شأن التلاميذ . . وكما ذكرنا سلفًا فإن القيادة الثورية في مصر في عصر علي صبري وشعراوي جمعه وغيرهما قد نجحت في تغريق الأزهر من مضمونه التراثي والتاريخي ، وحولوه ـ تقريبًا ـ إلى جامعة علمانية .

وقد حاولوا كذلك إفساد العملية التربوية عن طريق المطالبة بالاختلاط . . وتحويل الجامعات والمدارس الثانوية إلى منتديات للترفيه ، ولإشباع الغرائز السفلى ، ولتمييع قضية التربية ، بل ولتعليم الجنس ، وإنشاء العلاقات العاطفية ، ولتبرير كل ما هو سافل وتافه من السلوك .

وقد حاولوا تشجيع العاميات المختلفة لقتل الوحدة العربية واللغة العربية . . لغة القرآن والتراث والتاريخ ، كما حاولوا إحياء الوثنيات المندثرة والتاريخ السابق للإسلام للشعوب العربية ، والتجني على التاريخ الإسلامي وتشويهه ، وحاولوا تفضيل القوانين الوضعية على القوانين الإسلامية . . . وسلكوا كل درب في التربية ، واستغلوا كل حادثة .. لكي يصلوا إلى تفتيت العرب ، وإلى وأد حضارة الإسلام الوحدوية ، وإلى بعث القوميات المحلية المنتنة . . لكي يضمنوا في النهاية « وحدة تغريب وضياع العالم العربي والإسلامي » .

ولقد تضافرت جهود كثيرين في هذا المجال كان من أبرزهم « الدكتور القوصي والدكتور طه حسين ولطفي السيد وسعد زغلول وقاسم أمين والدكتور محمد خلف الله (صاحب القصة القرآنية) وسلامة موسى ولويس عوض وطائفة من المبشرين على اختلاف مشاربهم والأحزاب التي حكمت العالم العربي تحت شعارات قومية » .

ومع ذلك.. تقرير غريب :

ومع ما آل إليه أمر العالم العربي ، ومع تكرر الشكوى والفشل في التربية في العالم العربي ، ومع عديد من المؤتمرات التي عقدت ، والتي كشفت عن الخلل الموجود في العملية التربوية ، وبأن ثمة خطأً وتصورات مغلوطة في مناهج الدراسة ، وفي التأليف .

مع كل ذلك نجد في التقرير الذي صدر بالجريدة الرسمية بمصر عن البعثات الدراسية الخارجية التي ستقوم بها وزارة التعليم العالي بمصر لسنة ١٩٧٣م نجد حقائق غريبة :

* بينما تشكو الأمة العربية من ضعف في النواحي العلمية والتكنولوجية لا نجد العلوم المتعلقة بهاتين الناحيتين تحتل أكثر من خمس بعثات من بين أكثر من مائتي بعثة .

* هذا بينما تحتل دائرة التربية وطرق التدريس والعلوم الإنسانية ،

وهي تلك العلوم التي يجب أن تتصل بالبيئة والوضعيات المحلية المختلفة . . تحتل هذه الدائرة أكثر من مائة وعشرين بعثة من بين البعثات المذكور عددها سابقًا . . أي أنها تزيد عل النصف من البعثات ، حتى ليخيل للمرء أن مخططي البعثات يعمدون إلى مزيد من التمييع والتضليل بالنسبة للعملية التربوية في العالم العربي . نعم في العالم العربي لأن هؤلاء الأساتذة غالبًا ما يوفدون إلى جامعات عربية ويتركون بصماتهم فيها . .

ونجد مثلًا فروع الطب والتمريض والصيدلة على أهميتها لا تحتل أكثر من عشرين بعثة من بين البعثات الموفدة للعام ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م .

* أما فروع القانون (الحقوق) وحده ، فإنه يفوز بعددٍ موازٍ للعدد الذي نالته جميع فروع الطب والصيدلة والتمريض . أي قريبًا من عشرين بعثة .

* وبقية البعثات . . أي حوالي ٣٥ بعثة . . توزع بين كليات التجارة بأقسامها المختلفة ، وبين بعض المعاهد المتخصصة كمعهد البريد ومهد القطن ومعهد الفنادق وغير ذلك .

ومن النظرة المحايدة يتضح عدم حياد القائمين على البعثات كما يتضح سيرهم في التخطيط المدمر لما تبقى من عناصر الصمود في هذه الأمة .

ولعل أبرز ما توحي به هذه الإحصائية أو هـذا التقريـر المنشور بتفصيلاته كلها في جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٨ ـ ٦ ـ ١٩٧٣ م .

لعل أبرز موحياتـه أن هـذا التخطـيط يـسير في واد واحتياجـات مصر والعالم العربي يسير في واد آخر .

. . إن مصر والعالم العربي لم يـصبهما مـا أصـابهما إلا لأنهما دائـمًا يسيران في واد وحقائق التقدم وأبجديات الرقـي والتعقـل تـسير في واد آخر .

وصدق القائل : أرني مناهج أمة أخبرك : أين هي ، ومـن هـي ، وكيف هي ؟ .



الملحمة الخامسة

مصر في مهب العاصفة

(١)

شخصية مصر تباع في المزاد

ـ هل صحيح أن مصر لم تأخذ من العالم العربي بقدر ما أعطت ؟ .

ـ وهل صحيح أن مصر في موقف من يؤدي الواجبات ولا يأخذ الحقوق بالنسبة لأشقائها العرب ؟ .

ـ وبالتالي فهل في الإمكان أن تنفصل مصر عن أشقائها العرب لتتحول إلى دولة « حياد » أو تتحول حسب تعبير « توفيق الحكيم » إلى « فندق العالم » .

ـ وهل بالإمكان ـ في التصور الفكري أو العملي ـ أن نفصل بين ضرورة أمن مصر عن طريق تعاونها مع جاراتها ، وبين أن تبقى مصر عربية ؟ .

أي أننا يجب أن نتخيل يومًا سيأتي ـ كما نفهم من كلام لويس عوض ـ تتحد فيه بعض الدول العربية بجيش مشترك ـ مع إسرائيل ضد دول عربية أخرى .. لضرورة الأمن . . فالأمن هو مقياس الوجود لهذه المنطقة وليست العروبة .. وليس الإسلام أيضًا . . !!

ـ وهل صحيح أن أية صورة من صور الوحدة أمر مستحيل بين الأمة العربية ؟ !

وإذا سمحت القيادات العربية فإن أمريكا وروسيا لن تسمحا به وبالتالي فتحقيقه مستحيل ؟ .

ويا ترى ما هوية مصر ؟ . . وما رسالتها ؟ وما طريق مستقبلها ؟ .

الحقيقة أن أصل القضايا التي أثيرت عن « حياد مصر » أو (أسطورة وحدة العرب) أو مجرد (عروبة مصر) . . والتي تولي كبرها (توفيق الحكيم) و (لويس عوض) . . أصل هذه القضايا يرجع إلى نقطة انطلاقة واحدة لم تتغير منذ مطلع القرن التاسع عشر وهذه النقطة هي : هل مصر عربية مسلمة حاضرًا ومستقبلًا أم (هي بلد بحر أبيض) يجب أن ينتمي إلى (اللاتينية) والفكر الصليبي والروح الصليبية . . ؟ !

إن هذا هو أصل القضية وجوهر الصراع . . وهو صراع مستمر يظهر تارة متواريًا أثناء فترات قوة مصر ثم يظهر واضحًا . . وعنيفًا ـ أثناء فترات ضعفها ؟ ! لكنه مع ذلك ـ قد أخذ مسارًا واضحًا منذ مطلع هذا القرن ، أي منذ جثوم الصليبية الإنجليزية على مصر وسقوط أصالة بعض المصريين أمام الالتحام الحضاري بأوربا وقيام المستعمر بتكوين مدرسة من بعض الحاقدين على الدور الذي قامت به مصر عبر تاريخها المجيد في خدمة الإسلام والعروبة . . وكان الهدف الوحيد أن تتخلى مصر عن هذا الدور . . منكفئة على نفسها . . تتلقف (الشيكات السياحية) من أي مكان في العالم ، حتى ولو كان مقابل هذه (الشيكات) شرفها و (دينها) . . بل و (أرضها) !

أجل إن هذا هو أصل القضية !

سلوك قديم :

وما طرحه توفيق الحكيم ، وتلقفه منه لويس عوض ، إنما هو سلوك قديم ، وشنشنة معروفة . . وليس هذا هو موقفهما الأول ، بل هو حلقة في سلسلة مواقفهما . . ولعل جيلنا لم ينس بعد لتوفيق الحكيم أنه القائل أيام هاجمت فرنسا دمشق :

« عاشت حضارة فرنسا . . حتى ولو ذهبت دمشق إلى الجحيم ! » .

ولعل جيلنا لم ينس بعد للويس عوض معركته ضد الإسلام والعروبة التي عرفت بمعركة « الرسالة » والتي لقنه فيها المحقق الأستاذ محمود شاكر ـ درسًا لعله نسيه ، بعد أن عرف ـ حينها ـ قدره من البحث والتحقيق ، حين راح يفتري على أبي العلاء المعري ، ويجعله تلميذ الأديرة والكنائس ، ويحول تاريخ الثقافة في الشام إلى ثقافة (هيلينية جديدة) تأثرت بالروح اللاتينية أكثر مما تأثرت بالإسلام والعروبة .

وعلى الدرب نفسه سار كثيرون قبل الحكيم ولويس وبعدهما . . ذهب إلى ذلك طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) فرأى أن ثقافة مصر هي إلى اللاتينية النصرانية أقرب منها إلى الإسلام ، بل قد صرح بقوله : (إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا يصلحان

أساسًا للوحدة السياسية ولا قوامًا لتكوين الدول) . . ثم تطورت الظروف بطه حسين بعد ذلك ، فأصبح رئيس مجمع اللغة العربية . . . وأصدر كتاباته الإسلامية التي لا تخلو من شوائب !

ثم مشى على الدرب نفسه لفترة وجيزة الدكتور حسين مؤنس الذي قال في كتابه (مصر ورسالتها) : « إن تاريخ مصر يتأثر بالبحر الأبيض . . وإن حياة مصر لا تستقيم إلا إذا كانت على صلة بالبحر الأبيض » ، لكن لم يلبث الدكتور حسين مؤنس أن أصدر دراسات عربية وإسلامية تدل بوضوح على انتمائه الإسلامي والعربي !

وليس من قصدنا هنا تتبع مسيرة هذه القضية في مصر . . بدءًا من الخديوي إسماعيل ومرورًا بلطفي السيد وانتهاء بمدرسة لويس عوض وموسى صبري وكمال الملاخ ـ إنما قصدنا ـ فقط ـ أن نلمح إلى أن هذه النزعة إنما تظهر منسجمة مع الظروف السيئة التي تتعرض لها الأمة العربية . . ومع الأهداف الاستعمارية العليا !

دور المسيحيين :

وهناك حقيقة يكشفها تتبعنا الإحصائي لقادة الحركات وجمهرة المشجعين لها . . هذه الحقيقة هي أن المسيحيين واليهود كانوا أكثر من غذى هذه الحركات واستجاب لتوجيهات الاستعمار بشأنها .

وعن ذلك يتحدث كاتب يساري قومي غير مهتم بالولاء

للإسلام وهو الدكتور محمد عمارة الذي قال في كتابه عن (العروبة في العصر الحديث) بعد أن سرد حركات تمزيق البلاد العربية . . قال :

(لقد وجدت هذه النزعة الغذاء والقوة والتأييد من عديد من المصادر والاتجاهات والأوساط الرجعية المرتبطة مصالحها بمصالح الاستعمار في أوساط المسيحيين المصريين كانت للأسف تذكي نار هذه النزعة ، وتجد فيها شكلًا من أشكال مواصلة العداء والحروب لكل ما هو عربي ، على أساس أن العداء للعروبة يتضمن العداء للإسلام) .

ولهذا يجب إذا وجدنا أن أعلام كل حركة تمزيقية إنما هم من هؤلاء . . وإن اتخذت هذه الحركة الوطنية أو القومية أو العلمانية ستارًا تتخفى وراءه ، فهدفها واحد هو بقاء العالم العربي أشلاء متناثرة لا تصلح للوقوف أمام الأطماع الاستعمارية .

العروبة وليس القومية :

القومية كما يعرف لويس عوض كلمة مستحدثة لم يعرفها العرب الأوائل بمعناها الاصطلاحي الذي عرفته أوربا في القرن التاسع عشر ، وهو المعنى الذي تعنيه كلمة nationalism وكان طبيعيًا ألا تظهر كلمة القومية بمضمونها الفلسفي الأوربي في أرض العروبة والإسلام نظرًا لطبيعة الإسلام كدين وحضارة

وجنسية ، يغني عن الحاجة إلى ولاء قومي (بالمعنى الأوربي) ويرفض أن تعلو فوق رايته راية .

أما في العالم النصراني ، وحيث انفصل الدين عن الدولة ، وانعزل الدين في الكنيسة بعيدًا عن مسيرة المجتمع وتطور العقل ، فقد كان طبيعيًا أن تحتاج المسيرة الأوربية إلى (ولاء) تجتمع حوله . . فكانت الوطنية . . ثم كانت القومية . . ثم تعاورت الوطنية والقومية المواقع حسب فترات الضعف والقوة .

هذه القومية ـ إذن ـ قد نشأت كبديل للولاء الديني نتيجة تطور حضاري أوربي خاص . . وهي نتيجة منسجمة مع طبيعة التصورات الاعتقادية المسيحية ، وقد نجحت في أن تخدم أوربا الحديثة التي كانت تفتقد رابطة الولاء ، فوجدت في القومية (ولاء) معقولًا تمكنت بفضله من إتمام الوحدة الألمانية على يد (بسمارك) ومن إتمام الوحدة الإيطالية على يد (ماتزيني) ومن منح فرنسا روحًا عظيمة على يد (نابليون) الذي كاد ينجح في إخضاع أوربا لسيطرة القومية الفرنسية .

فهل العروبة التي ندافع عنها مجرد نظير مساو لهذه القوميات التي ظهرت في منطقة فارغة من (الولاءات) وفقًا لتطور فيه الحياة عن الدين ؟ .

الحق أن هذا هو المفهوم الذي انطلقت منه حركة القومية

العربية المعاصرة حتى في مرحلة (ساطع الحصري) ، ولهذا كان أعلام هذه الحركة المسيحيين ، وعلى رأسهم المسيحيون الثلاثة : ناصيف اليازجي (ت ١٨٧١م) وابنه إبراهيم اليازجي (ت ١٩٠٦م) وبطرس البستاني (ت ١٨٨٣م) ، وما يزال يحرص هذا المفهوم للقومية الأب الروحي المعاصر لعراق البعث (ميشيل عفلق) !

ونحن نرفض هذا المفهوم القومي ، ونؤمن بأن القومية لا تصلح بديلًا للإسلام ، بل نؤمن لأن الولاء للقومية بهذا المفهوم يتعارض مع التصور الإسلامي الصحيح ولا يمكن الجمع بين التصورين . كما أننا نؤمن بأن إسقاط نظرية تولدت عن تطور تاريخي محلي ووضع لا هوتي خاص ـ على بلاد الإسلام والعروبة ـ إنما هو مغالطة تاريخية ، وإشباع لنزعة عنصرية وسوء فهم متعمد لطبيعة الدين الإسلامي الذي هو دين ودولة وحضارة دون انفصام .

ومن هنا كان ترحيب النصارى القوميين بالكتابات التي تحاول إسقاط الفهم المسيحي للدين على الإسلام ، مثل كتاب على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) فقد وجدوا فيه ملجأ للقول بالمساواة بين المسيحية والإسلام ، وبالتالي إفساح المجال للقومية وعزل الدين عن الحياة .

ونحن إذ نرفض هذا المفهوم القومي ـ فإننا ـ في الوقت نفسه ـ نحترم (العروبة) ونعتبرها جزءًا من ديننا . . ورسالتنا . . وإطارًا كريمًا لشعائر ديننا . . . وكتاب ربنا . . . وفهمها فهمًا عميقًا ضرورة لإظهار إعجاز هذا القرآن العظيم . . والعرب أيضًا أعزاء على الإسلام . . فبهم عز . . وعلى أكتافهم حمل إلى آفاق الأرض باعتباره رسالة عالمية (وليس دينًا قوميًا كما يفتري الكاهن لويس عوض) .

فالعرب العظماء . . وبصلاح الدين الكردي العربي . . وبالمماليك المعربين . . وبالأتراك المعربين . . بكل هؤلاء الذين يقرأون القرآن العربي . . وبكل المصلين بالكلمات العربية . . المتجهين إلى قبلة تقع في بلد عربي . . . والذين يحجون كل عام إلى مدينة عربية . . ويؤدي المناسك بلسان عربي (دون أن يحسوا بأي شعور قومي) . . بهؤلاء وبغيرهم الذين أصبحت العروبة عندهم روحًا وفكرًا وولاء مطلقًا وجزءًا من العقيدة . . بهؤلاء نجح العرب في حطين وعين جالوت ومات المصريون شهداء في ليبيا . . أيام الغزو الإيطالي . . واستشهد سليمان الحلبي في مصر أيام الغزو الفرنسي . . وقف العرب وخلفهم المسلمون جميعًا في عاشر رمضان ١٣٩٣هـ .

إن العروبة روح وعاطفة ، وتفكير عربي ، وانتماء عربي !

وكلمة (لسان) في العربية تعني العضو الذي يترجم عما في الفؤاد وإلا فإن (اللسان المجرد) الذي لا يعكس فكرًا ولا شعورًا ولا انتماء هو لسان الببغاء . . إن اللسان العربي في حقيقته يعني التفكير العربي ، والروح العربية وأسلوب الحياة العربي . . كما يعني الإيمان بالتراث العربي . . أو بإيجاز شديد (الإيمان بروح الحضارة العربية) التي يعبر عنها اللسان العربي باللغة العربية . .

وهذا وحده هو المقياس لتحديد (هوية) الإنسان العربي ، ومن هنا كانت ضرورة الإسلام لكل عربي ، حتى المسيحي العربي ، لأن الإسلام هو روح هذه الحضارة وهو فكرها وتراثها ورسالتها في المستقبل .

وقد وصل بعض المسيحيين العرب المخلصين إلى هذه الحقيقة ، فاعتزوا بالإسلام ، ولم يكيدوا له ، أو يتآمروا عليه ، بل جاهروا بحبه والاعتراف بفضله . . ومنهم الدكتور نظمي لوقا . . ومكرم عبيد الذي كان يقول : (أنا مسلم وطنًا مسيحي دينًا) . . والشاعر السوري المسيحي الكبير (وصفي قرنفلي) الذي كتب مقدمة نثرية لقصيدة له في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقول فيها :

(عقيدتي الشخصية أن محمدًا ﷺ كبقية الرسل ، وكما جاز للمسيحيين أن يجمعوا للمسيح صفتي الألوهية والإنسانية المتازين فقد يجوز لي أن أرى في سيد قريش نبيًا دينيًا ومنقذًا قوميًا

في آن واحد ، فأنا أحترمه ﷺ كنبي جاءنا بالهدى بالرحمة ، وأنضوي إلى لوائه كمنقذ لهذا الشرق من آثار الفرس والرومان ، وأنا أرى في الدين الإسلامي قوة للشرق في جهاده القومي يجب استغلالها ، وإذا لم يكن للقرآن من يد إلا صيانة لغتنا لكفاه ذلك فضيلة تحمد ويدًا تشكر ، فاعترافًا بفضل محمد والقرآن على العرب والعربية كتبت ما كتبت وأكتب) .

إننا نؤمن بها عروبة إسلامية . . . وليست قومية أوربية . . حتى ولو أطلق عليها (قومية عربية) !

لا عروبة بغير القرآن :

حيثما تقرأ أغلبية القرآن الكريم وتفهم اللغة العربية . . فهناك شعب عربي يعيش في بلد عربي حتى ولو حكمه غير عرب وغير مسلمين تحت ضغوط استعمارية .

ودائمًا كان القرآن الكريم يمثل اللغة والثقافة المشتركة بين العناصر العربية . . ومن هنا حاول الاستعمار إبعاد العرب عن هذه الراية الثقافية والمنهج الحضاري العالمي الفذ .

وعلى امتداد أربعة عشر قرنًا استطاع القرآن أن يخلق تراثًا هائلًا سيطرت روحه على العالم كله ردحًا من الزمان ، وأعطى الأمة الإسلامية والعربية وقودها الحضاري وفكرها المتميز ، ومنحها وحدة روحية لم تتوافر لأية حضارة من الحضارات .

وسواء كان المسلم بدويًا ينتقل حسب المراعي من مكان إلى مكان ، ويعيش ـ مع أبناء وطنه ـ كجزر نائية ـ أو كان هذا المسلم حضريًا يعيش في مدينة أو قرية ، فقد ظل القرآن هو (اللغة المشتركة) و (المنهج الواحد) الذي عليه يلتقون ويعيشون . .

فإذا كانت هناك قوميات قد ظهرت بلا أوطان في عصور الهجرات الكبرى كتحركات الهكسوس والحيثيين والإغريق والرومان والقوط والواندال والهون والسلافيين والتتار والمغول ـ فإن المسلمين ـ أيضًا ـ قد تعرضوا في تاريخهم لأكثر من مظهر من مظاهر الغربة ، ولأكثر من صورة من صور النكبة والاكتساح والهزيمة ، ولأكثر من صورة من صور الغزو الصليبي والسياسي والفكري ـ ولكن ـ مع ذلك ـ بقي القرآن هو لغتهم ودستورهم ومعلم مستقبلهم الثابت .

وسواء اتحد العرب بعد عشر سنوات أو بعد خمسين ، فإن القرآن سيبقى لهم كالفكرة الواحدة التي لا تقبل تجزؤًا أو شتاتًا ، كما أن العرب ليسوا أول أمة في التاريخ تتعرض لمثل هذا التشتت . فالألمان . . والإيطاليون ـ فضلًا عن اليهود ـ قد تعرضوا له . . . وأيًما كان لها وقودها الذي أعانها على الصمود والبقاء .

وتدلنا تجربة اليهود ـ وهي تجربة جديرة بالدراسة العميقة ـ على أن التوراة هي التي حفظت اليهود بالرغم من التشتت الهائل .

وهذا معنى قول أحد كبارهم : (إن اليهود لم يحفظوا التوراة ، وإنما التوراة هي التي حفظت اليهود) وعن التجربة اليهودية نقتطف من مقال نشرته مجلة لوموند للكاتب (لنكولا بوديه) العبارات التالية الجديرة بالنظر العميق :

« إنه إذا كان الدين في إسرائيل من الشئون الخاصة لكل فرد ، فإن التوراة ملك مشترك بين جميع المواطنين ، بل هي دستور هذه الدولة اللادينية » !

ويقول بوديه أيضًا :

« لقد جاء في إعلان استقلال إسرائيل ما يلي : ستقوم دولة إسرائيل على مبادئ الحرية والعدالة والسلم كما يفهمها أنبياء بني إسرائيل . . إن هذه الدولة ليس لها دستور ولكن دستورها العملي هو التوراة . . . ومن حين لآخر تصدر قوانين جزئية حسب الحاجة .. والشيء الذي يلفت النظر في إسرائيل هو هذا المجهود الجبار لإحياء تراثها . . لإحياء التوراة . . فالمهاجرون المثقفون الذين جاءوا من أوربا والآخرون الذين يجرون جلاليبهم الشرقية .. إذا كانوا يختلفون في هذه الأشياء فإنما يجمعهم شيء على الأقل . . . وهو أنهم يتكلمون العبرية ، ويسكنون في بلاد تقوم كل حياتها على أساس التوراة » . . فنحن إذ نقول (بالعروبة القرآنية) إنما تقرر حقيقة حضارية وصل إلى استيعابها اليهود .. ونجحوا بها . . وثبتوا

بها دعائم وجودهم على أنقاض أمة مبعثرة تتحرك بلا أساس ثابت . . بل تهتز كالبندول يقذفها يميني إلى اليمين . . ويسوقها يساري إلى اليسار . . كلاهما يقودها إلى حتفها عن خبث متعمد أو عن اجتهاد خاطئ !

شخصية الأمة :

ويجرنا هذا إلى كلمة عن (شخصية الأمة) . . فهل أية أمة في التاريخ يمكن أن تعيش وتبقى على أساس تذبذب الشخصية عن طريق التقليد أو التبعية أو تغيير الجلدة لكل فكرةٍ وافدةٍ أو غازٍ منتصرٍ . . أم أن لأية أمة من الأمم ركائز ثابتة لا تقبل الاهتزاز . . مهما اعتورها من ضعف أو انتابتها النكسات . . وبالتالي فهل يمكن أن يغير توفيق الحكيم أو لويس عوض شخصية مصر ، في ظل ظروف ضعفها ؟ !

لقد تعاور على حكم مصر الإغريق والرومان . . . وحكمها الفراعنة بناة الأهرام . . ثم حكمها العرب . . ومن بين هؤلاء جميعًا لا نجد لمصر شخصية ولا دورًا حضاريًا ذا شأن إلا الدور العربي الإسلامي . . لماذا ؟ لأنه الدور الملائم لشخصية مصر . . المتصل بنفسيتها . . المعبر عن ذاتيتها . . الذي أعطاها الوجود الخصب الثري . . فحمت في ظله حضارة البشرية كلها أيام التتار في (عين جالوت) وحمت العالم الإسلامي كله أيام الصليبيين في

(حطين) . . وصهرت مصر التتار والأكراد والمماليك فحولتهم إلى مسلمين عرب لا يشعرون بأنهم يدافعون عن مصر الفراعنة أو مصر الإسكندر الأكبر وإنما يدافعون عن (مصرهم) هم . . مصر الإسلامية . . مصر العربية .. مصر الأزهر (!) لقد أصبحوا جزءًا من مصر . . لأنهم جزء من الحضارة التي تحرسها مصر !

ومن هنا يبدو (لويس عوض) أكثر ما يكون بعدًا عن العملية وأقرب ما يكون إلى الصليبية حين يقرع المصريين ويوبخهم ؛ لأنهم ـ كما يقول ـ : « يعيشون في وهم أمجاد ماضية ويتقمصون روح الأسلاف . . فيتحدثون عن حطين ومرج دابق وعين جالوت ، ويعلمون أبناءهم تاريخ طارق بن زياد وصقر قريش وصلاح الدين » .

ـ وماذا إذن تكون مصر . . يا لويس ؟ .

ـ وإذا ذهبت عين جالوت وحطين من تاريخ مصر . . فماذا يبقى فيه من أمجاد عالمية ؟ .

ـ ويا ترى هل تعلم مصر أبناءها تاريخ (بطرس الناسك) و (جان دارك) و (نابليون بونابرت) بدلًا من طارق وصلاح الدين ؟ .

ـ وهل تتكرم بريطانيا أو المبشرون الذين نعرفهم جيدًا . . بالتخلي عن تمجيد (ريتشارد قلب الأسد) و (شارل مارتل)

ليمجدواهم . بدلًا من ـ عبد الرحمن الغافقي وصلاح الدين ؟!

أم إننا وحدنا الذين يطلب منا مسخ شخصيتنا وبيع حضارة مصر في مزاد علني ؟ !

ـ وبيعها لمن ؟ لأعدائها الذين يستعمرون أرضها أو يساعدون مستعمريها بالمال والسلاح ؟ .

والسؤال الضروري هنا : هل بإمكان مصر بيع حضارتها وشخصيتها في المزاد . حتى لو أراد ذلك حاكم أو محتل أجنبي ؟ .

ونترك الرد على هذا السؤال لمفكر القومية الألمانية الكبير (فيختـه) فلعله قادر على إقناع أمثال لويس والحميم وحسين فوزي . .

يقول فيخته : « إن شخصية أمة من الأمم ليست شيئًا اصطناعيًا ثانويًا ، بل هي شجرة تضرب بجذورها في أعماق تلك الأمة ، وإن عظمة أمة من الأمم ليست في المظاهر العابرة . .كما أن عظمة الرجال لا تقاس بالتماثيل التي تقام لهم »

ويقول (رونس ما هو) المدير العام لليونسكو : « إن الأمة التي لا تؤمن بنفسها لا وجود لها ، فإذا لم يكن لشعبها طابع خاص يعبر به عن نفسه وخصائصه ومميزاته وطرقه الخاصة به في الحياة فلا وجود له . . واستقلاله استقلال سطحي » .

وأمامنا كل الحضارات . . سواء منها الحضارات التي اندثرت أو التي بقيت . . ثمة ميزان واحد للجميع . . إما أن تبقى شخصية الأمة بعيدًا عن الضغوط والمزايدات . . وإما أن تسقط الأمة وتذوب فورًا في غيرها . . تمامًا كما يذوب الملح في الماء !!

وقد أحسنت الدكتورة بنت الشاطئ حين ذكرت في جريدة الأهرام أن « شخصية مصر ليست من الأغراض الطارئة التي يجوز عليها التغيير والتبديل فيصح أن تكون في موضع نظر . . إنها ليست قضية أدبية أو اقتصادية » .

كما أحسنت بنت الشاطئ أيضًا حين لمست لب القضية فقالت :

« إني أخشى أن تكون هذه الدعوة إلى حياد مصر ذريعة لمن يكرهون شخصيتها الإسلامية ، ويريدون أن يستبدلوا بهذه الإسلامية السلفية علمانية عصرية تحررها من أغلال الإنتماء إلى العالم الإسلامي . . !! » .

وما تخشاه بنت الشاطئ . هو جوهر القضية التي لا يريد أن يذكرها أحد . . حتى لا يتهم بالتعصب الإسلامي . . والخروج على المنهجية العلمية !! (وتمزيق الوحدة الوطنية) .

هل وحدة العرب أسطورة :

يرى لويس عوض أن وحدة العرب أسطورة سياسية .. ويرى

لويس أن القوتين الكبيرتين لن تسمحا بقيام هذه الوحدة . . وبالتالي فهي أمل ميئوس منه !

والحقيقة أن وحدة العرب ليست أسطورة . . لأن الأسطورة في أبسط دلالاتها اللغوية أمر خرافي لم يتحقق قط . . ولا يمكن ـ عقليًا ـ أن يتحقق . لكن تاريخ العرب مليء بصور من الضعف والتفكك .. الذي أعقبته وحدة أيضًا .. كانت تبدو في أنظار البعض وكأنها حلم بعيد .. وبهذه الوحدة ـ بعد التفكك ـ انتصر المسلمون العرب في حطين وفي عين جالوت وقبلهما وبعدهما .

وليس العرب بدعا في هذا .. فأوربا تكاد تتحد في السوق الأوربية المشتركة على الرغم من تعدد اللغات والعقائد والأهداف ، والصراعات المميتة السابقة بينها .

وأمريكا مكونة من ولايات تجمعها اتجاهات وعقائد متنافرة .

وقل في روسيا والصين الشيء نفسه .

ولم تتوحد ألمانيا بسمارك إلا بعد حروب طاحنة بين إمارات ألمانيا المتعددة . .

وإيطاليا ـ كألمانيا ـ لم تلتئم مدنها إلا بعد حروب ودماء طاحنة ؟ !

وآخر تجربة مرئية رأي العين . .هي نجاح الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ في توحيد الجزيرة العربية التي تعدل

مساحتها مساحة أوربا . . على عين بريطانيا وسمعها . . مع قوة روسيا وأمريكا وفرنسا . . وفي ذلك الحين أيضًا .

ونحن ـ من ثقافتنا التاريخية ـ نستطيع القول : إن الضعف خور وفساد في أفكار العرب أنفسهم . . والقوى الخارجية إنما تستثمر هذا الضعف .. وعلى الرغم من قوتها فإنها لا تملك فرض وضع التشتت على العرب . . إذا ما أرادوا الوحدة واتجهوا الوجهة الصحيحة وتخلصوا من عوامل الضعف ، وأولها معاول الهدم . . وتلامذة الفكر الغربي الداعي إلى الانقسام والتمزق .

وأخيرا . . مصر والعرب :

ليس لنا أن نغفل حقيقة أساسية في حوارنا هذا . . فإن هذا الحوار ما كان له يكون لولا « المبادرة » التي زار فيها الرئيس أنور السادات القدس ، ولولا ما أعقبها من تفكك في الجبهة العربية ، وقطع علاقات مصر بسوريا والعراق والجزائر وليبيا .

ففي هذا المناخ أظهر كل صاحب نعرة شعوبية نعرته ،وأظهر كل إقليمي أو غربي فكرته ، وبدت مصر وكأنها « في مزاد » كل يحاول أن يشتريها ، ليبيعها في سوقه .

ونسي هؤلاء وألئك أن اختلافات الحكام شيء وشخصيات الشعوب شيء آخر .

ومصر . . . عربية الهواء ، والماء ، والأرض ، والفكر ، والمسجد ، والمصنع ، شاءت أم أبت .

وتخليها عن عروبتها . . ليس قرارًا سياسيًا مناوئًا تستطيع أن تتخذه كما يقطع الحكام العلاقات السياسية أو التجارية ، فهذا لون من الفكر السطحي المضحك !!

إن إسلامية مصر وعروبتها إنما هما قدرها الذي ستتحدد على أساسهما شخصيتها ودورها الحضاري . . ورسالتها في الحاضر والمستقبل .

وإذا كان بعض القادة العرب في الفكر والسياسة لم يصلوا بعد إلى درجة من النضج تسمح باستيعاب الحقائق الأساسية لشعوبهم العربية والإسلامية ، ويظنون أن كل شيء في حياة شعوبهم قابل للمزايدات السياسية ، فإن ذلك شيء ـ وإن كان خطيرًا ـ إلا أنه يمس هؤلاء القادة ، ولا يمس جوهر القضية .

والكلام هنا عن مصر وعن سائر البلاد العربية والإسلامية ؟ !

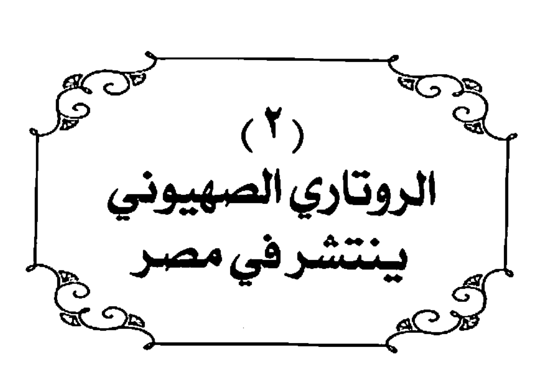
والذين يتحدثون الآن عن « فضل مصر » و « تضحية مصر » و « عدم تضحية العرب مع مصر » و « رخاء العرب وفقر مصر » .. الذين يتحدثون بمثل هذه العبارات من منطلق عنصري تمزيقي لم يسألوا أنفسهم عن موقف واحد أخير ومعروف للجميع . . إنه

موقف آخر معركة خاضتها مصر وانتصرت فيها . . وهل وقفت فيها وحدها ؟ أم أن معركتها وانتصارها وقف وراءه ـ بعد الله ـ السادات وفيصل ـ رحمه الله ـ كما اعترف السادات نفسه ؟ ! فضلًا عن بقية الأشقاء العرب ؟ !

أليس من اللائق أن تتروى في علاج الأمور بدل هذا الأسلوب الانفعالي الارتجالي في معالجة قضايا مصيرية ؟ !

وسواء أعطى العرب مصر عونهم المادي والمعنوي أو قصروا في ذلك ، فإن مصر ملزمة بان تقود الشعوب العربية إلى شاطئ النجاة ، وأن تبصرهم بالمصير المشترك الذي ينتظرها إذا ما استمروا في مسيرتهم المهلكة .

إن مصر لا تدافع عنهم بالدرجة الأولى . . وإنما تدافع ـ بالدرجة الأولى ـ عن حماها وحوضها .



(٢)

الروتاري الصهيوني ينتشر في مصر

الفاتيكان يكشف حقيقة الروتاري كجمعية سرية مشبوهة

في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٠م ـ صدر مرسوم بابوي من المجلس الأعلى المقدس للفاتيكان يدين « أندية الروتاري » يحرم على رجال الدين والشعب المسيحي دخول هذه الأندية . . ونص هذا المرسوم هو :

« دفاعًا عن العقيدة والفضيلة تقرر عدم السماح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادي الروتاري وعم الاشتراك في اجتماعاتها ، وأن غير رجال الدين يطالبون بمراعاة المرسوم رقم (٦٨٤) الخاص بالجمعيات السرية والمشتبه فيها » .

وقد آثرنا أن نصدر مقالنا بشهادة الفاتيكان ـ باعتباره دولة رسمية معينة بمراقبة هذه الحركات حتى لا يظن الذين يعنيهم الأمر أننا نطلق من مجرد الحماس ، أو أننا نعتمد على اجتهادات شخصية . . ويبقى بعد ذلك أن نذكر بقية شهادات رجال الفكر المحايدين ، وبقية الحقائق التي تكتشف دور أندية الروتاري في خدمة « الحكومات الخفية » .

درجة الروتاري في الحكومة الصهيونية :

معروف أن الاسم العالمي والشعبي الذي يقف وراءه اليهود لتحقيق سيطرتهم على العالم هو اسم « الماسونية » وفي كل بلاد

العالم بما فيها البلاد الإسلامية والعربية أسس الصهاينة « اندية للماسونية » تتخفى وراء العمل الاجتماعي الإنساني، لكن بعض هذه الدول ومنها مصر قد أدركت حقيقة هذه الأندية، فأمرت بإغلاقها « ومن العجيب ـ كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد شلبي في كتابه ـ اليهودية ـ أن هذه الماسونية ظلت سرًا على البلدان العربية حتى بعد قيام دولة إسرائيل، ولم يصدر قرار بإلغاء المحافل الماسونية في مصر إلا في إبريل سنة ١٩٦٤م بعد تحريم البابا ـ في الفاتيكان ـ لها بأكثر من عشر سنوات، ولا تزال المحافل الماسونية تباشر نشاطها في بعض البلدان العربية ».

وحيث تضعف أنشطة الماسونية، بسبب مراقبة السلطات لها ،أو حيث تنجح السلطات في فهم حقيقتها فتغلق محافلها، تقوم بدلًا منها، وبصورة تتخذ من « العلنية » ستارًا ـ أندية الروتاري لتؤدي الدور نفسه، لكن بصورة تتلاءم مع الأوضاع والظروف الجديدة.

ولتوضيح ذلك فإن الماسونية كما يقول ماسوني مصري سابق وصل إلى درجة (٣٣) وهي درجة الأستاذ الأعظم، وهو الدكتور أحمد غلوش رئيس جمعية منع المسكرات الذي تاب الله عليه بعد أن كشف حقيقة الماسونية :

إن الماسونية تنقسم إلى ثلاث فرق :

١-الفرقة الأولى : هي الماسونية الرمزية الهامة ذات الدرجات الثلاث : وسميت رمزية لكثرة رموزها في طقوسها الوضعية المشتقة من التوراة !! ودرجات هذه الفرق الثلاث هي درجة المبتدئ ويسمى العضو فيها « الأخ » ، ثم درجة « الشغال » ، ثم درجة الأستاذ . . ثم يترقى صاحب درجة الأستاذ إلى درجة الاحترام . . ثم المحترم الأعظم . . الخ .

٢-الفرقة الثانية : هي الماسونية الملوكية أو فرقة العقد المملوكي . . وهي أول مراتب العمل الصهيوني المنظم والمباشر والملتزم بأوامر الفرقة الثالثة ، وقد كانت هذه الفرقة مقصورة على اليهود ، ثم رئي من باب التعمية والسياسة قبول غير اليهود ممن يترقبون ويوثق بهم من الدرجة الأولى .

٣- أما الفرقة الثالثة والأخيرة : فهي الماسونية الكونية التي تحكم شئون العالم ولا يعرف مقرها أحد ولا يعرف رئيسها أحد ، اللهم إلا أعضاؤها الذين هم من اليهود الخلص ، ولهذه الماسونية محفل واحد ، هو الذي يدير النفوذ الصهيوني ومصالح آل صهيون بوسائل إعلامية اقتصادية ، مما يسميه الناس « التغلغل الصهيوني في أجهزة الإعلام في العالم ، والتغلغل الاقتصادي ، ونشر الفساد الأخلاقي وإعلان الحرب على الأديان » مما من شأنه التمهيد لسيطرة اليهود ـ وحدهم ـ على العالم !!

المهام المحددة للروتاري :

على أننا نستطيع إيجاز المهام المحددة لأندية الروتاري في هذه النقاط :

أولًا : الكشف عن الرأي العام واستخلاص النتائج الممكنة ، من خلال الكلام والمناقشات التي تبدو بريئة خلال اجتماعات الروتاري المتكررة التي ينفق عليها بسخاء من مصادر مجهولة التمويل .

ثانيًا : جذب مجموعة من المشاهير في الفن والأدب والصحافة ممن يمكن أن ينخدعوا بالشعارات البراقة ، والذين يحبون الجلسات الفخمة والاجتماعات ذات المستوى العالي . . وهؤلاء يخدمون الروتاري من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : هو معلوماتهم التي يمكن أن يتكلموا بها دون دراية ، أو لأنها ـ في رأيهم ـ بعيدة عن السياسة ، بينما يستطيع أجهزة الرصد الصهيوني تحليلها واستنباط بعض النتائج المفيدة منها ، سواء كانت الفائدة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية .

والوجه الثاني : ترويج بعض الاتجاهات والأفكار الهدامة ـ البعيدة عن الولاء للدين أو الوطن ـ من خلال هؤلاء باعتبارهم قادة الفكر المسيطرين على أجهزة الإعلام والتوجيه .

والوجه الثالث : هو أن وجود هؤلاء قد يخدع السذج والبسطاء

بالانضمام إلى أندية الروتاري . . حتى يجدوا أنفسهم يجلسون ويتحاورون مع الكبار المرموقين ، وبالتالي « دعاية إعلامية » من حيث لا يشعرون لهذه الأندية المشبوهة !!

ثالثًا : نشر أفكار معينة تمهد لتحقيق السيطرة الفكرية لليهود في العالم ،ومن هذه الأفكار : تنحية الدين عن التأثير في المجتمع ، باسم « الفصل بين الدين والدولة » لكي تبقى اليهودية وحدها في الميدان .

وإذا كان معلومًا لكل ذي عقل أن اليهودي الشيوعي أو الأمريكي أو حتى الذين تظاهروا منهم بدخول المسيحية إنما ولاؤهم هو لليهود وللحركة الصهيونية أولًا ، فإن من البديهي أن تعلم أن جماعة الروتاري التي تضم المسلم والمسيحي واليهودي إنما هي خادمة للصهاينة .

والروتاريين منتشرون في العالم أجمع وهم متساندون فيما بينهم أكثر من تساندهم مع إخوانهم في الدين أو الوطن فضلًا عن الولاء للقوميات .

وهذه الأفكار ـ وغيرها كثير ـ هي الأفكار التي يناط بالدرجة الأولى « الفرقة الماسونية الرمزية » تعميمها وإشاعتها في الرأي العام العالمي ، وهذه الدرجة هي التي يمثلها ويضطلع بأعبائها « الروتاريين » المنتشرون في العالم كله .

وزير داخلية سابق يدين الروتاري :

وقد قام عبد العظيم فهمي وزير الداخلية الأسبق بإغلاق محافل الروتاري ، لكنهم استطاعوا العودة إلى العمل بعد أن ترك منصبه ، وقد ذهب الرجل لأنديتهم بعد أن أحيل إلى التقاعد . . وجاهرهم بحقيقة ما وصل إليه من أمرهم ، وتأكد عن كثب من آرائه فيهم (راجع مقالة عن الروتاري بمجلة الاعتصام للدكتور أحمد شلبي) .

الروتاري ينشرون الأفكار الإسرائيلية :

في أوائل سنة ١٩٧٤م ، التقى المؤتمر القطري لنوادي الروتاري في مؤتمر عالمي عقدوه في جزيرة صقلية ، ومثل فيه الروتاريين لدول حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكان الموضوع الرئيسي الذي التقى عليه الروتاريين القادمون من الدول العربية وإسرائيل هو : « بحث مشكلة السلام وشروطه بين شعوب البحر الأبيض المتوسط » .

وقد تحدث إلى الصحفيين في إسرائيل عن هذا المؤتمر العميد القاضي « بار زئيب » ممثل إسرائيل . . فقال عن لقاءاته مع إخوته الروتاريين العرب في هذا المؤتمر وفي المؤتمرات السابقة :

« في بداية هذه اللقاءات تكون العلاقات رسمية وفيما بعد تتحول هذه العلاقات إلى علاقات ودية . . وفي نهاية المؤتمر لا

نكتفي بالتصافح فقط بل تتجاوز ذلك إلى التعانق وتبادل القبل » .

ويقول القاضي الإسرائيلي عن كلمته في المؤتمر :

« لقد قوبلت كلمتي بالترحاب حتى من الروتاريين العرب » .

وإن المرء ليندهش لهذه المؤتمرات العالمية التي تقام في أكبر عواصم العالم ، وتنفق عليها أموال طائلة ، وحسبنا أن نعلم أنه في إبريل ١٩٧٤م كان الروتاريين قد عقدوا مؤتمرهم الخامس والستين في (مينابوليس) بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد قُدِّر عدد الحاضرين لهذا المؤتمر بأكثر من عشرة آلاف عضو . . وهم لا يقيمون إلا في أفخم الفنادق ولا يستضيفون إلا على موائد خيالية تشبه موائد القياصرة والأباطرة .

أنيس منصور يكشف الروتاري :

في أخبار ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٧٣م كتب أنيس منصور بعد أن ظل عشر سنوات يدور في فلك أندية الروتاري ـ كتب بعد هذه السنوات يقول :

« اشتركت على سبيل العلم بالشيء في إحدى جماعات الروتاري منذ أكثر من عشر سنوات ، وكان اشتراكي نتيجة لضغط شديد من الأصدقاء . وذهبت واشتركت ، وفي اليوم الأول كان حفل غداء ، والغداء هو أهم حدث أسبوعي في كل جمعيات الروتاري !! . . . وفي أثناء الغداء أو بعده كان يقال لنا : جاءنا

اليوم مستر كوكو ماكوكو من اليابان ، وهو عضو الروتاري المركزي في طوكيو ، ويحمل إليكم تحيات السيد أكوماكو الرئيس الفخري . . ويتعالى التصفيق ،ثم يتبادل الزائر الياباني ورئيس الروتاري المصري الأعلام (!!) ومع التصفيق يجلس الزائر لنسمع عن زائر آخر جاء من الهند ويحمل تحيات الهنود . وزائر ثالث من أمريكا . . وهكذا غداء وتصفيق وأعلام ولا شيء بعد هذا . . .

ويقول أنيس منصور :

« ومن الأخبار المضحكة التي تنشرها الصحف والمجلات ظهور عدد كبير من الجمعيات الروتارية النسائية تجتمع وتنفض لماذا ؟ لا أحد يعرف الإجابة ، وأهم نواحي نشاطها الغداء أو العشاء وأن تتخذ قرارها في كل اجتماع أن يكون الغداء القادم في المكان الفلاني » ، ثم ينتهي أنيس منصور إلى التساؤل :

« إن الناس يتساءلون من هم الروتاريين ؟ ما دورهم ؟ ما رسالتهم ؟ ما سر حرصهم على إضاعة الوقت وإيهام الناس بأنهم يستثمرون الوقت لصالح الآخرين ؟ » .

ثم يجيب أنيس منصور :

« أنا حقيقة لا أدري لها فائدة ، ولم أسمع من أحد أن لها فائدة » .

لكننا نقول للأستاذ أنيس نصور : إن فوائدها للصهيونية العالمية معروفة .. وحسبها أن تحلل اتجاهات الرأي العام وتعرف بواطن

الأمور السياسية والاجتماعية من خلال الرجال والنساء . . وما هذه المآدب الفخمة إلا الثمن والستار ـ للأغراض العليا للماسونية الصهيونية !

الروتاريون في المعادي :

تخرج في المعادي جريدة أسبوعية وهي لسان حال الروتاري يقوم على أمرها مكفوف شبه أمي لا يعرف أحد من يساعدونه ، كما لا تعرف المصادر التي تستغله وتموله لإخراج هذه الجريدة .

ولعله من حسن الحظ أن يكون من سكان المعادي أيضًا الأستاذ الدكتور أحمد شلبي ، الذي كشف حقيقة الروتاريين في كتابه عن « اليهودية» كما كشفها الأستاذ المجاهد عبد الله التل ، والمهم أنه عندما أصدر الدكتور أحمد شلبي كتابه ذاك ، اتصل به الروتاريون بين وعد ووعيد لتخفيف اتجاهه نحوهم ، فلم ينالوا شيئًا ! . .

لكنهم ـ كما يحكي الدكتور ـ قد أوعزوا بعد كتابته وكتابة الأستاذ أنيس منصور ـ إلى حد كبير من كبرائهم في الصحافة ، فكتب يمدح « الروتاريين » في مجلة الإذاعة المصرية عدد ١٨ ـ ٣ ـ ١٩٧٣م . . وقد خذله الله فيما كتب ، فكشف ـ من حيث لا يشعر ـ عن حقيقة الروتانيين كفرع ماسوني ، إذ أنه تكلم عن الروتاريين فصورهم وكأنهم (ماسون) مائة في المائة ، ومن له أقل فكرة عن أساليب الماسون وتكوينهم يحس أنهم والروتاريين سواء . .

الماسون يريدون استغلال الدولة :

وقد عمد الماسون إلى محاولة خداع الدولة في مصر ،والتظاهر بمظهر العمل المشروع ، فجاء كبير من كبرائهم وقابل رئيس الوزراء (ممدوح سالم) في مكتبه ، وبرزت صورة اللقاء المشترك في الصحف . . ثم عمدوا ـ في جو مبادرة السلام ـ إلى عقد مؤتمر لهم أخذوا يعلنون عنه بكل السبل . . ويجرون إليه الشخصيات الرسمية بغية تضليل الرأي العام عن حقيقتهم .

فقد جاء في جريدة الأهرام بتاريخ ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٧٨م تحت عنوان : مؤتمر الروتاري تحت رعاية الرئيس السادات ـ ما يلي :

« يبدأ في الإسكندرية يوم الخميس القادم مؤتمر الروتاري لمنطقة الشرق الأوسط ، الذي يعقد تحت رعاية الرئيس أنور السادات ، ويحضر افتتاح المؤتمر السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء ، ويشترك فيه نحو ٣٠٠ من الروتاريين في مصر والسودان ولبنان والأردن والبحرين » .

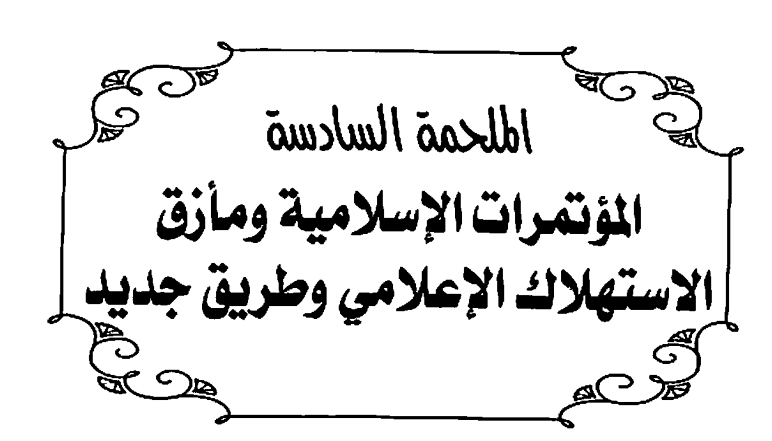
وفي جريدة الأهرام عدد ٦ـ ٤ ـ ١٩٧٨م ورد ما يلي تحت عنوان : « رئيس الوزراء في مؤتمر الروتاري بالإسكندرية » :

« عبد التواب هديب محافظ الإسكندرية يفتتح اليوم مؤتمر الروتاري نيابة عن الرئيس أنور السادات الذي يقام المؤتمر تحت رعايته ، ويشترك في المؤتمر ممثلون عن نوادي الروتاري بمصر والسودان والبحرين والأردن ولبنان وسوف يحضره ممدوح سالم

رئيس الوزراء ومحب استينو وزير السياحة وروبرت مانشستر ممثل رئيس الروتاري الدولي » !!

وفي ١٤ ـ ٤ ـ ١٩٧٨م نشرت الأخبار نص برقية شكر من الدكتور جمال الدين مسعود محافظ الروتاريين، توجه بها نيابة عن المؤتمر إلى الرئيس أنور السادات لوضعه المؤتمر تحت رعايته . . وكانت هذه البرقية بمثابة رد على برقية بعث بها الرئيس السادات إلى مؤتمر الروتاري بالإسكندرية قال فيها : أنه يأمل أن يسود السلام كل العالم وأن تتوجه الجهود في بلدان العالم إلى توفير الطعام والأمن للشعوب بدلًا من المدفع والدبابة !! كما أشاد فيها بمبادئ الروتاري ومثله العليا التي تقوم على اعتزاز كل عضو بعمله وهو ما ندعو إليه في مصر » !

ونحن نهيب بالمسئولين في الدولة، وعلى رأسهم الرئيس أنور السادات، أن يفرقوا بين الدعوة إلى سلام قائم على الحق مع حفظ ديننا وأرضنا كاملة الولاء لأوطاننا وأمتنا، وبين ترك الحبال على الغارب للجمعيات الصهيونية المشبوهة والتي لا عمل لها إلا تخذير شعبنا حضاريًا، وتأهيله لقبول الأفكار الصهيونية التي تعمل بتخطيط عالمي على تجريد الشعوب من خصائصها ومقوماتها، فضلًا عن رصدها لاتجاهات الرأي العام، وتحليل الآراء، واستخلاص النتائج، واختيار العناصر التي تصلح لخدمة الصهيونية إن عاجلًا وإن آجلًا .



الملحمة السادسة
المؤتمرات الإسلامية ومأزق الاستهلاك الإعلامي وطريق جديد

طريق جديد للمؤتمرات الإسلامية

تمهيد :

لعل أخطر ما يواجه أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات أو مرحلة النشأة والتكوين أو « الولادة الجديدة » التي تسمى « بالنهضة Renaissance » .

ـ هو التحديد الواضح السليم لتلك النقطة التي تبدأ منها مسيرتها . .

فالبداية الصحيحة لطريق التطور والتحضر تمثل أكبر عبء يجب أن يضطلع به هؤلاء الذين يتصدرون لقيادة الأمة والانتقال بها من السكون إلى الحركة . . ومن سهولة التبعية إلى القدرة على تحمل المسئولية . . ومن الفوضى والتخبط إلى النظام والتخطيط الواعي الشامل .

وليس تحديد نقطة الولادة الجديدة لأمة من الأمم بالأمر السهل الذي تصلح معه تلك الكلمات الشاعرية أو الارتجالية أو الخطابية الحماسية . . فإن قضايا التاريخ لا تخضع لهذا كله . . بل هي خاضعة لموازين وشروط دقيقة كل الدقة وخطيرة كل الخطورة .

وبدون أن نعقد المصطلحات التي نستعملها والمضامين التي يتطلب الأمر تقديمها ، فإننا نضع هذه الشروط كأساسيات

أبجدية تحتم الوعي بها عند البحث في نقطة البداية لأمة من الأمم :

(١) الوعي الكامل بسنن الله الكونية الثابتة .

(٢) استيعاب روح العصر الذي تبدأ الأمة منه المسيرة وتحديد الموقف الملائم من قضايا العصر .

(٣) الوعي بالتكوين النفسي والتاريخي والفكري للأمة ، أو ما يسمى بمكان الأمة والمركز الحضاري الذي يضعها تاريخها وتراثها فيه . .

(٤) وفوق ذلك وقبله لا بد من الوعي بتلك « العقيدة الدافعة » التي يمكنها أن تربط بين العناصر الثلاثة السابقة . . ويمكنها في الوقت نفسه أن تضمن أكبر ولاء جماهيري يقدم أقصى ما يمكنه من عطاء ، سواء في جانب الالتزام بالمبادئ ، أو في العطاء المادي والثقافي الذي يعتبر انعكاسًا للجانب العقدي والأخلاقي .

إنني موقن بأن هذه المقدمة ضرورية عند الحديث عن أية قضية من قضايا التطور .

وهي ضرورة تنسحب على كل مظهر من مظاهر العلاج لأزمة التطور الحضاري في الوطن العربي أو الأمة الإسلامية . .

وبدون الوعي الموضوعي بمضمون هذه المقدمة . . فإن ولوج باب الحوار سيبدو عملًا مبتور الجذور . . عفوي البداية . . جدلي

الوسيلة والنهاية . . . لا يصل إلى معالم واضحة منسجمة سليمة .

وانطلاقًا من التصور الواعي بالحقائق السالفة الذكر ، أتناول ـ في علمية محايدة ـ ظاهرة المؤتمرات الإسلامية . . تلك التي تحتل جزءًا هامًا من نشاط وجهود المتصدرين لتحضير الأمة الإسلامية . . وتحريك مسيرتها في الاتجاه المنسجم مع شروط الحضارة ومعطيات التاريخ .

وفي البداية أطرح هذين السؤالين :

• ما موقع المؤتمرات الإسلامية في قضية إنهاض الأمة ؟ وما أسباب قصورها بالتالي ؟ .

• وما الطريق ـ في ظل الواقع الإسلامي ـ لكي تؤدى هذه المؤتمرات دورًا إيجابيًا ؟ .

الموقع التأثيري للمؤتمرات الإسلامية وأسباب قصورها :

ونبدأ بالإجابة على السؤال الأول ـ من وجهة نظرنا ـ بإجراء مقارنة سريعة بين هذه المؤتمرات الإسلامية وبين المؤتمرات التي قام بها ـ ويقوم بها ـ اليهود منذ قرروا ـ في ظل التخوم التي تفصل بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة ـ أن ينشئوا لهم وطنًا في فلسطين . . .

لقد كان هناك هدف واضح محدد . . . يخضع « لبروتوكولات

حكماء صهيون » ويسعى إلى تحقيق حلم بني إسرائيل في احتلال وطن له قداسة دينية معينة عندهم وله امتداد ـ من وجهة نظرهم ـ في تاريخهم وأعماقهم ، وهو ـ في النهاية ـ يحقق كل أهدافهم المنسابة في الماضي والممتدة في الحاضر والمستقبل . . .

ولكي يحقق اليهود هذا الحلم فقد عقدوا سلسلة من المؤتمرات على مستويات مختلفة .

وانطلاقًا منها نجحوا في تحقيق كل أغراضهم بدءًا من إنشاء الجامعة العبرية وانتهاء بما وصلوا من سيطرة على فلسطين ، وعلى أجزاء أخرى من الوطن العربي ، فضلًا عما يحصلون به على المدى البعيد !!

ونحن لن نتحدث عن مؤتمر بال المنعقد في سويسرا سنة ١٩٨٩م ، فليس هذا المؤتمر الذي اشتهر أمره إلا حلقة من سلسلة طويلة من المؤتمرات الصهيونية !!

لقد عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول بعد أن نشر (تيودور هرتزل) كتابه المعروف ـ الدولة اليهودية ـ في برلين ١٨٩٦م . . .

ومنذ ذلك الحين والمؤتمرات الصهيونية تتوالى مرة أو مرتين في العام . . حتى بلغ عددها في سنة ١٩٣٩م (سنة قيام الحرب العالمية الثانية) واحدًا وعشرين مؤتمرًا . . لم تنقطع خلالها

المؤتمرات إلا في سنوات الحروب . . وحين توجد ظروف « استرتيجية » توجب هذا الانقطاع ،مع الأخذ في الاعتبار أن هذا العدد من المؤتمرات كان يسير بصورة رتيبة منظمة ، وهو غير تلك المؤتمرات التي كانت تعرف بالمؤتمرات الصهيونية العالمية التي كانت كثيرًا ما تتخلل هذه المؤتمرات المنتظمة لتنظر في أمر مصيري تفرضه الأوضاع التي تؤثر على مسار الحركة الصهيونية وآمالها في الاستيلاء على فلسطين !!

والجدير بالتأمل أن هذه المؤتمرات كانت تعقد في ظل اعتبارات محددة :

- فهناك الهدف الواضح المحدد (حتى وإن كان هناك اختلاف على الوسائل) .
- وهناك الإصرار ـ بالمال والنفس ـ على تنفيذ هذا الهدف .
- وهناك مشكلات محددة عاجلة تتطلب حلولًا قريبة عاجلة لا تنفصل عن الهدف البعيد .
- وهناك وعي بتقلب الظروف العالمية واستغلال لهذا التقلب .
- وهناك حشد لكل الإمكانات ، وتخطيط منظم لاستغلالها .
- وهناك تقويم للمؤتمرات الماضية . . ووصل لها بالمؤتمرات اللاحقة .

إنه ليخيل إليَّ أن مدلول مصطلح « مؤتمر » يتطور ، تبعًا لتطور مستوى إرادة الأمة ، ووعيها الحضاري . . ففي ظل الإرادة الخامدة المبعثرة المشتتة ، تصبح كلمة « مؤتمر » . مجرد مظهر متهافت . . قوي الدلالة على المستوى الخامل المنهار للأمة . . أما إذا كانت الإرادة أكثر قوة وإيجابية فإن المؤتمرات قد تسهم في رفعها إلى المستوى المطلوب .

وإن الفرق بين المؤتمرات التي تعقدها الأمم القوية والمؤتمرات التي تعقدها الأمم النامية أو المتخلفة لينبع من اختلاف هذه الوضعية !!!!

لقد عقدت على امتداد الساحة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر للهجرة مؤتمرات تربو عدة مرات على تلك المؤتمرات التي عقدها اليهود خلال الفترة نفسها .

لكن النتيجة كانت مختلفة تمامًا كما هو معلوم ، بحيث لا يصبح تجنبًا كبيرًا الحكم بأن موقع هذه المؤتمرات في قضية إنهاض الأمة موقع متأخر جدًا .

ـ فما الأسباب الحقيقية لهذا يا ترى ؟ .

ـ إن أبرز الأسباب ـ بالطبع ـ هي تلك التي ذكرناها حول ضعف الإرادة والوعي . . . وحول غموض الأهداف وافتقاد

التنظيم والتخطيط البعيد المدى ، وفهم الأخطاء المحيطة والتقلبات العالمية . .

لكن يبقى ـ مع ذلك كله ـ أن هناك أسبابًا أخرى أكثر مباشرة وتأثيرًا . . .

- فمن هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات تخضع في توجيهها الأعلى للدولة الداعية !!!
- بل من هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات تخضع في تمويلها لهذه الدولة أو تلك (يلاحظ هنا الأهمية الكبرى للمؤتمر الإسلامي الحر . . . مؤتمر الحج) .
- ومن هذه الأسباب أن هذه المؤتمرات في أغلبها مؤتمرات جزئية غير مرتبطة بخطة كلية . . فهذا مؤتمر للسيرة . . وذلك للفقه . . وثالث للاقتصاد . . ورابع للمسجد . . . وخامس للتقارب المسيحي الإسلامي . . وسادس بلا هويةٍ واضحةٍ ولا جدول أعمالٍ واضحٍ ، وإنما أقيم لأمر ما . . وليقال فيه ما تجود به القرائح . . هلم جرًا .
- ومن أسباب قصور المؤتمرات أيضًا انفكاك الصلة بين بعضها البعض وعدم اهتمامها بالتوصيات السابقة للمؤتمرات الإسلامية ، ولا سيما المشابهة .

• ومن الأسباب كذلك أن هذه المؤتمرات غير ملزمة من ناحية قراراتها وتوصياتها لا للحكومات ولا للمؤسسات ذات الشأن . . وهذا ـ للأسف الشديد ـ عكس الأسلوب المتبع في مؤتمرات أعدائنا . .

وإني لأذكر ـ على سبيل المقابلة ـ فقرةً واحدةً صدرت عن المؤتمر الدولي السادس للحزب الشيوعي المنعقد في عام ١٩٢٨م حول الموقف الشيوعي من الدين . . محددة أن « الحرب على الدين ـ أفيون الشعوب ـ ينبغي أن تشغل مكانًا هامًا بين أعمال الثورة الثقافية . . ويلزم أن تستمر هذه الحرب بإصرار وبطريقة جديدة منظمةٍ » .

هذه الفقرة حركت جيوشًا من عملاء الثورة الثقافية لاستعمال أبشع الوسائل لتحطيم الدين والمتدينين . . حتى بلغت في ذلك غايتها . .

ـ فهل ثمة قرار خرج عن مؤتمر إسلامي ـ على أي مستوى ـ حرك الجماهير المؤمنة على هذا النحو ؟ !!

• ومن أسباب القصور أيضًا جنوح هذه المؤتمرات إلى لون من الإسراف الإنشائي البغيض ، مما يجعل توصياتها مجرد أحلام ومثاليات لا ترتبط بالواقع . . وحسبنا أن نعلم أن مؤتمرًا أخيرًا قد

انبثقت عنه توصيات تقترب من الثمانين !!

• ومن أهم أسباب عجز هذه المؤتمرات عن تحقيق الفعالية المطلوبة ـ هو بناؤها الداخلي نفسه . . أعضاؤها . .

• فالبنية الداخلية للمؤتمرات الإسلامية الفكرية تتكون غالبًا من أعضاء تنفيذيين ، قلما يصلون إلى درجة القدرة على فرض آرائهم . . بل كثيرًا ما تتكون هذه البنية من أعضاء تختلف تصوراتهم للإسلام بمقدار الاختلاف « الأيديولوجي » والسياسي بين نظم أوطانهم . .

وحتى مع افتراض وحدة التصور فإن إمكانية تطبيقهم نظر صـ ١٥٠ يرون على مستوى مجتمعاتهم المغزوة فكريًا ـ أمر فيه نظر .

ـ لقد نظرت إلى قائمة المدعوين لمؤتمر ما . . فوجدتها من الكثرة والتباين بحيث أدركت أن من الصعب جدًا أن يقيم هؤلاء تخطيطًا لعمل إسلامي موضوعي مركز في أي اتجاه من اتجاهات الإصلاح . .

ـ وفي الآونة الأخيرة أصدرت حكومة لبلد إسلامي كبير قرارًا بأن تكون كل الدعوات الإسلامية (وغير الإسلامية للتمويه) عن طريقهم . .

ومعنى ذلك بوضوح أن هؤلاء الذين سترشحهم هذه الحكومة لحضور المؤتمرات سيمثلون هذه الحكومة أكثر من تمثيلهم للفكرة

الإسلامية !!

إني هنا أريد أن ألمح إلى حقيقة هامة . .

فإنه على الرغم من اختلاف اللغات والأوطان لليهود ، فقد نجحوا في تحقيق أهدافهم لأنهم ينطلقون من « أيدلوجيةٍ » واحدةٍ ، وشعورٍ واحدٍ ، وأمل واحدٍ .

ومع الوعي بكثير من التحفظات يمكن القول بأن الشيوعيين قد نجحوا منذ سنة ١٩١٧م في تحقيق تقدم عالمي . . لنفس الأسباب التي نجح من أجلها اليهود . . حتى وإن وضحت وهميتها فيما بعد .

أما التجمعات الأخرى التي تنتظم العالم الآن . . دون أن يتوفر لها أساس « أيديولوجي » وشعوري ـ فقد ثبت فشلها . . وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية . . وكتلة عدم الانحياز . . كلها من الأمثلة الدالة على ذلك .

وبالتالي فما لم يتوافر للمؤتمرات الإسلامية بكل وضوح : « الأيدلوجية الحركية » والشعور الواحد . . والأمل الواحد ، فإن مصيرها سيكون كمصير المؤتمرات التي تعقدها المنظمات السالفة الذكر !!

وإن الانتماء الرسمي للإسلام ، أو للمنظمات الإسلامية ، أو

للعلوم الإسلامية ـ ليس كافيًا لتوفير هذه الثلاثية الضرورية : العقيدة . . والوجدان . . والأمل والمصير .

إن هذه المؤتمرات ـ في ظل وضعيتها الراهنة ـ تفقد كثيرًا من جداولها .

ولكي تحتل هذه المؤتمرات موقعًا حيويًا ، يتوجب أن تخضع لتقويم جديد ، ولرؤية جديدة تخلصها من كثير مما يعوق عطاءها .

وكما رأينا من مسيرة اليهود خلال هذا القرن ، فإن المؤتمرات يمكن أن تتحول إلى أداة قوية لو تخلصت من هذه المعوقات ، ولو انطلقت حرة خالصة تبحث عن علاج لأزمة التطور الحضاري للأمة الإسلامية في مجالات المرض المختلفة !!

موقف المسلم من المؤتمرات :

سنعالج ـ بإذن الله ـ في الصفحات التالية . . ما يتعلق بالمؤتمرات الإسلامية في مستوياتها المختلفة ، مركزين على المؤتمرات الفكرية . . . ومقدمين معالم طريق جديد ـ من وجهة نظرنا ـ للمؤتمرات الإسلامية . أي أن الصفحات التالية سوف تحمل الإجابة على السؤال الثاني الذي طرحناه ، وهو : ما الطريق ـ في ظل الواقع الإسلامي ـ لكي تؤدي هذه المؤتمرات دورًا إيجابيًا ؟ .

ـ لكننا ـ قبل ذلك ـ نجد أنفسنا مضطرين للإجابة عن سؤال

آخر يرتبط بهذا السؤال الأساسي، ويمهد له . . وهو :

ـ ما موقف المسلم ـ في ظل الواقع الإسلامي بكل ما يحمله هذا الواقع من ملامح ـ تجاه هذه المؤتمرات ؟ .

ـ وواضح ـ بقليل من التمعن ـ أن البناء الداخلي للسؤال ـ يوحي بأن الواقع الإسلامي ينتمي إلى تلك الحياة التي أطلقنا عليها حالة « الإرادة الخامدة المبعثرة » وبالتالي فهذا الواقع غير قابل للعطاء الحقيقي في ظل تركيبه التلفيقي غير المنسجم !!

ـ لكن هل يعني ذلك أن يعطل المسلم دولاب كل حركة ثقافية أو اجتماعية إصلاحية أو شبه إصلاحية (كالمؤتمرات مثلًا) وبالتالي يقف سلبيًا منزويًا . . حتى يتغير تركيب هذا الواقع الإسلامي وفق الأسس المنسجمة مع الإرادة المبدعة للحضارة ؟ .

ـ ألا يعني ذلك أن المسلم قد غرق في وحل العلاقة الجدلية التي تربط البيضة بالدجاجة ؟ أو إلى ذلك الوحل الآخر الذي تردى فيه هؤلاء الذين يسقطون إقامة الصلاة حتى يقوم المجتمع الإسلامي الموافق لتصوراتهم ؟

ـ إن القضية تحتاج من المسلم إلى أن يتساءل من زاوية ثالثة : ألا يمكن أن تكون هذه الحركات شبه إصلاحية ـ ومنها المؤتمرات ـ مجرد بدائل للعلاج الحقيقي الجذري، تمنحها أبنية فوقية ترفض أن

تتعاطى مجتمعاتها العلاج الحقيقي للداء الخبيث . . . وتعمد إلى بعض المسكنات والمهدئات ؟ .

ـ وإن التاريخ لقادر ـ ولا سيما المعاصر ، على إسعافنا بنماذج من تلك البدائل التي قدمتها الأبنية الفوقية للشعوب الإسلامية ،كلما أوشكت هذه الشعوب ـ في بعض ساعات العسرة ، أن تمسك بخيط العلاج الحقيقي المنقذ لها من ورطتها الحضارية . . .

والطرق الصوفية التي لعبت دورًا خطيرًا في الجزائر قبل الاستقلال ، وفي مصر إبان الحكم الدكتاتوري الانقلابي ـ أبرز دليل على ذلك . . !!

والأجهزة الإسلامية « الاسمية » التي كان يرعاها الاستعمار ، أو ترعاها الحكومات « الاشتراكية » دليل آخر يقدم في هذا السبيل .

إنها في الحقيقة معادلة صعبة يواجهها الإنسان المسلم في هذا العصر .

ومع ذلك .. فطبيعة الإسلام وتجربته التاريخية الحية يقدمان للإنسان المسلم الزاد الكافي للسباحة في كل البحار الصعبة .

وفي هذا الموقف يقدم التصور الإسلامي ثلاثة خيوط لا بد أن يمسك بها المسلم في آن واحد :

أولًا : أن الإنسان المسلم ـ من حيث جذره الإسلامي ـ يجب

أن يتعامل مع الكون والتاريخ على أساس « الإسلامية المتكاملة » وحدها . . وبالتالي ، فهو مطالب بأن يدفع ـ بلا ملل أو ترقب للنتائج السريعة ـ عجلة الحضارة الإنسانية في اتجاه سنن الله الكونية التي تمثل في عطائها الأخير قيم الحق والخير والجمال . . بحيث يمكن أن تجد خلية الحضارة الإسلامية مهادها وتربتها الصالحة لميلاد سليم . .

ثانيًا : والإنسان المسلم ، إذ يحرك عجلة التاريخ بلا يأس في هذا الاتجاه الأساسي ـ عليه كذلك أن يقلق مضطجع الباطل ،وأن يرشقه بما تجود به كنانته من سهام . . في ظل الظروف المتاحة . .

ـ وبهذا المنظار يقتحم الإنسان المسلم ـ كل المجالات ،سواء كانت مؤتمرات جزئية ، أو ترقيعات لبعض الأوضاع ،كقضية إعادة الإنسان المسلم إلى نظافته في بعض البلدان ، وكقضية تحريم الخمور ،أو تطبيق الحدود ،أو « قانون من أين لك هذا » ـ أي مشروعية الثروة ـ أو التصنيع ، أو إحياء رسالة المسجد .. في بعض البلدان الأخرى .

إن هذه الإصلاحات ـ في واقع الأمر ـ مجرد أجزاء ترقيعية في تصور ووعي المسلم ،وهي لن تؤتي ثمارها إلا في ظل الإسلامية المتكاملة . . هذا حق . .

ومن الحق الذي ينضم إلى هذا التصور كذلك أن الإنسان المسلم يعي أن « ميلاد حضارة » لا يمكن أن يخرج من حلقة توصيات أو قرارات أو شعارات . . وإنما يخرج من محضن الحضارة الوحيد الذي يتشكل من عناصر أبرزها وأقواها : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ . . . أي عنصر إطلاق الإرادة من إسار الخمول والتشتت والاستسلام .

كل هذا حق في التصور الإسلامي :

ـ لكن من الحق كذلك ، ضرورة تطبيق الحديث الشريف الصحيح : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده . . فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه . . وذلك أضعف الإيمان » .

فهذه مستويات مرحلية للتغيير معترف بها كذلك ، وهي منسجمة ـ على المستوى البعيد ـ مع التغيير الحضاري الكلي المنشود ، ذلك الذي يمثل البداية الصحيحة والوحيدة .

ثالثًا : وهذا الإنسان المسلم ـ مع هذا الوعي بالحقيقة التاريخية الكبرى ، ومع الإسهام في التغيير المرحلي ـ عليه كذلك إسقاط البدائل المطروحة وإجهاضها . . .

ويكون ذلك عن طريق الإصرار على التمسك بالحقيقة الكبرى وبالجذور الحضارية ، وبتحويل هذه البدائل إلى فرص لصالح

مبادئه وتصوره . . . ينفذ منها بأكبر قدر ممكن إلى خدمة أهدافه . .

ـ فإذا راحت دولة إسلامية ـ مثلًا ـ تعقد مؤتمرًا إسلاميًا بمناسبة « قرب الانتخابات » كي تكسب أصوات الدهماء ، فلا ضير من حضور الإنسان المسلم هذا المؤتمر ، والعمل على توجيهه . . بل إن في الإمكان توجيهه ضد عملية التمويه نفسها !!

ـ والأمر نفسه إذا عقدت دولة أبرز معالم حكمها تدمير قوانين الأحوال الشخصية الإسلامية والشريعة كلها ـ « أسبوعًا » للفقه . . فإن على المسلم ـ أيضًا ـ أن يكون الكيس الفطن القادر على توجيه هذه الفرصة ضد أعداء الشريعة الإسلامية ،حتى ولو كانوا الداعين للمؤتمر !!

إن هذه الخيوط الثلاثة سالفة الذكر تدلنا على طبيعة الأسلوب الذي يتعامل به الإنسان المسلم مع ما يجري الآن من أنشطة العالم الإسلامي كله . . ومنها المؤتمرات الإسلامية ، بيت القصيد في هذا الحديث .

المؤتمرات الإسلامية ... تقويم وتوجيه :

ونعود للسؤال الأساسي الذي لا يزال مطروحًا :

ـ ما الطريق لكي تحقق هذه المؤتمرات دورًا إيجابيًا في ظل الواقع الذي ألمحنا إليه سلفًا ؟ .

إننا هنا نجد أنفسنا مضطرين لتصنيف هذه المؤتمرات وفق مستوياتها المختلفة . .

(أ) مؤتمرات القمة :

فهناك مؤتمرات على مستوى القمة (الملوك والرؤساء) وهذه المؤتمرات لا مجال لتفصيل الحديث عنها في هذه الصفحات . .

ومع أن مؤتمرين إسلاميين فقط قد عقدا على هذا المستوى خلال العصر الحديث - فإن الأمل كبير في أن تستمر مسيرة مؤتمرات القمة الإسلامية بما ينبثق عنها من مؤتمرات وزراء الخارجية ، أو المالية .

لكن المرجو كذلك أن تكون هذه المؤتمرات دورية على المستويين ، وألا يبقى انعقادها خاضعًا لظروف طارئة . .

فمن المعروف أن مؤتمر القمة الإسلامي الأول « مؤتمر الرباط » - الذي عقد في سبتمبر ١٩٦٩م - على إثر إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى - كان رد فعل لهذا الاستفزاز اليهودي للمشاعر الإسلامية ، وبالتالي ، فإنه لم يسبقه إعداد مناسب أو دراسات كافية ، ولم يكن لدى المؤتمرين جدول أعمال محدد ، اللهم إلا قضية القدس .

ولم ينته هذا المؤتمر - نتيجة هذا - إلى إصدار أية قرارات ، وإنما

تركزت قيمته في أنه إعلان عن منعطف جديد ، هي سياسة التضامن الإسلامي التي غرس بذرتها شهيد الإسلام « الفيصل » رحمه الله رحمة واسعة .

لكن مؤتمرات أربعة على مستوى وزراء الخارجية قد تلت هذا المؤتمر . (جدة ١٩٧٠م ، وكوالالامبور ١٩٧١م ، وجده ـ مرة ثانية ـ ١٩٧٢م ، وبنغازي ١٩٧٣م) ـ فأعطت هذه المؤتمرات الأربعة قيمةً جديدةً لمؤتمر الرباط ، بالإضافة إلى نتيجة تنظيمية أخرى قد يكون لها تأثير في المستقبل الإسلامي ، وهي إنشاء ما يعرف بمنظمة المؤتمر الإسلامي التي كانت ـ أيضًا ـ إشارة جديدة لمنعطف التضامن الإسلامي العظيم .

أما مؤتمر لاهور (٣٠ محرم ١٣٩٤م ـ ٢٢ فبراير ١٩٧٤م) فقد توافرت له ظروف صالحة لم تتوافر لمؤتمر الرباط . . وبالتالي ، فقد مثل أكبر تجمع إسلامي في العصر الحديث (٢٨ دولة) كما مثل أقوى نبض في مسيرة المؤتمرات الإسلامية ودورها في تحقيق البعث الإسلامي الوشيك بإذن الله !!

(ب) مؤتمرات مشبوهة :

تتبنى أحيانًا جهات غير إسلامية ، أو إسلامية موجهة توجيهًا غير إسلامي ، عقد مؤتمرات ذات طابع فكري إسلامي .

وهذه المؤتمرات يعد لها إعدادًا جيدًا ، وتتوافر لها إمكانات كبيرة ، ويخطط لها تخطيطًا عصريًا ،وهي تنفرد ـ عمومًا ـ بمميزات خاصة منها :

- فهي تحدد سلفًا أهدافًا « إستراتيجية » .
- وهي تمون من جهات غير علمية .
- وهي تسعى إلى توجيه الأفكار في العالم الإسلامي عن طريق إثارة مشكلات بعينها ، والتركيز عليها .
- أو تسعى إلى استكشاف الأفكار التي تهب في العالم الإسلامي ، والتي قد تحرك تيارات عقدية أو سياسية .
- وهي تدعوا ـ من العالم الإسلامي ـ أناسًا بعينهم أو هيئات بعينها ، لكي تصل إلى غرضها بيسر .

ونحن لن نقف عند الحدث الأخير « مهرجان لندن » ١٣٩٦هـ ، والشخصيات التي خططت له وقادته بذكاء شديد ، من أمثال « سير هارولد بيلي » ـ سفير سابق لبريطانيا لدى السعودية وشخصية سياسية معروفة ، و « لورد كارادون » ـ شخصية سياسية دبلوماسية تقلبت في مناصب سياسية خطيرة ـ ، و « سير أنتوني ناتنغ » ـ وزير خارجية سابق لبريطانيا ، إلى آخر هذا الطراز من الشخصيات !!

قلت : إني لن أقف عند هذا المهرجان ؛ لأن اقتناعي الشخصي أن هذا المهرجان مشروع سياحي تجاري أكثر منه أي شيء آخر . . ومثله ـ بالتالي ـ ليس مناط بحثنا . .

وحسبي أن أقف وقفة وجيزة عندما يسمى بندوات الحوار الإسلامي المسيحي ، وذلك لثقتي التامة في أنها تندرج تحت قائمة المؤتمرات المشبوهة ؛ لأنها على الأقل لا تحترم توصياتها من الجانب المسيحي من الناحية العملية ؛ ولأنها كذلك حوار بين الأقوياء والضعفاء ؛ ولأنها أيضًا لم تبرز إلا في ظروف معينة . . . بقصد الإسهام في تحقيق أهداف معينة [1] .

وأمامي الآن وأنا أكتب هذه السطور التوصيات الأربع والعشرون المنبثقة عن آخر ندوة عقدت للحوار الإسلامي المسيحي في مدينة طرابلس بليبيا ، في الفترة الواقعة ما بين الأول والسادس من شهر صفر عام ١٣٩٦هـ .

وإن النظرة الفاحصة في هذه التوصيات لتكشف عن استغلال الجانب المسيحي لها أكبر استغلال ، بغية ضرب التصورات الإسلامية الصحيحة في الصميم .

- فالتوصيات الثماني الأولى ـ في رأيي ـ هي لصالح المسيحيين

---

(١) انظر موضوع أمريكا تطوق العالم الإسلامي من الفصل الأول .

؛ لأنها تخلط في التصور الاعتقادي بين المسلمين والمسيحيين على قدر سواء ، مع أن هذا غير صحيح . . وفيها أيضًا تنكيل للجانب الإسلامي ضد قوى معينة لخدمة الأهداف الاستعمارية وحدها . . ولن يصيب الجانب الإسلامي منها أي خير .

• والحقوق الإنسانية الإسلامية ضائعة في زحمة هذه التوصيات الكثيرة ، ولم ترد إلا إشارة مائعة عن شعب فلسطين المسحوق .

• وهناك عدة توصيات تسوي بين المسيحية والإسلام في كثير من القضايا التي لم تهتم بها المسيحية ، بل كانت ـ تاريخيًا ـ من أكبر العيوب المأخوذة عليها ، كموقفها من العلم ، والتصور الكوني ، والتنظيم الحياتي .

• وهناك دعوة مسيحية للمسلمين بأن يعيدوا النظر في فهم الإنجيل .

• وهناك تضليل متعمد في التوصيتين رقم ١٨ ، ٢٠ فالأولى تجعل الحرب اللبنانية حربًا غير دينية ، والثانية تفرق بين اليهودية والصهيونية بنفس المنظار السياسي الذي يخدم اليهود ومصالحهم .

وبنفس الإيجاز أتناول نموذجًا آخر للمؤتمرات التي تظلها غيوم الشك ، وهو « المؤتمر الدولي عن الإسلام وباكستان وإيران ودول

الخليج » . ومن خلال الرصد للقضايا التي عولجت وكتابها سيتضح لنا الانتماء « الاستراتيجي » لهذا المؤتمر والقائمين عليه .

ـ فمن الموضوعات التي عولجت : نهضة الإسلام بمنظور عالمي للدكتور « رالف بريبانتي » ـ أستاذ العلوم السياسية في جامعة ديوك .

ـ ومن الموضوعات : « ما يواجه الإسلام من مشكلات في لبنان كدولة ذات نسبة كبيرة من السكان غير المسلمين » للدكتور حسن صعب .

وللعلم . . فإن التسليم بالنسبة الكبيرة لغير المسلمين في لبنان خطأ ، كما أن « حسن صعب » . . كاتب تقدمي اشتراكي (ومن كتاب مجلة مواقف البيروتيه) !!

ـ ومن الموضوعات : « التغيير في أنماط وأشكال القوة في جنوب آسيا منذ عام ١٩٧١م وآثارها على العالم الإسلامي ، لغلام وحيد شدوري ، أستاذ العلوم السياسية ومدير الدراسات الدولية في جامعة كارولينا الشمالية .

فهذه الموضوعات وغيرها مما يخدم قضايا « إستراتيجية غربية » أكثر مما يخدم العالم الإسلامي أو الفكر الإسلامي .

ومن هنا فلم يكن غريبًا أن تنفق على هذا المؤتمر وزارة الخارجية

الأمريكية . . !!

ولا يجوز أن يعمينا عن الطبيعة الحقيقية لأمثال هذه المؤتمرات ، وما تتشح به من أردية المنهج العلمي . . أو وجود بعض عناصر إسلامية فيها . . . فهذا داخل في إطار السياسة الاستعمارية لتمويه حقيقة الصراع الفكري .

المؤتمرات الفكرية الإسلامية (تقويم وتوجيه) :

إن المؤتمرات التي تعنينا بالدرجة الأولى - في دراستنا هذه ليست هي المؤتمرات السياسية في مستوياتها المختلفة ، ولا تلك المؤتمرات المشبوهة التي تتلمس وسائل الانقضاض على العالم الإسلامي . . وذلك لأن هذين النوعين من المؤتمرات يحتاج الحديث عنهما إلى تناول تشريحي لهيكل العالم الإسلامي كله في العصر الحديث .

وإنما الذي يعنينا هو تلك المؤتمرات « الإسلامية الفكرية » التي تتبناها مؤسسات إسلامية أو علمية أو جهات رسمية أو شعبية .

وفي البداية أحب أن أعيد ما قررته سلفًا من أن مسيرة هذه المؤتمرات - إلى الآن - لا تكشف عن آثار ذات شأن ، تسهم بها في عملية التطور الحضاري للأمة الإسلامية .

- وما دراستي هذه إلا محاولة لتخطي هذا الحاجز التقليدي ،كي

يحقق هذا النوع من المؤتمرات عطاء إيجابيًا ، وحتى تكون هذه المؤتمرات - حقيقة لا ادعاء - وسيلة من وسائل تقدم الأمة الإسلامية ورقيها .

معالم طريق جديد « واقعي » لهذه المؤتمرات :

ولكي تحقق هذه المؤتمرات أغراضًا عملية ، فإن من الأفضل للمؤسسات القائمة عليها ، أن تعقدها بغية الوصول إلى رأي شامل حول نقاط محددة ، وبهذا التصور أُحَلِّل وأُقَوِّم بعض المؤتمرات . . ذاكرًا ما أراه فيها من إيجابيات وسلبيات .

وانطلاقًا من هذا فإنني أرى أن أفضل الموضوعات المطروحة للبحث في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي هيمنت على إعداده جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١ - ١١ - ٩٦ هـ) - هو موضوع « الشبهات التي تثار حول تطبيق الشريعة » فهذا موضوع محدد لا تنسحب عليه هذه العمومية التي تنسحب على موضوعات مثل « أثر تطبيق الحدود الشرعية » أو « الاجتهاد » ، أو « نظام القضاء » ، أو « الغزو الفكري » ، و « الإعلام » - فإن كل موضوع من هذه الموضوعات يكاد يكون في حاجة إلى مؤتمر مستقل !!

وبالمنظار نفسه أرى أن أفضل ما توصل إليه مؤتمر الاقتصاد الإسلامي العالمي المنعقد في مكة (٢١ - ٢٦ صفر ١٣٩٦هـ) بإشراف جامعة الملك عبد العزيز - هما هاتان التوصيتان اللتان

تنص أولاهما على « حصر المراجع والمصادر المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي عبر العصور الإسلامية » .

وتنص ثانيتهما على أن « تنشئ جامعة الملك عبد العزيز ضمن جهودها العلمية مركزًا لدراسة الاقتصاد الإسلامي » .

أما مؤتمر « رسالة المسجد » الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي (١٥ ـ ١٨ رمضان ١٣٩٦هـ) فإن أفضل ما توصل إليه ـ في رأيي ـ هو فكرة تكوين مجلس أعلى باسم « المجلس الأعلى للمساجد » .

كما كان مؤتمر التضامن الإسلامي في مجالات العلم والتكنولوجيا الذي أقامته جامعة الرياض (٢٠ ـ ٢٥ مارس ١٩٧٦م) موفقًا في توصيته « بإنشاء مؤسسة للعلم والتكنولوجيا تهدف إلى القيام بالدراسات المستمرة ذات الطبيعة التخطيطية ، وإلى إنشاء معاهد بحوث علمية متخصصة . . . » .

ـ إن هذه التوصيات هي الاتجاهات والنتائج الأكثر واقعية وإيجابية وهي التوصيات التي يجب أن تحصر فيها جهودها تلك المؤسسات المهيمنة على عقد المؤتمرات التي تنتمي إلى هذا النوع .

ويرتبط بذلك أن يكون في وعي هذه المؤسسات أنها ملزمة ـ أدبيًا ـ بأن تكون هي القدوة في تنفيذ هذه التوصيات الواقعية المحدودة ، وأن تجعل هذه التوصيات جزءًا من سياستها العلمية وأهدافها القريبة والبعيدة .

ومع ذلك ، وإحقاقًا للحق وحده ، فإن هذه الآثار المحدودة للمؤتمرات سالفة الذكر تبدو وكأنها ومضات مشعة وسط ركود مسيطر على الطابع العام للمؤتمرات الإسلامية .

ـ فإن مؤتمرًا إسلاميًا عقد في الكويت على مستوى وزراء الأوقاف ولم يكن له صدى عملي ذو بال .

ـ وإن مؤتمرات كثيرة عقدتها ـ بجهد مخلص ـ رابطة العالم الإسلامي تحتاج نتائجها وتوصياتها لمراجعة وتقويم عادل . . وبخاصة أن كثيرًا من توصيات هذه المؤتمرات لم يخرج إلى حيز التنفيذ في أي مستوى من مستويات التطبيق . .

ويبدو الأمر أحيانًا وكأن هذه التوصيات مناط تنفيذها بجهات أخرى . . أو كأنها إرشادات وتوجيهات . .

وكنموذج لهذا . . فإن من بين وصايا المؤتمر الإسلامي الإفريقي الأول الذي عقد بدعوة من الرابطة في مدينة « نواكشوط » ـ عاصمة موريتانيا ـ (في الفترة من ٤ إلى ٦ جمادى الأولى ١٣٩٦هـ) ـ توصية تحث على « العمل على إعداد كتب مبسطة لأطفال المسلمين تمكنهم من فهم دينهم ، وتغرس فيهم روح المقاومة والحصانة » . . .

ومبلغ علمي أن الرابطة وزعت نشرة على الصحف الإسلامية تأمل فيها أن يعمل مديروها على إخراج هذه الكتب . . أو الاتصال بالقادرين على إخراجها . . .

وهكذا تدور الأمور في حلقات مفرغة دون أن يخطط لمسيرتها بحيث تصل إلى نتائج حاسمة معروفة البداية والغاية . . !!

- وهناك مؤتمرات عقدت في مصر قام بها جهاز منظم ، تمثل المؤتمرات معلمًا كبيرًا في نشاطه (مجمع البحوث الإسلامية) إلا أن أثرها لم يخرج عن دائرتين :

١ - دائرة البحوث التي تطبع وتوزع بمقابل مادي .

٢ - دائرة إصدار بعض الفتاوى التي لا زالت تتصل بقضايا جزئية ، ولم تصل إلى حد إبداء الرأي في القضايا التي تلح على ضمير الإنسان المسلم ، مما فرضته طبيعة العصر الاقتصادية والاجتماعية ، وقس على هذا النمط من المؤتمرات . . مؤتمر العراق ١٣٩٥هـ ، ومؤتمر تونس للفقه الإسلامي (!!) ، ومؤتمر السيرة في باكستان ١٣٩٦هـ . . ومؤتمرات كثيرة أخرى في ليبيا ، وسوريا ، والمغرب ، وغيرها .

أما مؤتمرات الجزائر الدورية التي يطلق عليها « ملتقيات الفكر الإسلامي » فقد تميزت ببعض الخصائص التي تجعلها نهجًا متميزًا في أسلوب المؤتمرات الإسلامية . . .

- فهذه الملتقيات تقام كل عام منذ ثلاث عشرة سنة بصورة منتظمة .

• وهي تعالج موضوعات تاريخية وإسلامية . . كي تصل إلى رؤية إسلامية علمية فيها . . وعلى سبيل المثال فهي تلح على ثلاث نقاط لها أهميتها بالنسبة لكفاح الجزائر ، وتحررها العقدي والفكري من السيطرة الفرنسية على تاريخها وحضارتها .

(أ) النقطة الأولى هي : « التاريخ الجزائري » ـ من وجهة نظر إسلامية عربية جزائرية .

وتدعيمها لهذا الاتجاه ، فهي تقيم المؤتمرات في مدن جزائرية تختلف كل سنة عنها في الأخرى . . فمرة يعقد الملتقى في العاصمة ، وثانية في قسطنطينية ، وثالثة في تيزي وزو ، ورابعة في بجاية ، وخامسة في تلمسان ، و سادسة في عنابة . . . وهكذا . .

وتصبح المدينة المضيفة ـ بتاريخها وحضارتها ـ موضوعًا من موضوعات الملتقى . . تخضع للدرس والتحليل .

(ب) والنقطة الثانية هي : « التاريخ الإسلامي » ـ ولاسيما الدولة العثمانية ـ وقد نجحت نجاحًا كبيرًا في إنصاف هذه الخلافة ، وإعطائها حقها من المدح والقدح .

وأذكر أن الدكتور زكي نجيب محمود ـ الفيلسوف الوضعي المعروف والحائز على جائزة الدولة في مصر ـ قد صرح لي في ملتقى تلمسان ١٣٩٥هـ : بأنه أفاد من هذه الملتقيات فائدةً كبيرةً فيما

يتعلق بإنصاف الدولة العثمانية . . فقد كان هو ككل المثقفين ثقافة غربية لا يعرف للدولة العثمانية حسنة من الحسنات .

(ج) والنقطة الثالثة التي تركز عليها الملتقيات . . هي إبراز المعاني الحية للقيم الإسلامية . . ففي كل ملتقى تتناول عبادة من العبادات الإسلامية بمنظار جيد ،كأثر الحج في الحضارة الإسلامية ، أو الآثار السياسية والاجتماعية للصلاة والزكاة والصيام . . وهلم جرًا .

- ومن خصائص هذه الملتقيات أيضًا أنها تضع في برنامجها دعوة عدد محدود من الذين لا ينتمون انتماء كاملًا للفكر الإسلامي الأصيل ، بل تدعو أحيانًا بعض المستشرقين .

وهؤلاء في الحقيقة بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي عاش الحضارة الأوروبية رغم أنفه - يكون لهم تأثيرهم في قدح زناد الإسلاميين ، وتهيئة الجو لحوارٍ علميٍّ قويّ .

وأشهد أن مستوى الحوار الإسلامي يرتفع من عام لعام ، متخلصًا في مسيرته الخطابية والانفعالية والإنشائية . . لدرجة أن ملتقى الفكر الإسلامي الذي عقد « بعنابة » في ١٢ رجب ١٣٩٦هـ (١٠ - ٧ - ١٩٧٦م) كان قوي الدلالة على تفوق الفكر الإسلامي بصورة واضحة .

- ومن الخصائص التي لا يمكن إغفالها - كذلك - حضور عدد من طلاب الجامعات والمعاهد العليا ومدرسي المراحل

التعليمية ، يتراوح بين ألف وألف وخمسائة ، وهم يحضرون من مختلف مناطق الجزائر باشتراكات رمزية وتتولى وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية سائر نفقات إقامتهم وسفرهم ، وليس لهم حق الاشتراك في المناقشات ، وإنما لهم حق توجيه بعض الأسئلة في وقت محدد ، بالإضافة إلى حضور كل المحاضرات والمناقشات وتسلم المحاضرات ، وهم يفيدون ـ من حضور عشرة أيام وسط هذا المستوى الفكري الإسلامي والعلمي الحافل ـ فائدة كبرى يلمسها الشعب الجزائري كله ، وهو يخوض معركة « الأسلمة » و « التعريب » !!

وفي ضوء هذه الخصائص تتحقق فوائد متعددة ،ولا تقف الفائدة عند حد التوصيات والقرارات ، والنشرات ، والمطبوعات .

وحبذا أن تفيد المؤسسات الإسلامية من فكرة الملتقيات الجزائرية وأسلوبها ، بما يتلاءم مع ظروفها ، وبيئتها ، وإمكاناتها .

وما يقال عن ملتقيات الجزائر ، يقال كذلك عن الفوائد العملية التي تحققها المؤتمرات الدورية لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا . . فهذه المؤتمرات السنوية لا تبحث عن « التوصيات والقرارات » في الدرجة الأولى ، وإنما تمثل مؤتمراتها ظرفًا مناسبًا لتدعيم الارتباط العقدي والسلوكي بالإسلام وسط بحر المدنية الأوربية المتلاطم الأمواج .

وعلى سبيل المثال، فإن المؤتمر السنوي الرابع عشر للاتحاد المنعقد في الفترة من ٢٨ إلى ٣١ مايو سنة ١٩٧٦م ـ حضره حوالي ١٣٠٠٠ رجل و ٥٠٠ امرأة وحوالي ٤٠٠ طفل ـ وضعت لهم كافة الترتيبات اللازمة لإقامة الشعائر في أوقاتها، وتوفير اللحوم الحلال.. وغير ذلك من مظاهر المناخ الإسلامي.. وهذا الأسلوب يخرج المؤتمر عن الشكل المعروف للمؤتمرات التقليدية، ويجعله أشبه بتجمع إسلامي.. يعيش مناخًا إسلاميًا، وحياة إسلامية لفترة محددة !!

أسلوب جديد للمؤتمرات الإسلامية:

إنني أعتبر هذه الدراسة ـ بجملتها ـ مشروعًا قابلًا للقبول والرفض والتعديل.

ـ وهي ـ كلها ـ أحكام قد يختلف حولها الكثيرون..

ـ وهي ـ في اقتناعي ـ اقترح بإعادة النظر في الطريق الذي تسير فيه المؤتمرات الإسلامية.. مقدم بالدرجة الأولى إلى الجامعات الإسلامية وعلى رأسها جامعة الإمام محمد بن سعود ـ وهي اقتراح مقدم إلى رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

ـ وهي اقتراح مقدم إلى مجمع البحوث الإسلامية بمصر، وإدارة الملتقيات الإسلامية بوزارة التعليم الأصلي بالجزائر، وبقية

المؤسسات المهتمة بهذا اللون من النشاط الإسلامي .

وإلى أن يتحقق الأمل في أن تخضع المؤتمرات الإسلامية لدراسة وتخطيط يحقق لها التكامل ـ فإني أقدم ـ إلى جانب ما قدمته في الصفحات السابقة ـ مجموعة من التصورات والموضوعات التي أراها جديرة بعناية من أتوجه إليهم بهذه الدراسة . .

ففي تصوري أن هناك مستويين يجب أن تنسق هذه المؤتمرات على أساسهما :

أولًا : مستوى القضايا المصيرية للأمة الإسلامية .

وفي هذا المستوى . . وانطلاقًا من المسئولية القيادية للفكر الإسلامي ، يجب أن تعالج بكل شجاعة ووضوح ـ تلك القضايا التي يتحدد على أساسها الدور الذي يمكن أن يحتله هذا العالم الإسلامي في التاريخ والحضارة .

ولكي تكون المفاهيم التي أقدمها واضحة ، فإنني أقدم نماذج من هذه القضايا ،لم تعالج ـ للأسف الشديد ـ خلال المؤتمرات الإسلامية العديدة التي عقدت على امتداد الساحة الإسلامية . .

فمن هذه القضايا :

١ ـ قضية الوحدة الإسلامية :

العقبات التي تحول دون تحقيقها . . مسئولية الأجهزة الحاكمة . . مسئولية الفرد المسلم . .مسئولية الغزو الفكري ، والسياسي ،

والاقتصادي ، والاجتماعي.. الطرق الواقعية لتحقيق هذه الوحدة . إلخ .

٢ ـ النظام السياسي الإسلامي :

(أ) الحقوق الإنسانية للفرد ولاسيما الحرية .

(ب) حق عزل الحاكم .

(ج) قضية الدكتاتورية في العالم الإسلامي ، وضد الإسلام بخاصة .

(د) « ملف » تعذيب الإنسان المسلم في العصر الحديث .

(هـ) طرق حماية المسلم ـ في المستقبل ـ من هذه الأنظمة الدكتاتورية المأجورة .

(و) وطرق حماية المسلم من التصفية الجسدية ، والإنسانية التي يتعرض لها خلال هذا القرن . . !!

٣ ـ قضية التراث الإسلامي :

طرق بعثه . الموقف « العقلاني » العصري للإفادة من هذا التراث ،إمكانية نقد التراث في الأصول والفروع . . القضايا التاريخية في التراث التي تستحق « التحنيط والتجميد » كبعض قضايا علم الكلام مثلا .

٤ ـ فكرة القومية وخطرها على الروح الإسلامية والكيان الإسلامي .

٥ ـ حصر التصورات الخاطئة للإسلام ، وتأثيرها السلبي على تقدم العالم الإسلامي .

٦ ـ قضية الحكم بغير ما أنزل الله في العالم الإسلامي :

أسبابها . . على من تقع مسئوليتها . واجبات الفرد المسلم تجاه القوانين الوضعية ... كيفية تعايشه « الإجباري أحيانًا » معها . . وأسلوب مقاومتها . . وإجهاضها .

(وهذه مجرد نماذج تدل على غيرها من القضايا الكبرى المصيرية التي تحتاج إلى علاج ، في هذا المستوى) .

ثانيا : مستوى المشكلات الإسلامية النوعية :

وفي هذا المستوى يجب الاقتراب قدر الاستطاعة من الواقع المحيط بالمسلمين ، بدلًا من الاستغراق في عموميات وجدليات نظرية ، بحيث تقدم مشكلة محدودة ، وتدرس دراسة شاملة ، لينتهي الأمر فيها إلى مواقف محددة .

وفي السطور التالية أطرح بعض هذه الموضوعات التي أراها جديرة بالدراسة في هذا المستوى .

١ - معالم التخطيط الصليبي لالتهام أندونيسيا في نصف قرن ، وطرق مقاومته .

٢ - مأساة المسلمين في البلاد الشيوعية ، ولاسيما في روسيا والصين وواجب المسلمين نحوهم .

٣- أخطار ابتعاث الشباب للدراسة في الخارج ،وطرق حمايتهم .

٤- خطر استيراد « الأشياء » و « الأفكار » على قضية البناء الحضاري الذاتي للأمة الإسلامية .

٥- تقويم أوضاع الأقليات الإسلامية في آسيا ، وسبل الحفاظ عليهم .

٦- أطماع إسرائيل في شبه الجزيرة العربية !! .

٧- أخطاء دائرة المعارف الإسلامية ،ومنظمة اليونسكو ،في حق الإسلام ، فكرًا وتاريخًا وحضارة .

٨- بروز الدور الهندوسي في الهجوم على الإسلام خلال ربع القرن الأخير ، وطرق مقاومته .

٩- أساليب الدعوة إلى الإسلام في البلاد الصناعية والمتقدمة .

١٠- أزمة الفكر الإسلامي الحديث . . تعبيرًا ومضمونًا ، وطرق علاجها .

١١- برنامج تعليمي للمرأة المسلمة . . يناسب فطرتها ورسالتها .

« المراحل الدراسية ـ النوعية العلمية ـ المناهج ـ الخطة ـ الأعمال » .

١٢- أسباب ضياع فلسطين من وجهة نظر إسلامية .

١٣- مسلمو لبنان . . والمؤتمرات العالمية ، والمواقف العربية التي أدت إلى نكبتهم . . !!

١٤- التأثير الحضاري للبترول على البلدان الإسلامية إيجابًا وسلبًا .

(وثمة ـ بالتأكيد ـ قضايا نوعية كثيرة تصلح للعلاج والدراسة في هذا المستوى ، كما أن بعض القضايا التي طرحناها يمكن أن تعدل صياغتها بالطريقة الملائمة) .

بيد أن من الضروري الربط بين المستويين . . مستوى القضايا الكبرى ، ومستوى القضايا النوعية المحددة التي لا تزيد عن كونها مجرد أقراص أو عقاقير ، لا ينفصل « مفعولها » بالتأكيد عن تأثير العلاج الشامل الجذري الذي يحققه المستوى الأول .

إن هذا الأسلوب الذي نقترحه ، بمستوييه سالفي الذكر ،يقدم بالمؤتمرات الإسلامية ـ على وجه العموم ـ من الواقع ، ويعطي بحوث هذه المؤتمرات صفتي : « التحديد » و « التجديد » ، ويجعل هذه المؤتمرات ـ في أقل درجاتها ـ محركًا قويًا للعقول والأفكار في اتجاه الأخطار « الواقعية » المحدقة ، فلعلها تخطط وتعمل لتداركها . . ومحركًا ـ أيضًا ـ في اتجاه تحقيق بعض التقدم للأمة الإسلامية التي تعاني ـ بحق ـ أزمة حضارية كبرى ، وتقف ـ بحق ـ على مفترق الطرق . .

والله غالب على أمره ،ولكن أكثر الناس لا يعلمون . .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
قضية هذا الكتاب	٥
الملحمة الأولى	١١
المبدأ القرآني في بناء الإنسان والحضارة	١١
وقد تفرغتم لهذا	٢٣
حضارتهم بين بدايات الإبادة ونهاية الخراب	٣٥
أرض الدماء .. مهد الحضارة الأمريكية	٤٩
مستقبلنا القادم .. ورسالتنا العالمية	٦١
الملحمة الثانية	٧٥
معركة التصفية الجسدية	٧٥
الدم الإسلامي أرخص الدماء على الأرض	٧٥
أمريكا تطوق العالم الإسلامي	٨٥
أفريقيا المسلمة تستغيث	١٠١
الملحمة الثالثة	١٤٣
العالم الإسلامي وقضية الحرية	١٤٣
الملحمة الرابعة	١٦٣
المترددون في تطبيق الشريعة	١٦٣

الموضوع الصفحة

فتنة اليسار الإسلامي ١٧٩
مدرسة عبادة العقل في الفكر الإسلامي ١٩٢
تغريب التربية في العالم الإسلامي ٢٠٧
الملحمة الخامسة ٢٢١
مصر في مهب العاصفة ٢٢١
شخصية مصر تباع في المزاد ٢٢١
الروتاري الصهيوني ينتشر في مصر ٢٤٣
الملحمة السادسة ٢٥٧
المؤتمرات الإسلامية ومأزق الاستهلاك الإعلامي وطريق جديد ٢٥٧
الفهرس ٢٩٥